الفصل الحادي والثمانون

التنظيم الديني

وكان لنصارى العرب تنظيمهم الخاص بدور العبادة وبالتعليم والإرشاد ، وهو تنظيم أخذ من تنظيم الكنيسة العام ، ومن التقاليد التي سار عليها آباء الكنيسة منذ أوائل ايام النصرانية حتى صارت قوانين عامة. فللكنيسة درجات ورتب، وللمشرفين عليها منازل وسلالم ، وقد اقتبست هذه التنظيمات من الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشت فيها النصرانية منذ يوم ولادتها ، والتي وضعها رؤساؤها لنشر الديانة ولتنظيم شؤون الرعية ، حتى صارت الكنيسة وكأنها حكومة من الحكومات الزمنية، لها رئيس أعلى ، وتحته جماعة من الموظفين ، لها ملابس خاصة تتناسب مع درجاتهم ومنازلهم في مراتب الحكومة ، ولهم معابد وبيوت وأوقاف وسيطرة على أتباعهم، جاوزت أحياناً سيطرة الحكومات .

ومن الألفاظ التي لها علاقة بالدرجات والرتب الدينية عند النصارى لفظة (البَطْرك) و (البطريق) . وقد وردت لفظة (البطريق) في شعر ينسب إلى (أمية بن أبي الصلت)[1] .

---

١ **من كل بطريق لبطريق نقى الوجه واضح ــ تاج العروس (٢٩٦/٦)** ، النصرانية وادابها ، القسم الثانى ، الجزء الثانى ، القسم الاول (ص ١٩١) ، تاج العروس (١١١/٧) (الطبعة الاولى بمصر ، مطبعة مصر) ، اللسان (٢١٢/١٠ ، ٤٠١) ، (دار صادر) « بيروت ١٩٥٦ » ، البستان (١٥٧/١١) ، « بيروت ١٩٢٧ » ، محيط المحيط (١٠٢/١) « بيروت ١٨٦٧ م » ، مروج (١٩٩/٢) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، (القاهرة ١٩١٥ م) « المطبعة الاميرية » .

وقد ذهب علماء اللغة الى ان (البطرك) ، هو مقدم النصارى ، وهو في معنى (البطريق) أيضاً . وقالوا أيضاً إن البطريق مقدم جيش الروم . و (البطرك) من أصل يوناني هو «Patriarkhis» (بْريارخيس) ، ومعناه (أبو الآباء) ، وذلك لأنه الأب الأول والأعلى للرعية ، فهو أب الآباء ورئيس رجال الدين . أما لفظة البطريق ، فإنها من أصل لاتيني ، هو Patrikios ، وهو يعني وظيفة حكومية وتعني درجة (قائد) في المملكة البيزنطية[1] . فلا علاقة لها اذن بالتنظيم الديني للنصرانية .

وبين البطريق (البطرك) والأسقف منزلة يقال لشاغلها (المطران) ، وقد عرف بأنه دون البطرك وفوق الأسقف . وقد وسمه (القلقشندي) ، بأنه القاضي الذي يفصل الخصومات بين النصارى[2] . واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية ، أخذت من (متروبوليتيس) « Mitropolitis » أي مختص بالعاصمة ، أو المدينة[3] . وقد ذكر علماء اللغة ان لفظة (المطران) ، ليست بعربية محضة[4] .

والأسقف من الألفاظ التي تدل على منزلة دينية عند النصارى ، وقد وردت في كتب الحديث . وقد ذكر بعض علماء اللغة انه انما سمي أسقف النصارى أسقفاً لأنه يتخاشع[5] . واللفظة من الألفاظ المعربة المأخوذة عن اليونانية ،فهي(ابسكوبوس) « Episkopos » في الإغريقية ، وقد نقلت منها إلى السريانية ، ثم نقلت منها الى العربية[6] . وقد وردت في كتب التواريخ والسير ، حيث ورد في شروط الصلح التي عقدها الرسول مع أهل نجران ، شرط هو : « لا يغير أسقف عن أسقفيته ولا راهب عن رهبانيته » .

---

١ النصرانية وآدابها ، القسم الثانى ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٠ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ٢٥٥) .

٢ صبح الاعشى (٤٧٢/٥) .

٣ محيط المحيط (١٩٨٧/٢) ، غرائب اللغة (ص ٢٦٩) .

٤ تاج العروس (٥٤٦/٣) ، « مطر » ، النصرانية (١٩١) ، البلدان (١٢٢/٤) ، « ديارات الاساقفة » .

٥ اللسان (٥٦/١١) ، البلدان (١٢٢/٤) ، تاج العروس (١٤١/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، مقدمة ابن خلدون (٢٣٤) ، تأريخ ابن خلدون (٢٧ ، القسم الاول ص ٢٩٧) ، اللسان (١٥٦/٩) « صادر » .

٦ النصرانية وآدابها ، القسم الثانى ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩١) ، غرائب اللغه (ص ٢٥٢) ، محيط المحيط (٩٧٠/١) ، البستان (١١١/١) ، النهاية فى غريب الحديث (٢٣٧/٤) .

والقس من الألفاظ الشائعة بين النصارى ، ولا تزال مستعملة حتى الآن . ويقال لها (قسيس) في الوقت الحاضر أيضاً. وهي من أصل آرامي هو « Gachicho » ومعناه ، كاهن وشيخ[1] . وقد جمعها (أمية بن أبي الصلت) على (قساقسة)[2]. وذكر بعض علماء اللغة أن « القس والقسيس العالم العابد من رؤوس النصارى » وأن « أصل القس تتبع الشيء وطلبه بالليل . يقال تقسست أصواتهم بالليل ، أي تتبعتها »[3] . وقد وردت لفظة (قسيسين) في القرآن الكريم : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون »[4] . ويدل ذلك على أن موقف النصارى تجاه الاسلام كان أكثر مودة من موقف يهود . وقد نسب ذلك الى القسيسين والرهبان .

وترد لفظة (شماس) في جملة الألفاظ التي لها معان دينية عند نصارى الجاهلية. وهي من الألفاظ الحيّة التي لا تزال تستعمل في هذا اليوم أيضاً. وتعد من الألفاظ المعربة عن السريانية . وهي « Chamocho » في الأصل ، وتعني خادم ، ومنها البيعة . فهي اذن ليست من الوظائف الدينية الكبيرة ، وإنما هي من المراتب الثانوية في الكنيسة[5] . وقد ذكر بعض العلماء بأن الشماس يحلق وسط رأسه ويجعل شعره من جوانب رأسه على شكل دائرة ، وهو الذي يكون مسؤولاً عن الكنيسة ، ويكون مساعداً للقسيس في أداء واجباته الدينية ، وفي تقديس القداس أيام الآحاد والأعياد . يعمل كل ذلك للتعبد ، وليس لأخذ المال والتكسب[6] .

---

١ غرائب اللغه (ص ٢٠١) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٢) .

٢ لو كان منفلت كانت قساقسة يحييهم الله في أيديهم الزبر
تاج (٢٠٧/٤) .

٣ تاج العروس (٢١٦/٤) ، محيط المحيط (١٢٢١/١) ، تاريخ ابن خلدون (حـ ٢ قسم ١ ص ٢٩٧) .
المفردات ، للاصفهاني (ص ٤١٢) ، اللسان (١٧٤/٦) « صادر » صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٣) .

٤ المائدة ، الاية ٨٥ ، أسباب النزول (١٥٢) ، تفسير الطبري (٢/٧) .

٥ النصرانية وادابها ، القسم الثانى ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٣) ، غرائب اللغة (ص ١٩١) .

٦ اللسان (١١٤/٦) « صادر » محيط المحيط (١٢٢١/١) ، صبح الاعشى (٥/ ٤٧٢) ، ابن خلدون (٢٩ ، القسم الاول ، ص ٢٩٧) ، البستان (١٢٥٩/١) .

وورد في كتاب رسول الله الى سادة نجران : « لا يغير أسقف عن سقيفاه، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقف عن وقفانيته »[1] . ويظهر من هذا الكتاب ان الواقف منزلة من المنازل الدينية التي كانت في مدينة نجران . والظاهر انها تعني الواقف على أمور الكنيسة ، أي الأمور الادارية والمالية والمشرف على أوقافها وأملاكها . فهو في الواقع مسؤول اداري ، اختصاصه الاشراف على الأمور المتعلقة بسير ادارة الكنيسة وأموالها . إذ لا يعقل ان يكون الواقف بمعنى خادم البيعة الذي يقوم بالخدمة بمعنى التنظيف والأعمال البسيطة الأخرى ، إذ لا يعقل النص على مثل هذه الدرجة في كتاب صلح الرسول مع سادة نجران . وقد ذكر بعض علماء اللغة : « الواقف خادم البيعة ، لأنه وقف نفسه على خدمتها »[2] . ولا يعني هذا التفسير بالضرورة الخدمة على النحو المفهوم من الخدمة في الاصطلاح المتعارف. فقد كان الملوك والسادات يلقبون أنفسهم بـ (خادم الكنيسة) و (خادم المعبد) ، أي بالمعنى المجازي . ولا يكون خادماً صارفاً وقته كله في تنظيف الكنيسة وفي القيام بالأعمال التي يقوم بها الخادم الاعتيادي .

وهناك لفظة أخرى لها علاقة بالكنيسة وبالبيعة وبالنواحي الادارية منها ، هي لفظة (الوافه) و (الواقه) . وقد عرفوا صاحبها بـ (قيم البيعة التي فيها صليب النصارى) ، وفي هذا المعنى أيضاً لفظة (الواهف) ، حيث قالوا : « الواهف سادن البيعة التي فيها صليبهم وقيمها ، كالوافه وعمَلُها الوهافة » ، والوهفية والهُفّية . والظاهر انها كلها في الأصل شيء واحد ، وانما اختلف علماء اللغة في ضبط الكلمة ، فوقع من ثم هذا الاختلاف بينهم[3] . فالوظيفة اذن ، هي بمنزلة الخازن القيم على شؤون الصليب ، يحفظه من السرقة ، ويضعه في خزانة أمينة ، فإذا حانت أوقات العبادة وضعه في موضعه . فالصليب ثمين، وفيه ذهب

---

١ ابن سعد ، الطبقات (١/٣٥٨) « طبعة صادر » ، « لا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا وافه من وفاهيه » ، النهاية في غريب الحديث (٤/٢٣٧) ، « واقه من وفاهينه » ، البلاذري ، فتوح (٧٢) ، (صلح نجران) ، اللسان (١٧/٤٥٩) ، تاج العروس (٩/٤٢١) ، العائق (٢/٣١٧) ، النهايه (٤/٢٤٠) .

٢ تاج (٦/٢٦٩) ، النصرابية وادابها ، القسم التانى ، الجزء الماني ، القسم الاول (ص ١٩٣) اللسان (٩/٣٦٠) ، « صادر » .

٣ تاج (٦/٣٧٣) ، (٩/٤٢١) ، المخصص (١٣/١٠٠) ، اللسان (١٣/٥٦١) « صادر » ،

في الغالب ، لذلك يكون هدفاً للسراق[1] .

ويلاحظ أن علماء الحديث والتأريخ والسير ، ليسوا على اتفاق فيما بينهم في تدوين نص كتاب الصلح الذي أعطاه الرسول لأهل نجران ، إذ تراهم يختلفون في ضبط نصه : وفي جملة ما اختلفوا فيه جملة : « ولا واقه من وقاهيته » ، فقد كتبوها بصور شتى كما رأيت ، كما كتبوا النص بأشكال متباينة ، مما يدل على أن الرواة قد اعتمدوا على نسخ متعددة للكتاب ، وعلى أن أهل نجران كانوا قد نسخوا منه نسخاً ، تحرفت نصوصها بالاستنساخ ، لعدم تمكن الناسخ من ضبط العبارات ضبطاً صحيحاً . فلما دوّن العلماء صورة النص تباينوا في تدوينه ، وأوجدوا لهم تفاسير للفظة (واقف) و (وافه) و (واقه) ، وهي لفظة واحدة في الأصل ، قرأها النساخ ثلاث قراءات ، فظهرت وكأنها ألفاظ مختلفة . وحاروا في تعليل المعنى ، فقال بعضهم الوافه : قيم البيعة بلغة أهل الجزيرة ، وقال بعض آخر بلغة أهل الحيرة ، وقال بعض : كلها في معنى واحد[2] .

وهناك مصطلحات دينية أخرى استعملها النصارى للدلالة على درجات رجال دينهم ، مثل (بابا)،وهي كلمة (رومية) وهو أعلى مرجع في نظر النصارى (الكاثوليك)[3] ، و (والجاثليق) ، وهو رئيس أساقفة بلد ما ، والأعلى مقاماً بينهم ، وقد أطلقت اللفظة على رئيس نصارى بغداد في العهد العباسي[4] ، وهي من أصل يوناني هو (كاثوليكوس) Katholikos ، ومعناه عام[5] .

والساعي من الألفاظ التي تتناول المنازل والدرجات عند النصارى ، وتشمل اليهود أيضاً . ويقصد بها الرئيس المتولي لشؤون اليهود أو النصارى، فلا يصدرون رأياً إلا بعد استشارته ، ولا يقضون أمراً دونه . وقد ورد في حديث حذيفة في الأمانة : « إن كان يهودياً او نصرانياً ليردنه على ساعيه »[6].

---

١ النصرانية وادابها ، القسم الباني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٤) .
٢ اللسان (٤٥٩/١٧) ، تاج العروس (٤٢١/٩) . النهابه (٢٤٠/٤) .
٣ صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، تاريخ ابن خلدون (حـ ٢ القسم الاول ، ص ٢٩٧) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٤) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٧) .
٤ تاج العروس (٣٠٥/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، محيط المحيط (٢١٤/١)، البستان (٣٠٩/١) .
٥ عراتب اللغه (ص ٢٥٦) .
٦ تاج العروس (١٧٨/١٠) « سعى » ، اللسان (٣٨٧/١٤) ، محيط المحيط (٩٦٠/١) ، النصرانية (١٩٢) .

ولفظة (بابا) وما بعدها ، هي من الألفاظ التي شاع استعمالها في العربية في الاسلام ، وليس لدينا ما يفيد استعمالها بين الجاهليين .

وذكر علماء اللغة أن من الألفاظ المعروفة بين النصارى لفظة (العسطوس) ، ويراد بها القائم بأمور الدين ، وهو رئيس النصارى[1] .

أما (الراهب) ، فهو المتبتل المنقطع الى العبادة . وعمله هو الرهبانية . وقد ذكر بعض علماء اللغة ان الرهبانية غلوٌ في تحمّل التعبد من فرط الرهبة[2] . وقد ذكرت الرهبانية في القـرآن الكريم[3] ، وذكرت في الحديث . وقد نهى عنها الاسلام : « لا رهبانية في الاسلام » . وقد ندد القـرآن الكريم في كثير من الأحبار والرهبان ، فورد : « إن كثيراً من الأحبـار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل »[4] . ويظهر من ذلك ان جماعة منهم كانت تتصرف بأموال الناس التي تقدم إلى الأديرة والبيع ، فيعيشون منها عيشة مترفة ، لا تتفق مع ما ينادون به من التقشف والزهد والعبادة . كما ان منهـم من عاش عيشة رفيهة وبطر ، فتكبر عن الناس وترفّـع ، حتى جعلوا أتباعهم يحيطونهم بهالـة من التقديس والتعظيم ، الى درجة صيرّتهم أرباباً على هذه الأرض . فتقربوا اليهم وقدّسوهم قدسية لا تليق إلا للخالق . « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »[5] . ذلك انهم كانوا يحلّون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرّمون ما أحل الله لهـم فيحرمونه . « أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه ، فتلك

---

١ تاج العروس (٤/١٩٢) ، اللسان (٦/١٤١) ، محيط المحيط (١/١٣٩٦) .

٢ المفردات ، للاصفهاني (ص ٢٠٣) ، اللسان (حـ ١/٤٣٧) « صادر » القاموس (١/٧٦) ، تاج العروس (١/٢٨١) ، الصحاح ، للجوهري (١/١٤٠) .

٣ المائدة ، الاية ٨٢ ، التوبة ، الاية ٣١ ، ٣٤ ، سورة الحديد ، الرقم ٥٧ ، الايـه ٢٧ ، مجمع البيان (٧/١٥٨) ، تفسير الفخر الرازي (١٢/٦٦ وما بعدها) ، روح المعاني (٦/٨ وما بعدها) ، النهاية ، لابن الاثير (٢/١٢٠) .

٤ التوبة ، الرقم ٩ ، الاية ٣٤ ، مجمع البيان (١٠/٤٨) . تفسير الطبري (٧/٨ وما بعدها) ، تفسير الخازن (٧/٢٣٣ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٤/١٤١ وما بعدها) ، المقريزي ، السلوك من معرفة سير الملوك (١/١٨٢) ، (دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ، السيوطي ، الدر المنثور (١٠/٧٥) .

٥ التوبة ، الرقم ٩ ، الاية ٣١ ، جامع البيان (١٠/٨٠) ، الكشاف (٢/٣١) ، روح المعاني (١٠/٧٥) ، تفسير الخازن (٢/٢١٦) .

كانت ربوبيتهم »[1] . وكانوا يطيعونهم طاعة عمياء ، ويأخذون عنهم، ويقدسونهم، ويقبّلون أيديهم ولا يعصون أمراً لهم . وذكر ان (عدي بن حاتم) الطائي ، قال لرسول الله لما سمعه يقرأ : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» ، « يا رسول الله ! إنا لسنا نعبدهم . فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ! قال : قلت بلى . قال فتلك عبادتهم »[2] .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ، أن من الرهبان من بالغ في الترهب وفي التزهد ، فخصى نفسه ووضع السلاسل في عنقه أو في يديه أو رجليه ليحبس نفسه ، وامتنع عن المآكل والأطايب ، مكتفياً بقليل من الماء وبشيء من الخبز الخشن ، وأن منهم من امتنع عن الكلام وصام معظم أوقاته ، وابتعد عن الناس متخذاً من الكهوف والجبال والمواضع النائية الخالية أماكن للتأمل والتعبد . وذلك كما يظهر من نهي الرسول عن الرهبنة والرهبانية ، وحمل الاسلام عليها . لأنها تبعد الناس عما أحل الله وقد عوض الاسلام عنها بالجهاد في سبيل الله[3] .

ومن عادات الرهبان وتقاليدهم التي وقف عليها أهل الجاهلية ، الامتناع عن أكل اللحوم والودك ، أبداً أو أمداً ، وحبس النفس في الأديرة والصوامع ، والكهوف ، والاقتصاد على أكل الصعب من الطعام والخشن من الملبس ، ولبس السواد والمسوح . وهي عادة انتقلت الى الأحناف أيضاً والى الزهّاد من الجاهليين الذين نظروا نظرة زهد وتقشف الى هذه الحياة[4] . كما كانوا لا يهتمون بشعورهم فكانوا يطلقونها ولا يعتنون بها ولذلك كانت شعورهم شعثاً ، وعبّر عن الراهب

---

١ تفسير الطبري (١٠/٨٠ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٥/١٤٢) ، تفسير الطبرسي (٥/٢٢) .

٢ تفسير الطبري (١٠/٨٠ وما بعدها) ، « بولاق » .

٣ النهاية في غريب الحديث ، لابن الاثير (ص ١٦٣) (٢/١٢٠) « المطبعة الخيرية »، اللسان (١/٤٣٧ وما بعدها) ، تاج العروس (١/٢٨٠ وما بعدها) ، القاموس المحيط (١/٧٦) ، محيط المحيط (١/٨٠٦) ، مجمع البيان (٧/١٥٨) ، (٦/ ١٧٦) ، جامع البيان (٢٧/٢٣٨) ، (١٠/١١٤ ، ١١٧) ، الكشاف ، للزمخشري (٤/٦٩) . (٢/٣١) ، (١/٤٣) ، روح المعاني (٢٧/١٦٥) ، (١٠/٧٥) ، (٧/٣) ، الدر المنثور (١٠/٧٥) ، صحيح مسلم (٨/٢٢٩) « كتاب الزهد » ، اللسان (١/٤٣٧) « صادر » .

٤ تفسير الطبري (٧/٨) « الطبعة الثانية ١٩٥٦ م » ، تفسير أبي السعود ، (٤/ ١٤١ وما بعدها) ، تفسير الرازي (١٢/٦٧ وما بعدها) .

بالأشعث ، لأنه كان يطلق شعر رأسه ولا يحلقه ولا يعتني به[1] .

ومن الرهبان من ساح في الأرض ، فطاف بلاد العرب وأماكن أخرى ، وهام على وجهه في البوادي وبين القبائل ، لا يهمه ما سيلاقيه من أخطـار ومكاره ، ومنهم من ابتنى له بناءً في الفيافي وفي الأماكن النائيـة ، واحتفر الآبار وحرث البقول ، وعاش عيشة جماعية ، حيث يعاون بعضهم بعضاً في تمشية أمور الدير الذي يعيشون فيه[2] . ومنهم من عاش في قلل الجبال ، بعيداً عن المارة والناس . قال الشاعر :

لو عاينت رهبان دير في القلل لاتحدر الرهبان يمشي ونزل[3]

وقد وقف بعض أهل الجاهلية على أخبار هؤلاء الرهبان وعرفوا بعض الشيء عنهم ، وبهم تأثر بعض الحنفاء على ما يظهر فأخذوا عنهم عادة التحنث والتعبد والانزواء والانطواء في الكهوف والمغاور والأمـاكن النائية البعيدة للتنسك والتعبـد مبتعدين بذلك عن النـاس منصرفين الى التأمل والتفكر في خلق هذا الكون دون أن يدخلوا النصرانية .

وقد نهى الرسول بعض الصحابة مثل (عثمان بن مظعون)،وهو من النصارى في الأصل من تقليد الرهبـان في الإخصاء وفي الامتناع عن الزواج ومن التشدد في أمور أحلها الله للناس[4] . ويظهر أن هذا التشدد إنما جاء اليه وإلى أمثـاله من وقوفهم على حياة الرهبان وعـلى رأيهم وفلسفتهم بالنسبة لهذه الحياة . وفي حق هؤلاء نزلت الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم .

---

١ تاج العروس (١/٦٣٨) .

٢ تفسير الطبري (٢٧/١٢٤) ، روح المعاني (٦/٨ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٧/٨ وما بعدها) ، تفسير الخازن (٧/٢٣٣ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٤/١٤١ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (٧/٤) .
لو أبصرت رهبان دير في الجبل لاتحدر الرهبان يسعى ويصل
تفسير القرطبي ، الجامع (٦/٢٥٨) .

٤ الدر المنثور (٢/٣٠٧) ، مجمع البيان في تفسير القرآن (٧/٦ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٦/٢٦٠ وما بعدها) ، مجمع البيان (٢٧/١٥٨) ، (طبعة دار الفكر . بيروت) ، الدر المنثور ، للسيوطي (٢/٣٠٧) ، روح المعاني (٧/٣) ، (٢٧/١٦٥) .

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »[1] . وذكر أن الرسول لما سمع بابتعاد (عثمان) من أهله ، دعاه ، فنهاه عن ذلك . ثم قال : « ما بال أقـوام حرموا النساء والطعام والنـوم ! ألا اني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني . فنزلة الآيـة : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا . يقول لعثمان لا تجب نفسك. فإن هذا هو الاعتداء»[2].

وورد في الحـديث : « لا صرورة في الإسلام » ، والصرورة التبتل وترك النكاح ، أي ليس ينبغي لأحد أن يقول لا أتزوج ، لأن هذا ليس من أخلاق المسلمين ، بل هو من فعل الرهبان . وهو معروف في كلام العرب . ومنه قول النابغة :

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبـد الإلـه صرورة متعبد

يعني الراهب الذي ترك النساء[3] .

وقد أشير الى الرهبان في شعر امرىء القيس ، إذ أشار فيه الى منارة الراهب التي يمسي بها يتبتل فيها الى الله ، وعنده مصباح يستنير بنوره[4] . كما أشار فيه اليه وهو في صومعته يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا[5]، دلالة على تهجده وتعبده في وقت يكون الناس فيه نياماً . كما أشير اليهم في شعر شعراء جاهليين آخرين مثل (النابغة الذبياني) ، الذي أشار الى ركوع الراهب يدعو ربه فيه ويتوسل اليه[6] . كما أشار الى موقف الراهب من رؤية امرأة جميلة ، وكيف سيرنو اليها

---

١ المائدة ، الاية ٨٧ .

٢ تفسير الطبري (٦/٧) ، روح المعاني (٧/٧) .

٣ تاج العروس (٣٣١/٣) ، (صرر) .

٤ تضيء الظـلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهـب متبتـل
النصرانية (الجزء الثاني ، القسم الاول ، ص ١٧٥) .

٥ كأنـه راهب في رأس صومعـة يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا
النصرانية (حـ ٢ ، قسم ٢ ، ص ٣٩٢) .

٦ سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرىء الى ربـه رب البريـة راكع
دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » (٩/١٠) ، النصرانية ، الجـزء الثاني ، القسم الـاني (ص ٣٩٤) .

حتى وان كان راهباً اشمط[1] . وقد أشار الى (ثوبي راهب الدير) والى الحلف بثوبيه[2] .

وورد في الشعر ما يفيد بانقطاع الرهبان في الأماكن الصعبة القصيّة مثل قلل الجبال وذراها ، حيث لا يأتيهم الناس ، فيعيشون في خلوة وانقطاع عن البشر[3]. ومن الأماكن التي اشتهرت بوجود الرهبان فيهـا أرض مدين[4] . ووادي القرى ومنازل تنوخ وصوران وزبد[5] .

وقد سبح الرهبان ورجال الدين ، الله ، في الكنائس وفي الأديرة بألحان عذبة جميلة ، ورتلوا الزبور والأسفار المقدسة الأخرى . وقـد عرف الجاهليون ذلك عنهم ، وأشاروا الى ذلك في شعرهم ، وربما كان بعضهم يحضر تلك التراتيـل ويستأنس بها على الرغم من وثنيته وعدم اعتقاده بالنصرانية .

ويقال للراهب الزاهد ، الذي ربط نفسه عن الدنيا : الربيط . وقيـل له : الحبيس . وذكر أن الربيط ، هو المتقشف الحكيم[6] ، وأن الحبيس هو الذي حبس نفسه في سبيل الله ، فقبعوا في الأديرة وابتعدوا عن الناس . فصاروا كالحبساء[7].

---

١ تفسير الفرطبي ، (٢٥٨/٦) .
لو أنها عرضت لاشمط راهب عبـد الالـه صرورة متعبـد
كرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالـه رشـدا وان لم يرشد

٢ تاج العروس (٢٨١/١) .

٣ لو كلمت رهبان دير في الفلل لانحدر الراهب يسعى فنـزل
اللسان (٤٣٧/١) « صادر » ، تاج العروس (٢٨١/١) ، المقريزي ، السلوك في معرفة سير الملوك (١٨٢/١) ، تفسير الطبري (١٥٨/٢٧) ، « البابـي » ، الكشاف (٣١/٢) ، الدر المنثـور (١٧٧/٦) ، تفسير الخازن (٢١٦/٢) ، (٢٣٢/٤) .
لو أنهـا عرضت لاشمط راهب في رأس مسرفة الذرى متبتل
الاغاني (٩٢/١٩) « دار النفافة بيروت » . وقد نسب هذا الشعر الى ربيعة بـن مقروم الضبيعي . وقد مر النصف الاول من هذا البيت من شعر نسب الى النابغـه الدبياني في تفسير القرطبي (٢٥٨/٦) .

٤ قال جرير :
رهبان مدين ، لو رأوك تنزلوا والعصم ، من سعف العقول ، الغادر
اللسان (٤٣٧/١) « صادر » ، تفسير الطبري (٤/٧) .

٥ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٦ وما بعدها) .

٦ تاج العروس (١٤٣/٥) ، القامـوس المحيـط (٣٦١/٢) ، المقريزي ، سير (١٨٢/١) ، البلدان (٢١٣/٢) « صادر » .

٧ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٧) ، البلدان (٢١٣/٢) .

ويقال للراهب : المقدسي . والمقدس الراهب . وصبيان النصارى يتبركون به، ويتمسحون بملابسه تبركاً[1] . كما قيل له : المتعبد ، والأعابد[2] ونسب الى (امرىء القيس) هذا البيت :

فأدركنه يأخـــذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدسي

ويروى المقدس ، وهو الراهب ينزل من صومعته الى بيت المقدس ، فيمزق الصبيان ثيابه تبركاً به[3] .

وأما (النهامي) ، فهو صاحب الدير ، أو الراهب في الدير[4] .

ومن الألفاظ التي شاعت بين النصارى ووصل خبرها إلى الجاهليين ، لفظة : (الأبيل) ، وقد اتخذوها للدلالة على رئيس النصارى . وذكر بعض أهل الأخبار انها تعني أيضاً (المسيح) . وقد كانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله . وهي من الألفاظ المعربة عن السريانيـــة (ابيلو) Abilo ، ومعناها في السريانية الزاهد والناسك والراهب . وكانوا يتخذون عادة رؤساءهم من الرهبان المتبتلين[5] . وقد وردت لفظة (الأبيل) في الشعر الجاهلي ، في شعر : الأعشى وفي شعر عدي بن زيد . وورد (أبيل الأبيلين) ، وأريد بذلك المسيح[6]. وذكر ان (الأبيل) هو صاحب النـــاقوس ، والراهب أيضاً[7] . وان (الأيبلي) ، هو ضارب الناقوس . و (الأيبل) ، العصا التي يدق بها الناقوس[8] . قال الأعشى:

---

١ اللسان (٦/١٦٩) « صادر » .
٢ اللسان (٣/٢٧٢) .
٣ تاج العروس (٦/٣٩٠) ، (شبرق) .
٤ تاج العروس (٩/٨٨) ، نهم) ، المخصص (١٣/١٠٠) .
٥ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٠) ، غرائب اللغة (١٧٢) .
٦ قال ابن عبد الجن ، وقيل عمرو بن عبد الحق :

أمـا ودمـــاء مائرات تخالهـــا على قنة العـــزى أو النســر عندما
وما قدس الرهبان في كل هيكل أبيل الأبيلين ، المسيح بن مريـــما
لقد ذاق منا عامـــر يوم لعـــلع حساما، اذا ما هـــز بالكف صمما

اللسان (١١/٦ وما بعدها) ، (أبل) ، (صادر) .
٧ اللسان (١١/٦ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/١٩٩) . الآب مرمرجي ، معجميات عربية سامية (١٣١ وما بعدها) ، شعراء النصرانية ، لشيخو (٤٥٣) ، المخصص (١٣/١٠٠) .
٨ ديوان الأعشى (٥٣) « المطبعة النموذجية ، ١٩٥٠ م » .

وما أيبليّ على هيكـــل بناه وصلب فيه وصارا
يراوح من صلوات المليـك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

يعني بالجؤار الصياح . إما بالدعاء وإما بالقراءة [1] .

والساعور من أسماء المسيح وهو من أصل (سوعورو) So'ouro ، بمعنى زائر . وتطلق اللفظة على من يزور القرى ويطلع على أحوالها وذلك بأمر من الأسقف [2] . وذكر علماء اللغة أن اللفظة من الألفاظ المعربة عن السريانية، وأن الأصل (ساعورا)، ومعناه متفقد المرضى ، وتطلق اللفظة على مقدم النصارى في معرفة علم الطب [3] .

ويقال لخادم البيعة: الجلاذي [4] . وذكر أن (الجلذي) الراهب والصانع والخادم في الكنيسة . قال ابن مقبل :

صوت النواقيس فيه ما يفرطه أيدي الجلاذيّ جون ما يغضينا [5]

و (الكنيس) و (الكنيسة) موضع عبادة اليهود والنصارى ، فهما في مقابل (المسجد والجامع) عند المسلمين . والكلمة من الألفاظ المعربة عن الآراميـة ، وتعني لفظة « Knouchto » (كنشتو) (كنشت) في السريانيـة ، اجتماع ، ومجمع وأطلقت بصورة خاصة على كنيس اليهود [6] . ولهذا نجد العرب يطلقونهـا على معبد اليهود كذلك . ويقال في العبرانية للكنيس (كنيستا)، بمعنى محل الصلاة . ونجد الكتب العربية تفرق بين موضع عبادة اليهود وموضع عبادة النصارى ، فتطلق (الكنيس) على موضع عبادة اليهود و(الكنيسة) على موضع عبادة النصارى. وقد ذهب بعض علماء اللغة ، الى أن الكنيسة ، هي متعبد اليهود ، وأما (البيعة) ،

---

١ تفسير الطبري (٨٢/١٤) .
٢ غرائب اللغة (١٨٧) .
٣ تاج العروس (٤٦٨/٣) « الخيرية » ، النصرانية ، القسم الاول (١٩٤) ، القاموس (٤٨/٢) .
٤ اللسان (١٤/٥) « المطبعة الأميرية » ، (٤٨٢/٣) « صادر » ، تاج العروس (٥٥٧/٢) .
٥ تاج العروس (٥٥٧/٢) ، (ما يعفينا) ، اللسان (٤٨٢/٣) ، (صادر) .
٦ غرائب اللغة (ص ٢٠٤) ، النصرانية وآدابها ، شيخو (٢٠١/٢ وما بعدها) ، « الطبعة الثانية بيروت ١٩٣٣ » .

فهي متعبد النصارى[1] . وقد عرف علماء اللغة العرب ، أنها من الألفاظ المعربة ، فقالوا : وهي معربة ، أصلها كنست[2] .

وقد زوّق النصارى كنائسهم ، وجمّلوها ، وزيّنوها بالصور وبالتماثيل ، ووضعوا الصلبان على أبوابها وفي داخلها . ووضعوا بها المصابيح لإنارتها في الليل، وكانوا يسرجون فيها السرج ، وجعلوا بها النواقيس ، لتقرع ، فترشد المؤمنين بأوقات الصلوات ، ولتشير اليهم بوجود مناسبات دينية ، كوفاة ، أو ميلاد مولود ، أو عرس وأمثال ذلك . ومن الكنائس التي اكتسبت حرمة كبيرة عند النصارى العرب : كنيسة القيامة ، وكنيسة نجران ، وكنيسة الرصافة . وقد أشير في شعر للنابغة الى (صليب على الزوراء منصوب) ، أي على كنيسة .

والتمثال الشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله ، أي من انسان أو حيوان أو جماد[3] . وأدخل العلماء الصور في التماثيل . وقد كانت الكنائس مزينة بالتماثيل والصور ، تمثل حوادث الكتاب المقدس وحياة المسيح . ونظراً الى محاربة الاسلام للأصنام ، والى كل ما يعيد الى ذاكرة الانسان عبادة الأصنام والصور ، ورد النهي عنها في الاسلام . جاء في الحديث : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »[4] .

وقد كان الروم يمدّون الكنائس والمبشرين بالمال وبالفعلة وبالمساعدات المادية لبناء الكنائس والأديرة . والكنائس والأديرة وإن كانت بيوت تقوى وعبادة ، كانت بيوت سياسة ودعوة وتوجيه . ونشر النصرانية مهما كان مذهبها ولونها ، مفيد للروم ، فالنصراني مهما كان مذهبه لا بد ان يميل الى اخوانه في العقيدة والدين . ففي انتشار النصرانية فائدة من هذه الناحية كبيرة للبيزنطيين .

وفي العربية لفظة أخرى للكنيسة ، إلا أنها لفظة خصصت بكنيسة معينة ، هي الكنيسة التي بناها أبرهة بمدينة صنعاء ، واللفظة هي : (القُلّيس) . وللأخباريين آراء في معناها وفي أصلها ، بنيت على طريقتهم الخاصة في ايجاد التفاسير للكلمات القديمة من عربية ومن معربة ، التي لا يعرفون من أمرها شيئاً . وهي لذلك

---

١ تاج العروس (٤/٢٣٥) .
٢ اللسان (٦/١٩٩) ، تاج العروس (٤/٢٣٥) .
٣ تاج العروس (٨/١١١) ، (مثل) .
٤ تفسير الطبري (٢٢/٤٩) ، تفسير القرطبي (٤/٢٧٣ وما بعدها) .

لا تفيدنا شيئاً . والكلمة أعجمية الأصل ، عربت ، وشاع استعمالها ، حتى ظن انهـا اسم تلك الكنيسة . أخذت هذه اللفظة من أصل يوناني هـو (أكليسيا) « Ekklesia » ، ومعنـاه في اليونانية المجمع ، أي الكنيسة . والظاهر أن أهل صنعاء سمعوا اللفظة من الحبش ، حينما كانوا يذهبون الى الكنيسة ، فصيّروهـا اسم علم على هذه الكنيسة ، ولم يدروا أنها تعني الكنيسة ، أي موضع عبادة[1] .

والصوامع والبيع هما من الألفاظ التي استعملها الجاهليون للدلالة عـلى مواضع العبادة عند النصارى . وقد ذهب العلماء الى أن البيعة من الألفاظ المعربة[2]. أخذت من السريانية . وأصل اللفظة في السريانية ، هو (بعتو) بمعنى بيضة ، وقبة ، لأنها كانت قبة في كثير من الكنائس القديمة[3] . وقد استعملت في الحبشية كذلك ولذلك ذهب بعضهم الى أنها من الحبشية[4] . وقال علماء اللغة العرب : الصومعـة كل بناء متصمع الرأس ، أي متلاصقه ، والأصمع اللاصقة اذنه برأسه[5] . وقـد أشير الى (البيع) في القرآن : « ولـولا دفع الله الناسَ بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع »[6] . وقد ذهب بعض علماء اللغة ، الى أن البيعة متعبد اليهود[7] . ولكن أغلبهم على انها متعبد النصارى .

وقد وردت لفظة (بيعـة) في نص (أبرهة) الشهير الذي دوّنه على سد مأرب . ففي هذا النص جملة : (وقدس بعتن) ، أي (وقدس البيعة)[8] .

وذكر ان لفظة (البيعة) قد وردت في شعر ينسب الى ورقة بن نوفل ، حيث زعم انه قال :

أقول إذا صليت في كل بيعة تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعياً[9]

---

١ (الفلّيس) ، (الفليسة) ، اللسان (٦/١٨٠) ، (فلس) ، Ency., II, p. 144, Raccolta, III, p. 127.

٢ المعرب (ص ٨١) .

٣ معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها) ، النصرانية وآدابها ، القسم التاني ، الجزء الثاني، القسم الاول (ص ٢١٣) ، غرائب اللغة (١٧٥) .

٤ النصرانية (الثاني) ، القسم الاول (٢١٣) « طبعة ثانية » .

٥ المفردات (٢٨٨) ، اللسان (٨/٢٠٨) ، تاج العروس (٧/٤١١)

٦ الحج ، الآية ٤٠ .

٧ تفسير الطبري (١٥/١٧٥) « البابي » ، اللسان (٨/٢٦) «صادر» .

٨ راجع النص في مجلة المجمع العلمي العراقي (٤/٢١٥) .

٩ الاغاني (٣/١٦) .

كما ذكر انها وردت في كلام أناس من الجاهليين والمخضرمين[1] .

وقد أشير الى ورودها في الشعر الجاهلي وفي بعض الأخبار المنسوبة الى الجاهليين. وردت في شعر منسوب الى (عبد المسيح بن بقيلة) ، وهو كما يظهر من اسمه من النصارى[2] . ووردت في بيت منسوب الى لقيط بن معبد[3] ، وفي شعر ينسب الى الزبرقان بن بدر التميمي[4] . ولا بد ان تكون هذه الكلمة من الكلمات المألوفة عند الجاهليين المتنصرين ، وعند غيرهم ممن كانوا على الوثنية ، غير انهم كانوا على اتصال بالنصارى ، ذلك لأنها من الألفاظ الشائعة المعروفة عند النصارى . وقد كانت البيع منتشرة في المدن وفي القرى والبوادي ، وطالما قصدها الأعراب للاحتماء بها من الحر والبرد وللاستعانة برجالها لتزويدهم بما عندهم من ماء أو زاد أو للتنزه بها واحتساء الشراب .

والصومعة من أصل حبشي هو (صومعت) على رأي بعض المستشرقين . وقد خصصت بـ (قلاية) الراهب[5] . أي مسكن الرهبان . وبهذا المعنى وردت في القرآن . ويقول علماء اللغة ، أنها على وزن فوعلة ، سميت صومعة ، لأنها دقيقة الرأس . وهي صومعة النصارى[6] . وذكر بعض منهم أن الصومعة كل بناء متصمع الرأس ، أي متلاصقة[7] . وقد سميت صومعة لتلطيف أعلاها[8] . ويدل ورود هذه اللفظة بصورة الجمع في القرآن الكريم ، على وقوف الجاهليين على

---

١ ابن هشام (٩٣٥) « طبعة ليدن » ، تاج العروس (٥/٢٨٥) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢٠١ وما بعدها) .

٢ كم تجرعت بديـر الجرعـة غصصـا كبدي بهـا منصدعه
من بـدور فوق أغصـان على كنـب زرن احنسـابا بيعـه
البلدان (٤/١٢٠) « دير الجرعة » ، النصرانية ، القسم النـاني ، الجزء الثانى (٢٠٢ وما بعدها) .

٣ تامت فؤادي بذات الخال خرعبة مـرت تريد بذات العـذبة الببعا
تاج العروس (٥/٢٨٥) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الماني (٢٠٢) .

٤ نحن الـكرام ، فلاحـي يعادلنا منا الكرام ، وفينـا تنصب البيع
ابن هشام (١/٩٣٥) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني (٢٠١) .

٥ معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها) ، Raccolta, III, p. 127.

٦ اللسان (١٠/٧٦) ، معجميات (ص ١٥٣) ، تاج العروس (٧/٤١١) ، النصرانيه ، الفسم الناني ، الجزء الماني (١٧٤ ، ٢١٣) .

٧ مفردات ، الاصفهاني (ص ٢٨٨) .

٨ اللسان (٨/٢٠٨) « صادر » .

الصوامع ووجودها بينهم[1] . وقد كان الرهبان قد ابتنوا الصوامع وأقاموا بها للعبادة بعيدين في مختلف أنحـــاء جزيرة العرب ، ومنها الحجاز . وقد وقف الجاهليون عليها ، ودخلوا فيها . أما تجارهم ممن قصد بلاد الشأم والعراق ، فقد رأوا في طريقهم الى تلك الأرضين ، وفي تلك الأرضين بالذات ، حيث انتشرت فيهـــا النصرانية صوامع كثـــيرة . ونجد في كتب الأخبار أمثلة عديدة تشير الى دخول تجار مكة الصوامع في بلاد الشأم وفي وادي القرى ، للحصول على ملجأ أو عون .

والقُلاّية ، وهي كالصومعة ، يتعبد فيها الرهبان ، وهي من الألفاظ المعربة ، عربت من أصل يوناني هو « Kelliyon » ، ومعناه غرفـة راهب أو ناسك[2] . ومن هذا الأصل انتقلت اللفظة الى السريانية فصارت (قلّيتا) ، فانتشرت بين نصارى بلاد الشأم بصورة خاصة ثم بقية النصارى ، منها دخلت العربية . وقد عرف علماء العربية انها من الألفاظ المعربة ، فقالوا : هي تعريب كلاذة ، وهي من بيوت عباداتهم ، أي عبادات النصارى . وقد وردت في الحديث ، كما ورد ذكرها في صلح عمر مع نصارى الشام ، حيث كتبوا له كتاباً : إنا لا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا قلية[3] . والظاهر ان النصارى توسعوا في المعنى ، فأطلقوها على المنازل التي يسكنها الرهبان ، ثم توسعوا فيها فأطلقوها على دور المطارنة والبطارقة ، وأصلها بمعنى الأكواخ[4] .

ولفظة (الدير) هي من الألفاظ النصرانية الشهيرة المعروفة بين العرب . وهي أكثر اشتهاراً من الألفاظ الأخرى التي لهـــا علاقة بمواضع العبادة أو السكن عند النصارى ، وذلك لانتشارها ووجودها في مواضع كثيرة من العراق وبـــلاد الشأم وجزيرة العرب . ولمرور التجار وأصحاب القوافل والمارة بها ، واضطرارهم الى الاستعانة بأصحابها وباللجوء اليها في بعض الأحيان . كما كانت محلاً ممتازاً للشعراء ولأصحاب الذوق والكيف ، حيث كانوا يجدون فيها لذة ومتعة تسر العين والقلب ، من خضرة ومن ماء بارد عذب ومن خمر يبعث فيهم الطرب والخيـال ، ولذلك

---

١ سورة الحج ، الرقم ٢٢ ، الآية ٤٠ ، النهاية ، لابن الاثير (٢/١٢٠) ، تفســـير الطبري (١٥/١٧٥) .

٢ عرائب اللغة (ص ٢٦٥) ، المصرابيه ، الجزء الباني ، القسم الاول (ص ٢١٣) .

٣ النهاية (٣/٣٠٩) ، البكري ، معجم (٢/٥٨٣) ، اللســـان (٢٠/٦٣) ، تاج العروس (٨/٨٦) ، (فلل) .

٤ معجميات (ص ١٨٠ وما بعدها) .

أكثر الشعراء في الجاهلية والاسلام من ذكـــر الأديرة في شعرهم . حتى الشعراء النصارى مثل (عدي بن زيد العبادي) ، يترنم في شعره بذكـــر الدير ، لأنه نادم فيه (بني علقما) ، وعاطاهم الخمر ممزوجة بماء السماء[1] .

ولفظة (الدير) هي مثل أكثر الألفاظ النصرانية من الألفاظ المعربة . عربت من أصل سرياني ، هو (دير) Dayr ، بمعنى دار ، أي بيت الراهب[2] . ومسكنه ، ولا سيما المحصّن ، ثم خصوا بها مسكن الرهبان[3] . وقد عرف علماء العربية أن الدير هو مسكن النصارى ، يتعبد فيه الرهبان ويسكنون به ، وقـــد ذكر (ياقوت الحموي) أن الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم ، وإنما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال ، فإن كان في المصر الأعظم فإنه كنيسة أو بيعة[4] غير أن الأديرة تكون في كل مكـان ، تكون في القرى وتكون في المدن كما تكون في البوادي وفي رؤوس الجبال[5] .

و (الديراني) ، صاحب الدير ، وقد ذكر بعض العلماء أن الديراني صاحب الدير الذي يسكنه ويعمره . نسب على غير قياس . ويقال للرجل اذا رأس أصحابه هو رأس الدير[6] .

ولا تقتصر الأديرة على الرجال ، فللراهبات أديرة أيضاً . ويقضي أصحاب الأديرة وقتهم في الزهد والتقشف والعبادة . والقيام بالأعمال اليدوية التي يوكلها رئيس الدير اليهم[7] . وقد عرف الراهب المعتكف بالدير بـ (الديراني) و (الديرانية) ، هي الراهبة[8] . وقد عرفت أديرة الراهبات بـ (أديرة العذارى) كذلك .

---

١ نادمت في الـــدير بنـــي علقما عاطيتهـــم مشمـــولة عندمـــا
كأن ريح المســـك من كأسهـــا اذا مزجناهمـــا بمـــاء السمـــا
البلدان (٢/٦٣٩ ، ٦٨٠) ، (٢/٤٤٩) « بيروت » ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) .

٢ غرائب اللغة (ص ١٨٢) .

٣ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) .

٤ معجم البلدان (٢/٦٣٩) ، (٦/٦٣٩) .

٥ اللسان (٥/٢٨٧) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) .

٦ اللسان (٥/٣٨٧) ، تاج العروس (٣/٢٣١) .

٧ البلدان (٢/٦٣٩) ، (٤/٤٥١) .

٨ النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، الشعر ، لابن قتيبة (٢٢٩) .

واذ كان لهذه الأديرة حرمة في نفوسهم، فقد كانوا يعقدون فيها عقودهم ويحلفون بها على نحو ما كان يفعله الوثنيون في معابدهم حيث كانوا يقسمون الايمان ويتعاقدون أمام الأوثان ، فكان للنصارى في الحيرة دير السوا ، وفي هذا الدير كانوا يتناصفون ويحلفون بعضهم لبعض على الحقوق[1] .

وفي الآرامية لفظة هي (عمرو) Oumro ، وقد صارت (العمر) في العربية . ويراد بها البيعة والكنيسة والدير ودار[2] . وقد وردت في شعر (المتلمس) ، حيث جاء :

ألك السديرُ وبارق ومبايض ولك الخورنق
والعُمر ذو الأحساء واللذات من صاع وديسق[3]

وعرفت العربية لفظة (الكرح) ، و (الأكيراح) ، وقد عرفها علماء العربية بقولهم : « الأكيراح : بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض أعيادهم »[4] . واللفظة من أصل سرياني هو (كرحو) « Kourho » ، بمعنى كوخ ، ومسكن حبيس ، وبيت ناسك وراهب[5] . وذكر ياقوت الحموي : ان « الأكيراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم »[6] . وهناك دير اسمه (الأكيراح) ، ورد في شعر لأبي نؤاس ، ويقع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياحين ، وبالقرب منه ديران ، يقال لأحدهما دير عبد ، وللآخر دير هند[7] .

والمحراب من الألفاظ التي استعملها النصارى في أمور دينهم كذلك ، إذ أطلقوها على صدر كنائسهم . وقد استعملت في الاسلام أيضاً ، حيث يشير الى القبلة ، ويؤم الإمام فيه المصلّين . وقد ذكر بعض علماء اللغة ، ان محاريب

---

١ البلاذري ، فتوح (٢٩٢) .
٢ غرائب اللغة (ص ١٩٦) .
٣ البكري ، معجم (٦٩٦) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٣) ، تاج العروس (٣/٣٢٠) .
٤ يا ديـر حنة من ذات الأكـيراح من يصح عنك فانى لست بالصاح
اللسان (٣/٤٠٥) ، البكرى ، معجم (٤/٥٧٥) ، المخصص (١٣/١٠٢) .
٥ غرائب اللغة (ص ٢٠٣) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثانى ، القسم الاول (ص ٢١٢ ، ٢١٤) .
٦ البلدان (١/٣٤٥) .
٧ البلدان (١/٣٤٥) .

بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلّون فيها [1] . وقد وردت لفظة المحراب في أشعار بعض الجاهليين [2] . كما وردت في القرآن الكريم [3] ، وفي الشعر الجاهلي [4] .

وذكر علماء التفسير أن المحراب كل موضع مرتفع . وقيل للذي يصلي فيه : محراب ، وذكروا أن المحاريب دون القصور ، وأشرف بيوت الدار . قال عدي ابن زيد العبادي :

كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير [5]

وذكر علماء العربية لفظة (التامور) (التأمور) ، في جملة الألفاظ المتعلقة بالرهبان والرهبنة . وقد عرفها بعضهم بأنها صومعة الراهب وناموسه [6] .

وذكر أن (القوس) ، بمعنى الدير والصومعة أو موضع الراهب . أو معبد الراهب [7] . وذكر أن أصل الكلمة من الفارسية [8] .

وذكر أن (الغربال) ، هو مكان أيضاً من أمكنة الرهبان ، وأنه كهيئة الصومعة في هندسة بنائه وارتفاعه . وأنه كل بناء مرتفع . ويظهر أنها من الألفاظ المعربة [9] .

والاسطوانة ، وهي السارية من الألفاظ النصرانية التي وقف عليها الجاهليون . وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبد فوقه بعض الرهبان المعروفين بالعموديين Stylites . وقد أشير الى (اسطوان) في شعر نسبوه الى (ذي الجدن) . وفسرت لفظة (الاسطوان) ، و (الاسطوانة) ، بأنها موضع الراهب المرتفع [10] .

---

١ النصرانية ، الجزء الثاني القسم الاول (١٧٤) .
٢ اللسان (١/٣٠٥) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٧٤) ، اللسان (٧/١٧) .
٣ آل عمران ، الآية ٣٧ ، ٣٩ ، مريم ، الآية ١١ ، ص ، الآية ٢١ .
٤ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٧٤) .
٥ تفسير الطبري (٢٢/٤٨) ، تفسير القرطبي (١٤/٢٧١) .
٦ النصرانية وآدابها ، القسم الناني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، تاج العروس (٣/٢٠) ، (أمر) .
٧ اللسان (٨/٦٩) ، معجم البلدان (٤/٢٠٠) .
٨ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الناني ، القسم الاول ، (ص ٢١٤) .
٩ تاج العروس (٧/٤١٦) ، البلدان (٣/٥٢٥) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢١٣) .
١٠ النصرانية ، الجزء الناني ، القسم الاول (٢١١) ، البلدان (١/٣٤٥) ، المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) .

و (المنهمة) مسكن النهّام ، والنهامي ، هو الراهب . وأمـا المنهمة فموضع الراهب[1] .

ووردت في شعر للأعشى لفظة (الهيكل) . إذ قال :

وما أيبلي على هيكل بناه وصلّب فيه وصارا[2]

ويذكر علماء اللغة ، ان الهيكل : بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى ، وربما سُمّي به ديرهم . وان الهيكل:العظيم واستعمل للبناء العظيم ، ولكل كبير ، ومنه سمي بيت النصارى الهيكل[3] . واللفظة من الألفاظ المعربة ، وهي ترد في العبرانية (هيكل) وفي الآرامية (هيكلو) . وتعني في اللغتين المعبد الكبير ومعبد الوثنيين[4] .

وقد كان الرهبـان وبقيـة رجال الدين وكذلك الأديرة والكنائس يستعملون المصابيح والقناديل للاستضاءة بهما . ويعبر عن المصباح بالسراج كذلك[5] . وقـد تركت مصابيحهم وقناديلهم أثراً ملحوظاً في مخيلـة الشعراء فأشير اليها في شعر (مزرد بن ضرار الذبياني) حيث قيل انه قال :

كأن شعاع الشمس في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القناديل[6]

وذكر علماء اللغة ان الزيت الذي له دخان صالـح ويوقد في الكنائس ، هو (السليط)[7] .

ولفظة : قنديل من الألفاظ المعربة ، أصلها يوناني هو : « Candela »،أي شمعة[8] . وقد دخلت الى العربية قبل الاسلام ، عن طريق الاتصال التجاري بين جزيرة العرب وبلاد الشأم .

---

١ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢١٤) .
٢ اللسان (٦/١٤٤) ، الأضداد (٢٤) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٣) .
٣ المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) ، اللسان (١٤/٢٢٥) ، العقد الثمين (١٨) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٢) .
٤ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٢) ، غرائب اللغة (٢٠٩) .
٥ المفردات ، للاصفهاني (ص ٦٧٤) .
٦ المفضليات (٣٦) « طبعة السندوبي » .
٧ تاج العروس (٥/١٥٨) ، اللسان (٧/٣٢٠) ، (سلط) .
٨ غرائب اللغة (٢٧٩) .

وكان النصارى العرب يتقربون الى رجال دينهم ويتبركون بهم ويحترمونهم حتى قيل إن الصبيان منهم كانوا إذا رأوا الراهب ينزل ليذهب الى بيت المقدس أو غيره خرجوا له فتمسحوا به ولثموا ثيابه ، حتى يمزقوا أثيابه . والى ذلك أشير كما يقول أهل الأخبار – في شعر امرىء القيس :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس[1]

ولبس رجال الدين ملابس خاصة لتميزهم عن غيرهم ، غلب عليها السواد. وقد اختصت لفظة (المسح) و (المسوح) بالملابس التي كان يلبسها الزهّاد والرهبان .

ومن أهم العلامات الفارقة التي ميزت معابد النصارى عن معابد اليهود والوثنيين: (الناقوس) ، الذي ينصب فوق سطوح الكنائس وفي منائرها ، للاعلان عن أوقات العبادات ولأداء الفروض الدينية ، وهو عند الجاهليين خشبة طويلة يقرع عليها بخشبة أخرى قصيرة يطلقون عليها لفظة (الوبيلة) و (الوبيل) . وهو في مقابل البوق عند يهود يثرب ، اذا أرادوا الاعلان عن موعد العبادة . وقد عرف هذا البوق بين عرب يثرب بـ (القنع) أيضاً[2] ، وبـ (الشبور)[3] . وقد ذكر علماء اللغة ان الشبور « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقربون به». وقال بعضهم : هو القربان بعينه . وذكروا ان الشبور شيء ينفخ فيه ، فهو البوق عند اليهود ، وهو معرّب وأصله عبراني[4] .

وقد وردت كلمة (الناقوس) في الشعر الجاهلي : وردت في بيت للشاعر المتلمس[5]،

---

١ المعاني الكبير (٢/٧٦٤) .

٢ القنع ، وورد القبع والفنع والفنع ، اللسان (١٠/١٣١) .

٣ عمدة القارىء (٥/١٠٢ وما بعدها) ، اللسان (٨/١٢٦) .

٤ اللسان (٦/٥٩) ، تاج العروس (٣/٢٨٩) ، (شبر) ، « وقد نفس بالوبيل النافوس » ، تاج العروس (٤/٢٦٢ وما بعدها) .

٥ حنت فلوصي بها والليل مطرق بعد الهدو وشافتها النوافيس

ديوان المتلمس (١٧٨) ، (طبعة فولرس) ، (لايبزك ١٩٠٣) .

وفي شعر للمرقش الأكبر[1] ، وللأعشى[2] ، وللأسود بن يعفر[3] . وقد أشير في هذه الأبيات الى قرع النواقيس بعد الهدوء إيذاناً بدنو الفجر وحلول وقت الصلاة . وقد كانت هذه النواقيس في القرى وفي الأديرة ، يقرعها الرهبان والراهبات والقسيسون[4] . وقد أدخل بعض علماء اللغة هذه الكلمة في جملة الألفاظ المعربة التي دخلت العربية من أصول أعجمية[5] . واللفظة من أصل (سرياني) هو (ناقوشا)[6] .

أعياد النصارى :

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء أعياد نصرانية ترجع أصول تسميتها في الأكثر الى لغة بني إرم، ويظهر أن أولئك الأخباريين تعرفوا عليها في الاسلام باختلاطهم وباتصالهم بالنصارى ، إذ لم يشيروا الى ورود أكثرها في الشعر الجاهلي ، ومن عادتهم أنهم إذا عرفوا شيئاً كان معروفاً عند الجاهليين جاؤوا ببيت أو أبيات يستشهدون بها على ورودها عند الجاهليين .

ومن الأعياد التي ورد فيها شاهد في الشعر الجاهلي ، (السباسب) ، وهو (يوم السعانين) و (الشعانين) . وقد وردت كلمة السباسب في بيت للنابغة قاله في عيد السعانين عند بني غسّان ، هو :

---

١ وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقس
المفضليات (٤٦٥) ، النصرانية (٢٠٧) .

٢ وكأس كعين الديك باكرت حدها بعتيان صدق والنوافيس تضرب
تاج العروس (٢/٣٣١) ، (حد) ، ويروى لعنترة ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (١٧٩) ، (طبعة الوردت) ، (Ahlwardt) ، (باريس ١٩١٣)، النصرانية (٢٠٧) .

٣ وقد سبأت لفتيان ذوي كرم قبل الصباح ولما تفرع النقس
اللسان (٨/١٢٦) ، (نقس) ، تاج العروس (٤/٢٦٣) .

٤ النصرانيه (٢٠٧) .

٥ عمدة القارىء (٥/١٠٣) ، المعرب (٣٣٩)) .

٦ Shorter Ency., p. 437.

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب[1]

و (السعانين) و (الشعانين) من أصل عبراني (هوشعنا) . وقد وردت هذه الكلمة في صحيفة صلح (عمر) مع نصارى الشأم ، وردت معها لفظة أخرى من الألفاظ النصرانية كذلك هي (الباعوث)[2] ، وهي رتبة تقام في اليوم الثاني من عيد الفصح[3] ، وصلاة لثاني عيد الفصح في بعض الطوائف[4] . وقد ذكرها علماء اللغة في جملة الألفاظ المعربة ، والإرمية الأصل ، وجعلها بعضهم (الباغوث). وذكروا انها (استسقاء النصارى) ، وان (عمر) لما صالح نصارى الشام ، كتبوا له ان لا نحدث كنيسة ولا قلية ولا نخرج سعانين ولا باعوثاً[5] .

و (خميس الفصح) من أعياد النصارى كذلك . وهو بعد السعانين بثلاثة أيام ، وكانوا يتقربون فيه بالذهاب الى الكنائس والبيع[6] .

وقد أشير الى عيد (الفصح) في بيت للأعشى يمدح فيه (هوذة بن علي) لتوسطه لدى الفرس بالافراج عن مئة أسير من أسرى بني تميم همّ الفرس بقتلهم ، وذلك لمناسبة يوم الفصح . وقد كان نصارى الجاهلية يحتفلون به ، فيوقدون المشاعل ، ويعمرون القناديل ، ويضيئون الكنائس بالمسارج ويقصدونها للاحتفال بها ، حتى قيل للقنديل الذي يعمر لهذا اليوم (قنديل الفصح)[7] .

---

١ « والسباسب أيام السعانين . وفي الحديث ان الله تعالى أبدلكم بيوم السباسب يوم العيد . يوم السباسب عيد للنصارى ، ويسمونه يوم السعانين » ، تاج العروس (١/٢٩٣) ، النصرانية (٢١٥) ، غرائب اللغة (٢١٢) ، عن « أحد الشعانين » راجع المشرق : السنة الثامنة ، الجزء ٨ ، السنة ١٩٠٥ م ، (ص ٣٣٧ وما بعدها) .

٢ « أن لا يحدثوا كنيسة ولا قلية ، ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثا » ، « ويوم السعانين عيد للنصارى . وفي حديث : شرط النصارى ولا يخرجوا سعانين . قال ابن الأثير: هو عيد لهم معروف . قبل عيدهم الكبير باسبوع . وهو سرياني معرب . وقيل : هو جمع واحده سعنون » ، اللسان (١٧/٧١) ، (سعن) ، (١٣/٢٠٩) ، (صادر) .

٣ النصرانية (٢١٧) .

٤ غرائب اللغة (١٧٣) .

٥ اللسان (١٣/٢٠٩) ، تاج العروس (١/٩٠٣) ، (بعث) ، اللسان (٢/١١٨) ، (بعث) .

٦ الاغاني (٣/٣٢) ، النصرانية (٢١٦) .

٧ قال عدي بن زيد العبادي :

بكروا علي بسحرة فصحبتهم بانا ذي كرم كعقب الحالب
بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب

الاغاني (٩/٥٣) ، اللسان (٣/٣٧٨) ، النصرانية (٢١٦) . وورد في شعر لأوس بن حجر :

عليه كمصباح العزيز ينسبه لفصح ويحشوه الذبال المفتلا

شعراء النصرانية (٤٩٤) ، النصرانية (٢١٦) .

وقيل لاجتماع النصارى واحتفالهم (الهنزمن) ، وذكر أن هذه اللفظة من أصل فارسي هو (هنجمن) أو (أنجمن) ، ومنها دخلت الى السريانيـة فأطلقت على اجتماع النصارى واحتفالهم وتعييدهم[1] .

وقد أشار امرؤ القيس في بعض شعره الى عيد النصارى ، ولبس الرهبان فيه ملابس طويلة ذات أذيال[2] .

وكانت الكنائس والأديرة والأضرحة والمقابر الأماكن التي يقصدهـا النصارى في أعيادهم . فتكـون موضع تجمع ولقاء . كانوا يقصدونها للتقرب الى الرب وللصلوات له . وللتوسل اليه بأن يمن عليهم ويبارك فيهم . وكانوا يقصدون المقابر اظهاراً لشعورهم بأن موتاهم وان فارقوهم وابتعدوا عنهم ، غير أنهم لا زالوا في قلوبهم . وأيام الأعياد من أعز الأيام على الانسان ، لذلك فهي أجدر الأيام بأن تخصص لزيارة بيوت الأرباب وبيوت الموتى : القبور .

---

١ قال الاعشى :

اذا كان هنزمن ورحت مخشـما

اللسان (١٧/٣٢٩) ، تاج العروس (٩/٣٦٨) ، النصرانية (٢١٧) .

٢ فآنست سـربا من بعيد كأنه رواهب عيـد في مـلاء مهدب

النصرانية (١٧٣) .

الفصل الثاني والثمانون

أثر النصرانية في الجاهليين

وإذا كنا قد حُرمنا من الموارد الأصلية التي يجب أن نستعين بها في معرفة أثر النصرانية عند نصارى الجاهلية والجاهليين ، فإن في الشعر المنسوب إلى بعض نصارى الجاهلية مثل عدي بن زيد العبادي والى بعض الشعراء ممن كان لهم اتصال بالنصارى مثل الأعشى ، فائدة في تكوين صورة يتوقف صفاؤها ووضوحها وقربها أو بعدها من الواقع والحق على مقدار قرب ذلك الشاعر من الصدق والصواب والواقع والافتعال .

وعدي بن زيد هو أشهر من وصل الينا خبره من شعراء النصارى الجاهليين . هو من العباديين ، أي من نصارى الحيرة ، ولذلك عرف بالعبادي . كان من أسرة اكتسبت نفوذاً واسعاً ونالت حظاً كبيراً عند الفرس وعند ملوك الحيرة ، فكان لها أثر خطير في سياسة عرب العراق في ذلك الزمن . ولما كانت السياسة ارتفاعاً وهبوطاً ، سعادة وشقاء ، لاقى عدي منها الاثنين : ارتفع حتى بلغ أعلى المنازل ، ثم انخفض حتى تلقاه قابض الأرواح وهو في سجنه فقضى عليه بعد أن ترك أثراً خطيراً في سياسة الحيرة وفي تقرير مصير الملك فيها . وعدي ، على ما يذكر أهل الأخبار ، من أهل اليمامة في الأصل : هاجر أحد أجداده من اليمامة الى الحيرة بسبب دم أهرقه هناك ، فخاف على نفسه من الثأر ، ولم يجد محلاً أصلح له وآمن مقاماً من الحيرة ، لوجود (أوس بن قلام) أحد رؤساء بني الحارث بن كعب فيها ، وهو من أصحاب الجاه والنفوذ ، وبينه وبين أوس

نسب من النساء ، وهو نسب يضمن له الحماية والعيش بسلام ، فجاء الى الحيرة وأقام بها حيث أكرمه أوس وقربه الى آل لخم ، واكتسب منزلة عالية عند ملوك الحيرة ، انتقلت من بعده الى أبنائه الذين كوّنوا لهم صلات وثيقة مع آل لخم ومع ملوك الفرس ، بما كان لهم من علم وذكاء وحسن سياسة . ويذكر الأخباريون أن جدّ عدي قد تعلم الكتابة في الحيرة ، فصار من أكتب الناس فيها ، وأنه لذلك انتخب كاتباً لملك الحيرة ، واتصل بحكم وظيفته المهمة هذه بدهاقين الفرس ، وأنه لما توفي أوصى بابنه زيد والد عدي الى واحد منهم يعرف بـ (فروخ ماهان) فأخذه هذا الى بيته ، ورباه مع ولده . فتعلم عندهم الفارسية ، وحذقها وكتب بها وبرّز ، وكان قد حذق الكتابة بالعربية كذلك ، فأوصله الدهقان الى كسرى ، لعلمه هذا باللغتين ولذكائه ، فعينه في وظيفة مهمة لم يكن الفرس يعينون لها أحداً من غيرهم هي وظيفة البريد . وقد مكث في هذه الوظيفة زماناً جعلته يكتسب منزلة محترمة عند عرب الحيرة والفرس .

وعُني زيد بتربية ولده عدياً : أرسله الى الكتّاب ليتعلم به العربية . فلما برع فيها ، أرسله الى كتاب الفارسية حيث تعلم مع أبناء المرازبة فنون القول والكتابة ، ثم تعلم الرماية ولعب الفرس حتى صار من المبرزين فيها . وقد قربه علمه وعقله من آل لخم ومن الفرس حتى وصل الى مناصب عالية جعلت لقوله أهمية كبيرة حتى في تثبيت ملك ملوك الحيرة .

وقد أرسله (هرمز بن أنو شروان) في سفارة مهمة إلى القيصر (طيباريوس) فأدّاها على خير وجه . وعاد فأقام أمداً بالشأم ، ووقف على ما كان فيها من علم ومعالم . وقد زادت هذه الأسفار بالطبع في سعة أفقه وفي ثقافته . ثم عاد الى الحيرة ، فوجد والده قد توفي بعد ان صار المهيمن الحقيقي على البلاد . وزار كسرى ليقدم اليه هدايا قيصر . وارتفع نجمه في البلاطين . وتزوج هنداً بنت الملك النعمان . غير ان تقدمه هذا أوجد له خصومة شديدة من منافسيه (بني مرينا) وهم نصارى مثله ومن أهل الجاه والحسب ، فأغرى خصمه ومنافسه العنيد (عدي بن مرينا) قلب النعمان عليه . وكان عدي بن زيد صاحب الفضل في حصول النعمان على تاج . وظل (ابن مرينا) يعمل في الخفاء للقضاء على عدي ،

حتى تمكن من ذلك ، إذ سجنه النعمان ، ثم أمر فاغتيل وهو في السجن[1] .

وذكر ان (كسرى) جعله كاتباً على ما يجتبى من الغور ، وكان هو سبب ملك النعمان بن المنذر[2] .

والذي يهمنا في هذا الموضع من أمر عدي هو مدى وقوف عدي على النصرانية ومبلغ تسربها في نفسه وفي نفوس أهل الحيرة . أما النواحي الأخرى من حياته ، فليس لها محل في هذا المكان . وشعر عدي وأضرابه من العباديين هو سندنا الوحيد الذي نستخرج منه رأينا في النصرانية عند عدي وعند اخوانه العباديين .

والشعر المنسوب الى عدي أقرب إلى نفوسنا وأسهل علينا فهماً من الشعر المنسوب إلى بقية الجاهليين ، معانيه وألفاظه حضرية متحررة من الأساليب البدوية التي تميل إلى استعمال الجزل من الكلمات ، وهو يخالف مذاهب أولئك الشعراء في كثير من الأمور . ولهذا « كانت الرواة لا تروي شعر أبي دُؤاد ولا عدي بن زيد لمخالفتها مذاهب الشعراء »[3] ، و « لأن ألفاظه ليست بنجدية »[4] . وقد ورد في شعره بعض المعربات مما يدل على أثر الفارسية والإرمية فيه[5] . وكثير من شعره هو في الزهد ، وفي التذمر من هذه الدنيا التي لا تدوم حالها على حال ، وفي تذكير الأحياء بنهاية الأموات بالرغم مما أقاموه وشيّدوه من أبنية ضخمة وقصور شاهقة . وهذا الشعر يتناسب مع ما يذكره أهل الأخبار عن حياة هذا الشاعر وتألق نجمه وبلوغه أعلى المراتب ثم سقوطه فجأة ودخوله السجن واغتياله فيه . وفي شعره قصائد في القيان وفي الخمر تتحدث عن الحياة التي قضاها قائلها، وهي حياة لذيذة ولكنها لا تدوم بالطبع إلى الأبد ، ولا بد لها ان تزول ثم تنتهي بما

---

١ المشرق ، الجزء الاول ، كانون الاول ١٩٤٤ ، (ص ٣٦ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (٤٢٦ وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية في الجاهلية حتى عصر بني اميه (ص ٧٢) ، (القاهره ١٦٥٤) ،
Ency., I, p. 137, Brockelmann, I, S. 29, Rothstein, S. 109, Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden, S. 512, Islamic Culture, IV, p. 31. ff.

٢ نوادر المخطوطات ، أسماء المغتالين (١٤٠) .

٣ الاغاني (١٥/٩٣) ، (مطبعة التقدم) ، (ذكر أخبار أبي دؤاد الايادي ونسبه) ، نالينو (٧٤) .

٤ ابن قتيبة ، الشعر (١١٥) .

٥ نالينو (٧٤) .

يوجب الأسف عليها والألم والتوجع من فنائها ومن ذهاب تلك الأيام .

أما صميم الديانة والآراء النصرانية الخاصة ، وهي ضالتنا في هذا الفصل وهدفنا الذي نقصده ، فلا تجد منها في شعره الموثوق بصحته شيئاً كثيراً . ونحن لا نستطيع بالطبع ان نلوم عدياً على ذلك ، فعدي كما نعلم رجل شعر وسياسة،وليس برجل دين ولا كهانة فيتعمق في شعره بإيراد تواريخ الأنبياء والأوامر والنواهي الإلهية الواردة في التوراة والانجيل . ولم يذكر أحد من الأخباريين عنه انه كان كاهناً أو قسيساً فنأمل منه التطرق في شعره الى موضوعات اللاهوت والكهنوت . فما نجده في شعره عن النصرانية هو من حاصل المناسبات والظروف ، وليس من حاصل بحث متعمد قصد به البحث في الدين من أجل الدين .

ولو كان عديّ قد تعرض للنصرانية عنده وبين قومه لأفادنا ولا شك كثيراً . وما زلنا في الواقع فقراء في ناحية علمنا بمبلغ فهم أهل الحيرة وغير أهل الحيرة من نصارى العرب في الجاهلية لأحكام النصرانية وقواعدها ، ومقدار رسوخها في نفوس أولئك النصارى ولا سيما الأعراب منهم . ولكن عذره كما قلت بيّن واضح، وليس لنا أن نلومه . وما جاء به عن النصرانية في شعره على كل حال مفيد ، أفادنا ولا شك . فلنكن قنوعين غير طامعين ، مكتفين بما أورده عدي عنها في شعره ، ولننظر الى المستقبل ، فهو أملنا الوحيد ، فلعلّه يكشف عن مصادر كتابية مطمورة ، يبعثها من قبورها المغمورة بالأتربة المتراكمة ، وعندئذ تكون أمام المؤرخ ثروة تغنيه،يستطيع أن يظهرها العشاق للمولعين بمعرفة أحوال الماضين .

وقد ورد في قصيدة قيل انه نظمها في معاتبة النعمان على حبسه بيت فيه قسم برب مكة والصليب :

سعى الأعداء لا يألون شراً عليك ورب مكة والصليب[1]

وهذا البيت يدعو الى التأمل والتفكير ، فرجل نصراني يؤمن بعيسى وبالصليب، لا يمكن أن يقسم برب مكة . فمكة كما نعلم مجمع الأصنام والأوثان وكعبة الوثنية في الجاهلية ، فكيف يقسم بربها رجل نصراني يرى الأوثان والوثنية رجساً من عمل الشيطان وكفراً . بل لو فرضنا أنه أقسم بمكة وبرب مكة على سبيل مجاراة

---

١ شيخو ، شعراء النصرانية (٤٥١) .

العرب الوثنيين وتقرباً الى الملك النعمان ، فليس لدينا دليل مقنع يفيد أن وثني الحيرة كانوا يؤمنون برب مكة . ولم يذكر أحد من أهل الأخبار ان أصنام أولئك الوثنيين كانت بمكة ، وأن أهل الحيرة كانوا يزورون مكة ويحجون الى (رب البيت) في جملة من كان يحج اليه من العرب . ولم يرد في روايات أهل الأخبار ان الملك (النعمان) كان وثنياً مؤمناً بقدسية مكة وأنه حج اليها حتى نذهب الى الفرض بأن عدياً ، إنما أقسم بمكة ، مجاراة لهذا الملك ، بل الوارد فيها أنه كان على دين النصرانية ، وانه كان مؤمناً بهذا الدين ، يزور الأديرة ويحضر الصلوات ورجل على هذا النحو من التدين لا يمكن بالطبع أن يحفل بقسم ببيت من بيوت الأصنام . ثم ان مصطلح (رب مكة) ، هو مصطلح اسلامي ، أخذ من عقيدة التوحيد في الإسلام ، فقيل : (رب البيت) و (رب هذا البيت)[1] .

لقد اتخذ الأب (شيخو) هذا البيت دليلاً على انتشار النصرانية في مكة وعلى تنصر أحياء منها ، وعلى ان النصرانية قديمة فيها ، بل يكاد يفهم من قوله ان البيت هو في الأصل كنيسة بنيت بعد المسيح بعهد قليل : بناها النصارى الذين جاءوا إلى هذه المدينة وسكنوها ، وان صور الأنبياء وصورة عيسى وأمه مريم التي ذكر الأخباريون انها كانت مرسومة على جدار الكعبة والتي أمر الرسول بطمسها ومحو معالمها هي دليل على أثر النصرانية في مكة ، ولهذا كان النصارى الجاهليون يحجون اليها ويقدسونها ، ولهذا السبب أقسم[2] عدي بها ، وأقسم الأعشى بها كذلك حيث قال :

حلفت بثوبي راهب الدير والتي بناها قصيٌّ والمضاض بن جرهم

وذكر ان من شعر (عدي) هذا البيت :

كلا يميناً بذات الودع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا[3]

وقد اختلف العلماء في مراده بـ (ذات الودع) ، فذهب بعض منهم الى

---

١ « فليعبدوا رب هذا البيت » ، سورة قريش ، الآية ٣ .

٢ النصرانية (ص ١١٨) ، وفي الديوان :
فاني وثوبي راهب اللج والتى بناها قصى وحده وابن جرهم
ديوان الأعشى (ص ٩٥) .

٣ تاج العروس (٥/٥٣٤) ، (ودع) .

ان (ذات الودع) الأوثان ، أو وثن بعينه ، وقيل سفينة نوح ، وكان يحلف بها ، وكانت العرب تقسم بها ، وتقول : بذات الودع . وقيل الكعبة ، لأنه كان يعلق الودع في ستورها [1] .

ولم يرد في شعر عدي شيء ما يتحدث عن عقيدة التثليث ، أي الايمان بالثالوث. وكل ما ورد فيه هو الاشارة الى عقيدة بوجود رب واحد هو (الله) . وهو رب مستجيب مسبّح خلاق [2] . وهذا الرأي اسلامي كما هو معلوم ، وقريب من عقيدة الحنفاء .

ووردت في بيت شعر وجهه الى النعمان كلمة (أبيل) [3] ، وأبيل اسم للمسيح، ويطلق على حبر النصارى أيضاً،ومعناها الناسك والزاهد . وهي من أصل سرياني، من فعل (ابل) بمعنى ناح وبكى على خطاياه،ولذلك قصد بها الناسك والراهب [4]. وقد دعا الأعشى ضارب الناقوس : الأبيل [5] .

ونسب لعدي هذا البيت :

وأهبط اللهُ إبليساً وأوعـــده ناراً تلهب بالأسعار والشرر [6]

---

١ المصدر نفسه .

٢ فانـي قد وكلت اليـوم أمري الى رب قـريب مسـتجيب
...
أجـل ان اللـه قد فضـلكم فوق من أحـكا صلبـا بـازار
...
واذهبـي يا أميـم ان يشأ اللـ ـه بنفسي من أزم هـذا الخناق
أو تكن وجهه فتلك سبيل النـ ـاس لا تمنع الحتـوف الرواقي
...
ليس شـيء على المنـون بباق غـير وجـه المسيـح الخـلاق
شعراء النصرانية (٤٥٢ ، ٤٥٤) ، النصرانية (١٦٢) .

٣ انني واللـه فابـل حلفـي لأبيـل كلمـا صـلى جـار
وروي:
انني والله فاقبـل حلفتـي بأبيـل كلمـا صـلى جـار
شعراء النصرانية (٤٥٣) ، النصرانية (١٩٤) .

٤ تاج العروس (١٩٩/٧) ، (ابل) ، اللسان (٦/١٣) ، مرمرجي ، معجميات عربية سامية (١٣١ وما بعدها) .

٥ فاني ورب السـاجدين عشيـة وما صك ناقوس الصـلاة أبيلها
النصرانيه (٢٠٨) .

٦ النصرانية (١٦٨) .

ولم ترد كلمة (ابليس) في شعر منسوب لشاعر جاهلي آخر ، إنما وردت كلمة (شيطان) في شعر منسوب الى أميّة بن أبي الصلت .

ونسب الى عدي هذا البيت :

ناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تقتنع[1]

ويظهر من دراسة الشعر المنسوب لعديّ أنه كان على مذهب القائلين بالقضاء والقدر . فكل كائن خاضع لحكم القدر ، يفعل به ما يشاء ، ليس في إمكانه ردّ شيء مقدر كائن عليه . وقد رسخت هذه العقيدة في نفس عدي ولا شك بعد أن زجّ به في السجن ، وأصبح وحيداً لا يدري ما الذي سيصنع به . وهي عقيدة يسلم بها أكثر من يقع في مثل هذه الظروف ، لأنها تفرج عن النفس ، وتخفف بعض التخفيف عما ينتاب المرء وهو في هذه الحالة من هموم وأحزان . والإيمان بالقدر وبأن الانسان مسير مجبر ، عقيدة لها صلة كبيرة بالظروف الاجتماعية وبالأحوال التي تحيط بالانسان ، وهي ليست من الآراء الدينية الخالصة .

ونسبت لعدي أبيات فيها حكايات من العهد العتيق ، مثل هذه الأبيات وهي في مبدأ الخلق :

اسمع حديثاً لكي يوماً تجاوبه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
أن كيف أبدى إلـه الخلق نعمته فينا وعرّفنا آياته الأولا
كانت رياحاً وماءً ذا عُراثية وظلمة لم يدع فتقاً ولا خللا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت وعزّل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها تحت السماء سواء مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة ايام خلائقه وكان آخر شيء صوّر الرجلا[2]
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا[3]

---

١ شعراء النصرانية (٤٧٢) .

٢ قضى لستة أيام خليفته وكان آخرها أن صور الرجلا
الحيوان (٤/١٩٨) ، (عبد السلام محمد هارون) .

٣ البدء والتأريخ (١/١٥٠ وما بعدها) ، النصرانية (٢٥٤) ، وتجد في النص بعض الاختلاف عن النص الذي تجد في كتاب النصرانية ، وفي المراجع الاخرى .

وطابع هذا النظـــم وأسلوبه يفصحان انه نظم من النوع التعليمـــي الديني ، لا أدري أكان شاعرنا يعترف به وينسب إلى نفسه؟ أما أنا ، فلا أرى انه لشاعر عربي عاش قبل الاسلام .

ونجد في شعر (عدي) نزعة من نزعات التصوف والتأمل ، جاءت اليه من الأوضاع التي أحاطت به ، من وشايات ، ومن غضب الملك عليه ومن سجن ، بعد ان كان السيد المهيمن . حتى صار الدهر عنده حالاً بعـــد حال . لا يدوم صفاؤه لأحد ، فلا يركن أحد اليه ، ولا يغتر إن وجد نفسه في أعلى عليين ، فقد يسقط غداً إلى أسفل سافلين[1] .

وهناك شاعر آخر اسمه (الملمس بن عبد المسيح) يدل اسم أبيه على أنه كان نصرانياً ، غير أن هناك رواية أخرى تذكر ان اسم والده (عبـــد العُزى)[2] . وعبد العُزى من أسماء الوثنيين كما هو معروف . ثم اننا لا نجد في شعره ما يشير الى آراء وعقائد نصرانية يمكن أن يستنبط منها أنه كان نصرانيـاً . ورجل يحلف في شعره باللات والأنصاب لا يعقل أن يكون نصرانياً[3] .

أما الأعشى ، فهو شاعر عاش في الجاهلية ، وأدرك أيام الرسول . ومـدحه بقصيدة جميلة مشهورة ، جعلت أبا سفيان يحرض قومه على ارضائه خوفاً من ان يسلم ومن أن ينظم شعراً آخر في مدح الرسول وفي ذم قريش ، فجعـل له مائة من الإبل جمعها من قومه على أن يرجع ويؤجل أمر إسلامه عامـــاً . فرجع الى بلدته (منفوحة) باليمامة ، وكان قد ولد بها ، فمات بها بعد حين وعرف قبره بين الناس أمداً .

وكان الأعشى كما يروي أهل الأخبار جواباً في الآفاق ، عرف الحيرة ونادم ملوكها ، وزار النجاشي في أرضه ، وتجول في أرض النبيـــط وأرض العجم . وتنقل في أرجاء اليمن وفي حضرموت وعمان وبلاد العراق وبلاد الشأم ومتع نظره

---

١ العمدة (١/٢٢٣) .

٢ Vollers, Die Gedichte des Mutalammis, Leipzig, 1903, S. 149.

٣ أطردتني حـــدر الهجـــاء ولا واللات والأنصـــاب لا نـــل
ديوان المتلمس (١٧١) ، (طبعة فولرس) ، النصرانية (٤٠٤) .

بالآثار القديمة واتخذهـا عبرة للمعتبرين[1] . وقد وسعت هذه الأسفار آفاق نظره وعرفته على شعوب متعددة وعلى آراء ومعتقدات متنوعة . ومنها هذه النصرانيـة التي نبحث فيها .

وقد حمله اختلاطه بالنصارى العرب على الاشارة الى بعض طقوسهم وأحوال عباداتهم في شعره . وإلى ان يشير إلى قصص معروف بين أهل الكتاب ، وارد بينهم ، فذكره في شعره . فتراه يتحدث عن حمامة نوح وعن أخبار سليمان وعن جنّ سليمان وعن المباني القديمـة العادية المنسوبة اليه ، كـما تراه يشير إلى عادة النصارى في الطواف حول الصليب أو تمثال المسيح[2] . ثم تراه يشير إلى الصليب نصبه الراهب في الهيكل بعد ان زيّنه بالصور[3] .

وفي الشعر المنسوب اليه إقرار بإلـه واحد كريم[4] ، ونهي عن عبادة الأوثان ومن التقرب منها[5] ،وفيه ان الرب يكفي الانسان ويرعاه ويساعده في حله وفي ترحاله[6] ،

---

١ وقـد طفـت للمـال آفاقـه عمـان فحمـص فأوري شـلم
أتيت النجاشـي في أرضـه وأرض النبيـط وارض العجم
فنجران فالسـرو من حميـر فـأي مـرام لـه لـم أرم
ومن بعـد ذاك الى حضرمـوت فأوفيـت همى وحينـا أهـم
ألم تـرى الحضـر الا أهلـه بنعمـى ، وهـل خالد من نعـم ؟
أقـام به سـابور الجنـود حولـين يضـرب فيـه القـدم
فمـا زاده ربـه قـوة ومتـل مجـاورة لم بقـم
ديوان الاعشى « طبعة رودولف كابر » ، (ص ٣٣ وما بعدها) .
قد طفت ما بين بانقيـا الى عدن وطال في العجم ترحالي وتسياري
ديوان الاعشى (١٢٦) .

٢ قال في مدحه « قيس بن معديكرب الكندي » :
تطـوف العفـاة بأبـوابه كطوف النصـارى ببيت الوثن
ديوان الاعشى (١٩) ، اللسان (١٧/٣٣٤) ، (ونن) .

٣ ومـا أيبـلى عـلى هيـكل بنـاه وصلب فيـه وصـارا
ديوان الاعشى (٤٠) ، النصرانية (٢٠٤) ، بروكلمان ، تاريـخ الادب العـربى (١/١٤٧ وما بعدها) .

٤ ربـي كريـم لا يـكدر نعمـة فاذا تنوشد في المهـارق أنشدا
النصرانية (١٦٢) .

٥ وذا النصب المنصوب لا تسكننه ولا تعبـد الأوثان ، والله فاعبدا
النصرانية (١٥٩) .

٦ ولـكن ربي كفـى غربتـي بحمـد الاله فقـد بلغـن
ديوان الأعسى (١٧) .

وان الانسان عبده[1] . وان الفناء واقع على كل امرىء ، وليس أحد في هذه الدنيا بخالد ، ولو كان الخلود لأحد لكان لسليمان[2] . وفيه حديث عن البعث والحساب يوم الدين .

ونجد في شعره معرفة بنوح وبسفينته ، أشار الى نوحٍ في مدحه إياساً حيث خاطبه بقوله :

جزى الإلـه إياساً خـير نعمته كما جزى المرء نوحاً بعدما شابا
في فلكه إذْ تبداها ليصنعهـا وظلّ يجمع ألواحـاً وأبوابا[3]

فهل أخذ الأعشى رأيه هذا عن نوح من أهل الحيرة ؟ وهل كان في ذلك قاصداً متحدثاً مخاطباً رجلاً نصرانياً يعرف الحكاية والموضوع ؟ أو كان متحدثاً عن نوح حديث من يـدين به ويعتقد ، فهو رأيه ودينه . الواقع أن البت في ذلك أمر لا أراه ممكناً ما لم تتجمع لنا موارد تأريخية كثيرة ، ليتمكن المرء من استنتاج رأي واضح في أمثال هذه الموضوعات المعقدة ، التي لم تدرس مظانهـا المدوّنة ، ولم تنتقد حتى الآن .

وقد ذهب (كاسكل) « Caskel » إلى ان (الأعشى) كان نصرانياً . وذهب الأب (شيخو) هذا المذهب أيضاً ، وجوّز (بروكلمن) تنصره ، لكنه ذهب إلى انه لم يكن متعمقاً في النصرانية[4] . وقد استدل (كاسكل) على نصرانيته من بيتين في ديوانه ، ومن بيت آخر ورد في قصيدة أخرى ، لا يمكن في الواقع ان يكون دليلاً على نصرانية قائله[5] .

وذكر انه كان قدرياً ، روى روايته (يحيى بن متى) وهو من عباد الحيرة ،

---

١ فأقسم بالـــذي أنا أعبـده لتصطفقن يومـا عليـك المآتم
ديوان الأعشى (٥٨) .

٢ ولو كان شيء خـــالدا ومعمرا لكان سـليمان البريء من الدهر
رآه الهـــي فاصـــطفاه عبادة وملـكه ما بين ثـريا الى مصـــر
وسخر من جـن الملائـكة تسعة قياما لديـه يعمـلون بلا أجـــر
ديوان الأعسى (٢٤٣) .

٣ شعراء النصرانية (٣٨٩) ، النصرانية (٢٦١) .

٤ تأريخ الادب العربي لبروكلمن (١٤٧/١ وما بعدها) .

٥ انظر البيتين ١٢ ــ ١٣ من القصيدة رقم ٣٤ بديوانه ، والبيت ٩ من القصيدة ١٣ بالديوان ، بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١٤٧/١) ، الترجمة العربية) .

انه أخذ مذهبه هذا في القدر من العباديين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقنوه ذلك . وقد استشهدوا على قوله هذا في القدر بهذا البيت:

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا[1]

وقد راجعت شعر (الأعشى) ، فلم أتمكن من استنباط شيء منه يدلني على مقدار علمه بالنصرانية وعلى مدى تعمقه أو تعمق غيره من النصارى بدينهم . فما ذكره مما له علاقة بالنصرانية ، هو شيء عام ، يأتي بخاطر كل شاعر ذكي جوّاب في الآفاق ، له احتكاك واتصال بالنصارى أو بغيرهم ، وهو لا يصلح ان يكون دليلاً على عقيدة ودين وفهم لذلك الدين .

وفي شعر (الجعدي) كلام عن سفينة نوح ، ذكر أنه قال :

يَرْفعُ ، بالقار والحديد من الـ ـجوز ، طوالاً جذوعها ، عُمما[2]

والنابغة الجعدي ، مخضرم ، يقال إنه كان مثل الحنفاء ، أنكر الخمر والميسر ، وهجر الأزلام والأوثان . وكان ممن فكر في الجاهلية ، وأنكر الخمر والسكر ، وهجر الأزلام واجتنب الأوثان ، وذكر دين ابراهيم . وقد لقي الرسول ، وأسلم وأنشده من شعره . وذكر أنه هو القائل القصيدة التي فيها :

الحمد لله ربي لا شريك له من لم يقلهـا فنفسه ظلـما

على نحو شعر أمية بن أبي الصلت ، وقد قيل إنها لأميّة ، لكن صححها حمّاد الراوية[3] .

ونجد في شعر آخرين من غير من ذكرت ألفاظاً وكلمات كانت معروفة عند النصارى وإشارات إلى عباداتهم وعاداتهم ، وردت في شعر (النابغة الذبياني) ولبيد ، وامرىء القيس ، وأوس بن حجر وآخرين غيرهم ممن طافوا في الأرضين وارتحلوا فوقفوا على بعض أحوال النصارى فأشاروا اليها في شعرهم .

---

١ الأغاني (٨/٧٩) ، بالبيو (١٧) .
٢ اللسان (١٢/٤٢٥) ، (عمم) .
٣ الاصابة ٣/٥٠٨) ، (رقم ٨٦٤١) ، أمالي المرتضى (١/٢٦٣ وما بعدها) ، المرزباني (٣٢١) .

ونجد في شعر (الأفوه الأودي) ، وهو صلاءة بن عمرو ، تسجيلاً لأبنـاء نوح . سجلهم مع من سجل أسماءهم من ملوك التبابعـة ممن دانت لهم الأنام ، فنجده يقول :

ولما يعصها سام وحـام ويافث حيثما حلت ولام[1]

ولا أدري إذا كان هذا البيت من نظم شاعر جاهلي ، هو الأودي ، أو من نظم شخص آخر نظمه على لسانه في الاسلام . ولكني لا أستبعد بالطبع أن يكون خبر أولاد نوح الثلاثـة . وهم : سام ويافث وحام ، قد عرف عنـد العرب النصارى وعند من كان على احتكاك واتصال بهم .

ونجد في بيت شعر ينسب لأفنون التغلبي ذكـراً لولد آدم[2] . وورود آدم في هذا البيت ، إن صح انه من شعر ذلك الشاعر الجاهلي ، دليل على وقوف هذا الشاعر على قصة آدم وانحدار البشر من نسله . ولا يستبعد ان يكون اذن قد وقف عليها باختلاطه ببني قومه تغلب ، وقد كان قسم كبير منهم قد دخلوا في النصرانية. ولا يستبعد أيضاً ان يكون بعض الوثنيين قد وقفوا أيضاً على قصة الخلق كما وردت في الديانتين من اختلاطهم بأهل الكتاب واتصال بهم .

وقد وردت ، في بيت آخر من قصيدة يقال انه قالها في رثاء نفسه ، لفظة (الله) في شكل يفهم منه انه كان يدين بالتوحيد ، وان الآجال كلها بيد الله[3] ، وأشار في بيت آخر إلى عاد وإرم ولقمان وجدن[4] .

وأشير في أشعار بعض الجاهليين الى تعبد النصارى وصلواتهم سجداً وقياماً، وهؤلاء الذين أشير اليهم من الرهبان والناسكين الذين كانوا قد اعتكفوا في الصوامع وفي

---

١ النصرانية (٢٦٦) ، عن الافوه الأودي راجع الاغاني (٤١/١١ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، الشعر (١١٠) ، ديوان الأفوه ، (القاهرة ١٩٣٧) ، (تحقيق عبد العزيز الميمنى) .

٢ فد كنت أسبق من جاروا على مهل من ولـد آدم ما لم يخلعـوا رسني
المفضليات (٥٢٤) ، النصرانية (٢٦١) ، شعراء النصرانية (١٩٣) .

٣ لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي اذا هو لم يجعـل له اللـه واقيا
شعراء النصرانية (١٩٣) .

٤ لو أنني كنت من عـاد ومن ارم ربيت فيهم ومن لقمـان أو حدن
شعراء النصرانية (١٩٣) .

البيع والأديرة النائية يعبدون الله ، ويدعون إلى الرب تقرباً وخشية[1] ، ومنهم من ترك السجود أثراً في جباههم . وقد أطلقوا على صلواتهم هذه اسم (الصلاة). وهي من الألفاظ التي أخذها أولئك النصارى من (بني إرم) ؛ وعرفت المواضع التي كانوا يسجدون فيها بالمساجد ، والمسجد هو الموضع الذي يتعبد فيه[2] .

وقد كان الركوع من العادات المعروفة عند الأحناف والنصارى[3] ، و «كانت العرب في الجاهلية تسمى الحنيف راكعاً إذا لم يعبد الأوثان ، ويقولون : ركع الى الله »[4] . وأما إحناء الرؤوس ، فكان للتعظيم ، ولذلك حنوا رؤوسهم في الكنائس ولرؤسائهم على سبيل الاحترام والتعظيم[5] . وقد كانوا يبجلون رؤوسهم وسادتهم كثيراً ، ولذلك نزل الوحي بتأنيبهم وتقريعهم ، إذ جعلهم هذا الاحترام في مصاف الآلهة والأرباب .

وتلحق بالصلاة التسابيح ، أي ذكر الله وتقديس اسمه ، وقد كان من عادة الرهبان التسبيح بعد الصلاة ، ولا سيما في الضحى والعشي[6] .

---

١ قال منظور الأسدي :

كأن مهواه على الكلكل ... موقع كفي راحب يصلي
في غبش الصبح أو النسلي

الألفاظ ، لابن السكيت (٤١٢) ، النصرانية (١٧٧) .

وقال البعيث :

على ظهر عادي كأن أرومه ... رجال يلون الصلاة قيام

تاج العروس (٥٣/١٠) ، اللسان (١١١/١٨) ، وقال الأعشى :

لها حارس لا يبرح الدهر بينها ... وان ذبحت صلى عليها وزمزما
ببابل لم تعصر فسالت سلافة ... تخالط فنديدا ومسكا مختما

وقال المضرس الأسدي :

وسخال ساجية العيون خواذل ... بجماد لبنة كالنصارى السجد

النصرانية (١٧٧) .

٢ اللسان (١٨٧/٥) ، (سجد) .

٣ النصرانية (١٧٨) .

٤ تاج العروس (٣٦٣/٥) .

٥ قال النابغة الذبياني :

سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرىء ... الى ربه رب البرية راكع

النصرانية (١٧٨) .

٦ قال أمية بن أبي الصلت :

سبحانه ثم سبحانا بعود له ... وقبلنا سبح الجودي والجسد

وقال الأعشى :

وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

تاج العروس (١٥٧/٢) ، (سبح) ، اللسان (٢١٠/٣) ، النصرانية (١٧٨) .

وقد كان رجال الدين ، ولا سيما الرهبان منهم ، يقومون بالفروض الدينية فرادى وجماعة ، فيرتلون المزامير والأدعية بنغمات وألحان شجية . وقد عرف ترتيل القسيسين (الهينم) ، وذلك في حالة النغم بخفوت الصوت[1] . وإذا طرّب القس في صوته خفياً قيل لذلك (الزمزمة)[2] . أما إذا تغنى ، فيقال لذلك الشمعلة . وقد قيل للمتغنين في تلاوة الزبور (المتشمعل) . وورد : « شمعلة اليهود : قراءتهم ، إذا اجتمعوا في فهرهم »[3] . وأما إذا أطلق صوته بالدعاء فيقال لذلك الجأر[4] . واللحون من الكلمات التي أطلقت على ترتيل أهل الكتاب لكتبهم المقدسة. فقد كانوا يقرؤون التوراة والانجيل في المحافل باللحن . وقد أشير الى ذلك في بعض الأحاديث[5] . أما إذا ردد الشخص نغمات الانجيل في حلقه ، فكانوا يقولون له الترجيع ، ومنه قولهم : رجع الانجيل[6] .

و (التصبيغ) من الألفاظ التي كانت تدل على معنى خاص عند النصارى ، هو التعميد . وقد عرفه الجاهليون . وذكر علماء اللغة ان الصبغة الدين والملة والشريعة والفطرة والختانة . « اختتن ابراهيم ، صلوات الله عليه ، فهي الصبغة .

---

١ « الهينمة : الصوت . وهو شبه قراءة غير بينة » . وأنشد لرؤبة :
لم يسمع الركب بها رجع الكلم الا وساويس هيانيم الهنم
وفي حديث اسلام عمر ، رضي الله عنه . قال : ما هذه الهينمة ؟ قال أبو عبيدة : الهينمة : الكلام الخفي لا يفهم ... وفي حديث الطفيل بن عمرو : هينم في المقام . أي قرأ فيه قراءة خفية . وقال الليث :
ألا يا قيل ويحك قم فهينم
أي فادع الله » ، اللسان (١٠٨/١٦) ، تاج العروس (١١١/٩) .

٢ « قال الجوهري : الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم . وفي حديث عمر ، رضي الله عنه ، كتب الى أحد عماله في أمر المجوس : وانههم عن الزمزمة . قال : هو كلام يقولونه عند أكلهم بصوت خفي . وفي حديث قباث بن أشيم : والذي بعثك بالحق ما تحرك به لساني ولا تزمزمت به شفتاي . الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم »، اللسان (١٦٥/١٥) .

٣ تاج العروس (٣٩٩/٧) ، (اشمعل) .

٤ « جأر يجأر جأرا وجؤارا : رفع صوته مع تضرع واستغاثة ... وقال ثعلب : هو رفع الصوت اليه بالدعاء . وجأر الرجل الى الله عز وجل اذا تضرع بالدعاء . وفي الحديث : كأني أنظر الى موسى له جؤار الى ربه بالتلبية . ومنه الحديث الآخر : لخرجنم الى الصعدات تجأرون الى الله » ، اللسان (١٨١/٥) .

٥ النهاية في غريب الحديث (٥٧/٤) ، معجمات (٤٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٣٠/٩) ، اللسان (٢٦٣/١٧) .

٦ اللسان (١٧٢/٩) ، النصرانية (٣٥٦) .

فجرت الصبغة على الختانة . وصبـــغ الذمي ولده في اليهودية أو النصرانية صبغة قبيحة ، أدخله فيها »[1] . و « كانت النصارى تغمس أبناءها في ماء المعمودية ينصرونهم »[2] . وقد صالح عمرُ بني تغلبَ بعدما قطعوا الفرات قاصدين اللحاق بأرض الروم ، على ألا يصبغوا صبياً ولا يكرهوه على دينهم ، وعلى ان عليهم الصدقة مضعفة[3] . وعرفوا (المعمودية) بقولهم : « لفظ معمودية معرب معموذيت بالذال المعجمة ، ومعناها الطهارة . وهو ماء أصفر للنصارى يقدس بما يتلى عليه من الانجيل ، يغمسون فيه ولدهم معتقدين انه تطهير له كالختان لغيرهم »[4] .

وقد كان نصارى الجاهلية يعمّدون أولادهم ، يأخذونهم أطفالاً الى الكنائس لتعميدهم على نحو ما يفعل سائر النصارى . وقد قيل له : التغميس والتصبيغ[5] .

والصوم من الأحكام الدينية المعروفة عند اليهود والنصارى ، وقد أشير اليـــه في شعر لأمية بن أبـي الصلت وفي بيت ينسب الى النمر بن تولب[6] . وقد عرف أهل الجاهلية ان اليهود كانوا يصومون . وقد أشير الى صومهم في عاشوراء في اثناء الكلام على فرض الصوم على المسلمين بصيامهم شهر رمضان . ولا بد ان يكون للجاهليين علم بصوم النصارى كذلك ، وذلك نتيجة لاتصالهم بهم واختلاطهم معهم .

ومن المصطلحات النصرانية (الحواريون) ، وقصد بها رسل المسيح . وقـــد وردت اللفظة في مواضع من القرآن الكريم[7] . ووردت لفظة (الحواري) في بيت ينسب الى (ضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي)[8] . وقد رجّح بعض الباحثين

---

١ تاج العروس (١٩/٦) ، (صبغ) .
٢ المصدر المذكور .
٣ « قال الأزهري : وسمعت النصارى عمسهم أولادهم في الماء صبغا ، لعمسهم اياهم فيه » ، اللسان (٣١٩/١٠) ، فتوح البلدان (١٩٠) .
٤ تاج العروس (٤٣٢/٢) ، (عمد) .
٥ السنن الكبرى (٢١٦/٩) ، « ومنه صبغ النصارى أولادهم في ماء لهم . قال الفراء : انما قيل صبغة لأن بعض النصارى كانوا اذا ولد المولود جعلوه في ماء لهم كالتطهير . فيقولون هذا تطهير له كالختانة » ، اللسان (٣٢٠/١٠) .
٦ صدت كما صد عما لا يحـــل له ساقي نصاري قبيل الصبح صوام
النصرانية (١٧٩) .
٧ آل عمران ، الآية ٥٢ ، المائدة الآية ١١٤ وما بعدها ، الصف ، الآية ١٤ .
٨ وكر كما كر الحـــواري يبتغـــي الى الله زلفـــى أن يـــكر فيفتلا
المسرق ، المجلد ١٩٢٩ (ص ٥٧٥ وما بعدها) ، النصرانية (١٨٩) .

أصل هذه اللفظة الى لغة بني إرم ورجعها اللغويون الى أصل عربي هو (حور)، وذهب آخرون الى أنها من أصل حبشي[1] .

والصليب ، من أهم المصطلحات المعروفة عند النصارى ، لاعتقادهم بصلب المسيح عليه ، حتى صار رمزاً للنصرانية . وصاروا يعلقونه على أعناقهم تبركاً وتيمناً به ، وينصبونه فوق مناثر كنائسهم وقبابها ، ليكون علامة على متعبد النصارى . وقد أقسموا به . وقد عرف المسلمون تمسك النصارى به ، واتخاذهم له شعاراً ، حتى كان بعضهم يرسمه على جبهته ، وكانوا يلثمونه ويتمسحون به تبركاً ، ويزينون صدورهم به[2] .

وذكر علماء اللغة (الشبر) على أنه من المصطلحات الشائعة بين النصارى . وهو على حدّ تعريفهم له : « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان، يتقربون به ، أو القربان بعينه » . وذكروا أيضاً أن (الشبر) الانجيل والعطية والخير . ومن ذلك قول عديّ :

لم أخنه والذي أعطى الشبر[3]

ويظهر من كتب الحديث ان أهل الكتاب كانوا يخالفون المشركين في بعض عاداتهم ، كالذي ورد عن عبدالله بن عباس من « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم . وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يحب موافقة أهل الكتاب

---

١ المشرق ، السنة السابعة ١٩٠٤ (٦٢٠) ، النصرانية (١٨٩) ، معجميات (١٣٩) .

٢ قال الأخطل :

لما رأونا والصليب طالعا ... خلوا لنا راذان والمزارعا

ديوان الأخطل (٣٠٩) . وقال حجار بن أبجر :

هددني عجل وما خلت انني ... خلاة لعجل والصليب لها بعل

الأغاني (١٣/٤٧) . وقال الأقيشر :

في فتية جعلوا الصليب الههم ... حاشاي اني مسلم معذور

النصرانية (٢٠٤) .

ونسم الى عبد المطلب بن هاشم قوله :

لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم ، عدوا ، محالك

اللسان (١١/٦١٩) ، (محل) .

٣ تاج العروس (٣/٢٨٩) ، (شبر) .

فيما لم يؤمر فيه بشيء . ثم فرق النبي صلى الله عليه وسلم رأسه »[1] . وكالذي ورد من ان أهل الكتاب كانوا يخالفون الجاهليين في كيفية التحيـة عند ملاقاة أحدهم الآخر ، وان الرسول أقر المصافحة .

وقد أطلقت لفظة (المصاحف) في شعر ينسب الى امرىء القيس على أسفار النصارى ، وهو قوله : « كخطّ زبور في مصاحف رهبان »[2] . والكلمة على رأي بعض علماء الساميات والنصرانيات من أصل حبشي ، ومفردها (مصحف)[3] . وصحف بمعنى كتب . وقد وردت لفظة (صحيفة) في بيت ينسب الى (لقيط الإيادي)[4] .

والمجلة من الألفاظ المعروفة بين الجاهليين . وقد اشتهرت في العربية باقترانها باسم (لقمان) ، فقيل : « مجلة لقمان »[5] . وأطلقت عند العبرانيين على أسفار الكتاب المقدس على سبيل التخصيص أحياناً وعلى باب التعميم في بعض الأحيان[6] . وقد وردت في شعر للنابغة ، هو :

مجلتهم ذات الإلـه ودينهم قويم فما يرجون غيرَ العواقب[7]

وقصد بها كتاب النصارى ، فقد مدح به الغساسنة . وهم على دين المسيح .

وقصد بالسفر وبالأسفار الكتاب والكتب من التوراة والإنجيل ، وكلمة (سفر) بمعنى كتاب[8] . وكانت النصارى تقرأ كتبها من الصحف[9] ، وتفسر للمستمعين ما جاء فيها من مشكل .

ولفظة (جهنم) من الألفـاظ المعروفة عند اليهود والنصارى . وهي تعني

---

١ عمدة القارىء (١٧/٧١) .
٢ أتت حجج بعدى عليه فأصبحت كخط زبور في مصـاحف رهبان
العقد النمين (١٦١) .
٣ النصرانية (١٨١) .
٤ كتاب في الصحيفـة من لقيط الى مـن بالجزيـرة من ايـاد
الأغاني (٢٠/٣٤) ، النصرانية (١٨١) .
٥ النصرانية (١٨١) .
٦ معجميات (١٦٧ وما بعدها) .
٧ « محلتهم » في بعض الروايات ، ديوان النابغة (٨) .
٨ اللسان (٦/٣٥) ، الاشنقاق (١٠٣) ، النصرانية (١٨) .
٩ النهاية (٤/١٣٦) .

الموضع الذي يكون فيه العذاب بعد الحشر ، فيخلد فيه أصحاب الآثام والمعصية. واللفظة من أصل عبراني على رأي المستشرقين وعلماء الساميّات هو (جحينوم) (جهينوم) « Gehinnom » ، أي (وادي حينوم) « Hinnom »[1] . وهو وادٍ يدور حول القدس نحو أربعة كيلومترات، ويعرف اليوم باسم (وادي الربابي)، وقد كان اليهود الوثنيون يقربون في موضع منه يسمى (توفيث) « Topheth »، الصبيان قرابين للإلـه (ملوخ) « Molech » = « Moloch » ، يقدمونها ذبائح محروقة إكراماً لـــه ، ثم صار هذا الموضع محلاً ترمى فيه أقذار المدينة وجثث الحيوانات ، وتحرق هناك لئلا تنتشر منها الأوبئة ، وصار الموضع رمزاً للجحيم ، ومنه أخذت لفظة (جهنه) « Gehenna » التي هي جهنم[2] ، الموضع الذي يعاقب فيه المجرمون بعد الموت . وهو موضع يقع تحت الأرض ، واسع جداً ، وأكبر حجماً من الأرض . يلقى فيه الآثمون جزاء إثمهم في الدنيا ومخالفتهم شريعة الرب. فيبقون فيه يعذبون . وقد اختلف في موضوع أبدية التعذيب وبقاء وجهنم ، فمنهم من رأى أن جهنم خالدة ، وأن العذاب أبدي ، ومنهم من ذهب الى أنها ترفع بعد انتهاء التعذيب[3] .

وقد وردت لفظة جهنم في مواضع متعددة من شعـر أمية بن أبـي الصلت ، كما ورد فيه وصفها وكيفية التعذيب فيها[4] . ولمعرفة أصل هذا الشعر : هل هو

---

١ Ency., I, p. 998, Shorter Ency., p. 81.

٢ Hastings, p. 285.

٣ متى ، الاصحاح الخامس ، الآية ٢٩ ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٨ ، Hastings, p. 285.

٤ « ورد في تأريخ دمشق لابن عساكر (١٢٤/٣) : قال عبدالله بن مسلم الدينوري : سئلت هل وجدتم لجهنم ذكرا في الشعر القديم ، فقلت : هذا يحتاج الى تتبـــع وطلب . وقد أتذكر فلم أذكر الا شيئا وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت ، فانه قال :

فلا تدنو جهنـــم من بـريء ولا عـــدن يطالعهـا أثيـــم
اذا شبت جهنـــم ثم وارت وأعرض عن فوانسهـا الجحيم

وروى البيت في المخصص (٦/٩) :

جهنـــم لا تبقـــى بغيـــا وعـــدن لا يطالعهـا رجيـــم

وذكر للعديل بن الفرخ (ياقوت ١١٧/٤) قوله في نار جهنم وجنة الخلد :

أما ترهبان الدار في ابني أبيكما ولا ترجوان الله في جنـة الخلد

وقد ورد اسم جهنام في شعر الأعشى . قال (التاج ٣٧٢/٧) :

دعوت خليـلي مسحلا ودعوا له جهنام جدعا للهجين المذمـم » ،

النصرانية (٤٦٢ وما بعدها) .

من شعر أمية حقاً ، أو من شعر آخرين وضعوه على لسانه ، لا بد من دراسته ومقارنته بما جاء في الاسلام عن وصف جهنم وكيفية التعذيب فيها . وهناك رواية تنفي ورود لفظة جهنم في أي شعر جاهلي خلا هذا الشعر المنسوب الى أمية بن أبي الصلت ، ويلاحظ انه ذكر (عدن) مع جهنم .

ولم أجد في أشعار الجاهليين ذكراً للانجيل ، إلا في الشعر المنسوب الى (عدي بن زيد العبادي)[1] . وربما في شعر عدد قليل آخر من الجاهليين ، لم أقف عليه . غير ان عدم ورود اللفظة كثيراً في هذا الشعر ، لا يدل على عدم معرفة الجاهليين لها ، ودليلنا على ذلك ورودها في مواضع من القرآن الكريم . وورودها فيه دليل على وقوف الجاهليين عليها واستعمالهم اياها ، وأصلها من اليونانية ، وقد وقف العرب عليها من السريانية أو من الحبشية[2] . وقد ذكرت فيما سبق ان نفراً من أهل الكتاب كانوا قد أقاموا بمكة وكانوا يقرأون التوراة والانجيل بألسنتهم ، فلا يستبعد اذن وقوف بعض الجاهليين ، ولا سيما المثقفين منهم وأصحاب التجارات الذين كانوا يقصدون الحيرة وبلاد الشأم ونجران للتجارة وكان لهم اتصال وثيق بنصارى هذه الأرضين على الانجيل وعلى الكتب الأخرى التي كان يستعملها رجال الكنيسة لافهام الناس أمور الدين .

ويظهر من بعض روايات الأخباريين أن بعض أهل الجاهلية كانوا قد اطلعوا على التوراة والانجيل ، وأنهم وقفوا على ترجمات عربية للكتابين . أو أن هذا الفريق كان قد عرب بنفسه الكتابين كلاً أو بعضاً ، ووقف على ما كان عند أهل الكتاب من كتب في الدين . فذكروا مثلاً أن (ورقة بن نوفل) « كان يكتب الكتاب العبراني ، ويكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب » : وقالوا : « وكان امرؤ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب »[3] . وذكروا مثل ذلك عن (أمية بن أبي الصلت) ، فقالوا إنه كان قد قرأ الكتب المقدسة[4] ، وقالوا مثل ذلك عن عدد من الأحناف .

---

١ وأوتينا الملك والانجيل نقرؤه بشعي بحكمنه أحلامنا عللا
الحيوان (٤/٦٤) ، النصرانية (١٨٥) .

٢ اللسان (١٣/١٧١) ، النصرانية (١٨٥) Shorter Ency., p. 168.

٣ راجع ما كتبته عنه في فصل الأحناف ، Sprenger, Leben, I, S. 128.

٤ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١٧٦) .

وإذا كانت هذه الروايات صحيحة ، فإنها تدل على أن الجاهليين كانوا قد وقفوا على ترجمة العهدين . ويرى بعض المستشرقين احتمال ترجمة العرب للكتاب المقدس قبل الاسلام وعند ظهوره، ترجمة من اليونانية على الأرجح . وقد استندوا في ذلك الى خبر ذكره (ابن العبري) « Barkebraeus » يفيد أن البطريق (المنوفيزيتي) المدعو (يوحنا) « Monophysite Patriarch Johannes » كان قد ترجم الكتاب المقدس الى أمير عربي اسمه (عمرو بن سعد) ، وذلك بين سنتي (٦٣١) و (٦٤٠) للميلاد ، والى أخبار أخرى تفيد أن بعض رجال الدين في العراق كانوا قد ترجموه الى العربية وذلك قبيل الاسلام وعند ظهوره[1].

ولا يستبعد وجود ترجمات للكتاب المقدس في الحيرة ، لما عرف عنها من تقدم في الثقافة وفي التعليم ، ولوجود النصارى المتعلمين فيها بكثرة . وقد وجد المسلمون فيها حينما دخلوها عدداً من الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة وتدوين الأناجيل ، وقد برز نفر منهم ، وظهروا في علوم اللاهوت ، وتولوا مناصب عالية في سلك الكهنوت في مواضع أخرى من العراق ، فلا غرابة اذا ما قام هؤلاء بتفسير الأناجيل وشرحها للناس للوقوف عليها . وقد لا يستبعد تدوينهم لتفاسيرها أو لترجمتها ، لتكون في متناول الأيدي ، ولا سيما بالنسبة الى طلاب العلم المبتدئين . وقد لا يستبعد أيضاً توزيع بعض هذه الترجمات والتفاسير الى مواضع أخرى لقراءتها على الوثنيين وعلى النصارى للتبشير[2] .

ونجد في كتب الأخباريين وفي كتب قصص الأنبياء وفي الفصول المدونة عن الماضين قصصاً وأمثلة وكلاماً يرجع أصله الى بعض أسفار التوراة او الى الأناجيل، غير اننا لا نستطيع ان نؤكد ان هذا المدون قد نقل عن الجاهليين ، وان أهل الجاهلية كانوا يعرفونه ، وانه ليس مما قصه أهل الكتاب أو مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه على المسلمين ، فدخل بينهم . ثم إن القصص أكثره من (التلمود) و (المشنا) والكتب غير القانونية ، روي بشكل فيه بُعْدٌ في بعض الأحيان عن هذا المدون المعروف ، وهو يفيدنا من هذه الناحية كثيراً في الحكم على مدى معرفة العرب بعلم أهل الكتاب .

---

١ Sprenger, I, S. 131.

٢ Ency., II, p. 504.

وللأسماء أهمية كبيرة في تعيين مبلغ أثر اليهودية والنصرانية في الجاهليين . وإذا كانت أسماء الوثنيين قد ساعدت (ولهوزن) في الكشف عن أسماء أصنام وأوثان لم ترد في كتاب الأصنام لابن الكلبي ولا في كتب الأخباريين الأخرى، وساعدت في الكشف عن مدى تغلغل الوثنية في نفوس أهل الجاهلية ، فإن للأسماء اليهودية أو الأسماء النصرانية التي تسمى بها أهل الجاهلية والتي وصل خبرها الينا أهمية كبيرة في الافصاح عن مدى تأثر الجاهليين بالديانتين . وليس من اللازم أن تكون هذه الأسماء أسماء أناس كانوا على دين يهود ، أو على دين النصرانية ، فالأسماء وإن كان لها ارتباط في الغالب بأديان حامليها غير أنها لا تكون دائماً دليلاً على دين أصحابها ، فللبيئة ولبعض العادات والاعتقادات دخل في اختيار الأسماء . وعلى ذلك فإن ما سنذكره من أسماء لا نذكرها على أن أصحابها كانوا يهوداً أو نصارى حتماً ، وإنما نذكرها على سبيل الإشارة الى أن بعض الجاهليين كانوا يحملون أسماء هي في الغالب من اسماء اليهود والنصارى .

وفي طليعة هذه الأسماء التي يجب ان نذكرها ، الأسماء الواردة في التوراة والانجيل ، فهي أسماء عبرانية ونصرانية معروفة ، وبها تسمى كثير من اليهود والنصارى . ودخولها بين الجاهليين العرب دليل على وجود بعض تلك المسميات بينهم ، وتسمّى أهل الجاهلية بتلك الأسماء .

ومن جملة تلك الأسماء : آدم وقد دعي به آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . قُتل في الجاهلية ، وهو الذي وضع النبي دمه يوم فتح مكة . وقد جاء (ابن دريد) بتفسير لهذه التسمية فذكر انها من الأدمة أو بمعنى الطويل القامة ذي العنق الناصع ، ولم يشر الى وجود علاقة لها باسم آدم أبي البشر[1] . غير أني لا أستبعد احتمال أخذها من التسميات التي كانت بين اليهود أو النصارى عند الجاهليين . غير اننا لا نعرف من أمثال هذه التسميات غير عدد قليل محدود بحيث لا يمكن ان نتخذها قاعدة لبناء حكم عليها في ورود هذه التسمية عند الجاهليين .

وأكثر من هذه التسمية شيوعاً اسم (ابراهيم) ، ومن جملة من تسمى بها: ابراهيم جدّ عدي بن زيد بن حمّان بن زيد بن أيوب من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . فولد أيوب ابراهيم وسلم وثعلبة وزيد . منهم عدي بن زيد

---

١ الاشتقاق (٤٤) ، النصرانية (٢٢٨) .

ابن حمان بن زيد بن أيوب بن مجروف الشاعر . ومنهم مقاتل بن حسان بن ثعلبة ابن أوس بن ابراهيم بن أيوب ، الذي نسب اليه قصر مقاتل . وقال ابن الكلبي : لا أعرف في الجاهليـــة من العرب أيوب وابراهيم غير هذين ، وإنما سمّيا بهذين الإسمين للنصرانية [1] .

وممن سمّي بابراهيم : ابراهيم بن كُتيف النبهاني ، وهو شاعر قديم،وابراهيم الأشهلي ، وابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي القرشي، وأبو رافع ابراهيم القبطي، وهو من موالي الرسول ، وابراهيم بن عبّـــاد الأوسي ، وابراهيم بن قيس بن حجر بن معديكرب الكندي ،وابراهيم النجّار وهو الذي صنع المنبر لرسول الله . وأكثر هـــؤلاء هم من الذين عاصروا الرسول وكانوا من صحابته[2] . ويجب ألا ننسى أن الرسول سمّى ابنه الذي توفي صغيراً في حياته ابراهيم[3] .

وعرف من الصحابة رجل اسمه (إسحاق الغَنَوي)[4] ، وعرف ثلاثة صحابيين باسم (اسماعيل)[5] . وأما (أيوب) ، فقد عرف به (أيوب بن مجروف) جد عدي بن زيد العبادي ، وأيوب بن مكرز ، كما تكنى به أبو أيوب خالد ابن زيد الأنصاري من الصحابة ، وهو الذي نزل عليـــه الرسول يوم مقدمه الى يثرب مهاجراً من مكة [6] .

واسم (داوود) من الأسماء التي وردت في جملة أسماء ملوك بني سليح ، فذكر منهم (داوود اللثق)[7] . وأظن ان لفظة (دؤاد) التي كني بها الشاعر الجاهلي أبو دؤاد الإيادي هي من داوود[8] ، وإنْ ذهب المفسرون فيها مذهباً آخر فقالوا انهـــا من الدُود والدوادة والدودة وأمثـــال ذلك[9] . وعرف شاعر آخـــر باسم

---

١ تاج العروس (١/١٥١) ، (أوب) ، النصرانية (٢٢٩) .
٢ أسد الغابة (١/٤٠ وما بعدها) ، الاصابة (١/٢٥ وما بعدها) ، النصرانية (٣٢٩) .
٣ ابن هشام (١/٢٠٦) .
٤ أسد الغابة (١/٦٨) ، الاصابة (١/٤٧) ، (رقم ٩٤) ، النصرانية (٢٢٩) .
٥ أسد الغابة (١/٧٩) ، الاصابة (١/٥٥ وما بعدها) ، النصرانية (٢٣٠) .
٦ ابن هشام (٢/٦٦ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ٣٠٥) ، (٣/٣٤٧ ، ٣٩٢) ، الاشتقاق (٢٦٦) .
٧ الاشتقاق (٣١٩) ، النصرانية (٥٣٢) .
٨ النصرانية (٢٣٢) .
٩ الاشتقاق (١٠٤) .

داوود بن حمل الهمداني[1] ، ومن الأنصار رجل اسمه داوود بن بلال[2] وصحابي اسمه داوود بن سلمة الأنصاري[3] .

وقد عرف داوود في الشعر الجاهلي بنسجه الدروع حتى ضربت بدروعه عندهم المثل . وهي في نظرهم دروع قوية ممتازة ، صنعها من الحديد الذي كان يلين بين يديه[4] . وقد تكرر ورود ذلك في أشعار جملة شعراء ، مما يدل على انها كانت معروفة بين الجاهليين مشهورة . هذا ولا بد ان يكون لذلك أصل بعيد ظهر من قصص بني اسرائيل عن داوود وعن ملكه وحروبه وتغلبه على خصومه. هذا القصص الذي جعل من داوود رجلاً لا يستطاع التغلب عليه بفضل الحديد الذي لان بين يديه ، فصار دروعاً لا تمضي فيه سيوف المقاتلين .

---

١ النصرانية (٢٣٢) .

٢ أسد الغابة (١٢٩/٢) ، الاصابة (٤٦٣/١) ، (رقم ٢٢٨٧ و ٢٢٨٨) ، الاصابة (١٦٩/٤) ، (٩٨٨) .

٣ الاصابة (٤٦٣/١) .

٤ قال طرفة :

وهم ما هم اذا ما لبسوا نسج داوود لباس محتضر
النصرانية (٢٧٢) ، شعراء النصرانية (٣٠٩) ، ديوان طرفة (٥٨) .

وقال حصين بن الحمام المري :

صفائح يصرى أخلصتها قيونها ومطردا من نسج داوود بهما
الحماسة لأبي تمام (١٨٩) ، النصرانية (٢٧٣) .

وقال حسيل بن سجيع الضبي :

وبيضاء من نسج ابن داوود تثرة نخيرتها يوم اللقاء ملابسا
الحماسة لأبي تمام (٢٨٤) ، النصرانية (٢٧٣) .

وللبيد :

ونزعن من داوود أحسن صنعه ولقد يكون بقوة ونعيم
صنع الحديد لحفظه أسراده لينال طول العيش غير سروم
ديوان لبيد (٨٣) ، (طبعة الخالدي) ، النصرانية (٢٧٣) .

وللأعشى :

ومن نسج داوود يجدي بها على آثر العيس عيرا فعيرا
النصرانية (٢٧٣) ، شعراء النصرانية (٣٨٨) .

ولسلامة بن جندل :

مداخلة من نسج داوود شكلها كحب الجنا من أبلم منفرق

وله أيضا :

من نسج داوود وآل محرف غال غرائبهن في الآفاق
النصرانية (٢٧٣) .

ولم يخل شعر الأعشى من اسم داوود ، فورد في مناسبة التحدث عن حوادث الزمان واعتداء الدهر على الانسان ، وتبدل الأيام ، كما في موضع آخر في كلامه على الدروع[1] . أما عبيد الأبرص ، فقد ذكره في أثناء كلامه على طول العمر[2] .

وعرف (سليمان) في أبيات للنابغة قالها في مدح النعمان ملك الحيرة بتسخيره الجنّ لبناء تدمر[3] . وعرف بمثل ذلك وببنائه الأبنية الفخمة وبسعه ملكه في شعر شعراء آخرين[4] . واذا كان ما نسب الى أولئك الشعراء صحيحاً ، كان رأيهم هذا في سليمان بتأثير ما كان يقصه أهل الكتاب على الجاهليين من قصص وارد في العهد القديم ، في سفر الملوك الثالث وأخبار الأيام الثاني عن ملكه وعجيب أبنيته[5] .

وقد ورد اسم سليمان علماً لجملة رجال عاشوا في الجاهلية وفي أيام الرسول ، فهناك حاكم من حكام العرب المعروفين في الجاهلية اسمه (سليمان بن نوفل)[6] .

---

١ ومر الليالي كل وقت وساعة يزعزعن ملكا أو يباعدن دانيا
وردن على داؤود حتى أبدنه وكان يغادي العيش أخضر صافيا
الحماسة ، للبحتري (٩٠) ، النصرانية (٢٧٢) .

٢ وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضا وكدت أن أرى داؤودا
خزانة الأدب (١/٣٢٣) ، النصرانية (٢٧٢) .

٣ ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقوام من أحد
الا سليمان ، اذ قال الاله له : قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فاخضعه بطاعته كما أطاعك وأدلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تعقد على أحد
العقد الثمين (٧) ، شعراء النصرانية (٦٦٣) ، النصرانية (٢٧٤) .

٤ قال الأعشى :
فلو كان حيا خالدا ومعمرا لكان سليمان البري من الدهر
براه الهي واصطفاه عبادة وملكه ما بين سرفي الى مصر
وسخر من جن الملائك شيعة قياما لديه يعملون بلا أجر
البدء والتأريخ (٣/١٠٨) ، النصرانية (٢٧٤) ، وله أيضا :
فذاك سليمان الذي سخرت له مع الانس والجن الرياح المراخيا
الحماسة ، للبحتري (٨٦ وما بعدها) ، النصرانية (٢٧٥) .

٥ النصرانية (٢٧٣) .

٦ اليعقوبي (١/٢٩٩) ، النصرانية (٢٣٢) .

وهناك جملة من الصحابة عرفوا بسليمان [1] . ومن هذه اللفظة نشأت الأسماء : سلمان وسلام ، وسُليم ، كما يتبين ذلك من أبيات للأسود بن يعفر [2] والحطيئة [3] والنابغة [4]. وعرف بسلمان رجل من نصارى بني عجل اسمه سلمان العجلي .

وهناك طائفة لأسماء نصرانية خالصة تسمّى بها نفر من الجاهليين قبل الاسلام، مثل : عبد المسيح ، وعبد ياسوع ، وعبد يسوع ، وعبد يشوع ، وايشوع ، وأبجر . وقد عرف بأبجر عدد من ملوك الرها ، كما عرف بها أبجر بن جابر سيد بني عجل ، وأفريم ، وبولس ، وجرجس ، وجريج ، ورومان ، ورومانوس، وسرجس ، وسمعان ، وشمعون ، ونسطاس ، وحنين ، و (حنيناء) و (يحنة) [5]. ومن أسماء النساء : مارية ، ومريم ، وحنة [6] ، ومن بين هذه الأسماء ما كانت خاصة بطبقة الموالي الذين جلبوا من الخارج ، وبيعوا في أسواق النخاسة ، فحافظوا على أسمائهم القديمة التي تشير الى أصولهم في النصرانية .

ونرى ورود (عبد المسيح) بين أسماء أهل الحيرة بصورة خاصة ، ورد علماً لأناس معروفين جداً بينهم ، وكانوا عليهم زعماء ، مثل عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيّان بن بقيلة ، وكان في جملة من خرج لملاقاة خالد بن الوليد

---

١ مثل سليمان بن الحارث ، الاشتقاق (٢/٣١٨) ، وسليمان الليثي بن أكيمة ، وسليمان بن أبي حتمة القرشي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، وسليمان بن عمرو ابن حديدة ، وسليمان بن مسهر ، وسليمان بن هاشم بن عتبة القرشي ، أسد الغابة (٢/٣٥٠ وما بعدها) ، الاصابة (٢/١٢٨ وما بعدها) ، النصرانية (٢٣٢) ، تاج العروس (٨/٣٤٤) .

٢ ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داوود أبى سلام
تاج العروس (٨/٣٤٤) .

٣ فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمة من نسج سلام
النصرانية (٢٣٢) .

٤ وكل صموت نثلة ببعية ونسج سليم كل قضاء ذائل
ديوان النابغة (٩٩) ، النصرانية (٢٣٣) ، « أراد نسج داوود ، فجعله سليمان ثم غير الاسم ، فقال سلام وسليم . ومثل ذلك في أشعارهم كثير . قال ابن بري : وقالوا في سليمان اسم النبي ، صلى الله عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة »، اللسان (١٥/١٩٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٨/٣٤٤) .

٥ البكري ، معجم (٤/٥٨٠) ، تاج العروس (٩/١٨٦) .

٦ النصرانية (٢٣٩) ، وقد أورد قائمة بالاسماء النصرانية ، وأورد أمثلة لمن تسمى بها قبل الاسلام من الجاهليين ، البكري ، معجم (٤/٥٧٨) ، « دير حنة » .

للانفاق معه على شروط الصلح[1] . وعادة جعل المرء نفسه عبداً لإلـه أو لشخص مقدس ، كما في هذه التسمية ، لم تكن من العادات الخاصة بالنصارى ، فقـد رأينا أن أكثر الجاهلين كانوا يجعلون أنفسهم عبداً لإلـه من الآلهة ، ثم يتخذون ذلك تسمية لهم ، مثل عبد العزى ، وعبد يغوث ، وعبد ودّ ، وأمثال ذلك . فلما كانت النصرانية ،تبرأ من تنصر من اسم الآلهة الوثنية ،وأحلوا محلها اسم المسيح.

وكان اسم والد حنظلـة صاحب دير حنظة الذي بأرض بني علقمة بالحيرة (عبد المسيح) ، ويذكر الأخباريون أنهم وجدوا على صدر الدير كتابة مكتوبة بالرصاص عـلى ساج محفور : « بني هذا الهيكل المقدس ، محبة لولاية الحق والأمانة ، حنظلة بن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يـذكر أولياؤه بالعصمة ، يكون ذكر الخاطىء حنظلة »[2] .

غير ان هذه الأسماء اليهوديـة الأصل أو النصرانية قليلة الاستعمال ، فلم تكن مستعملة بنطاق واسع . وأكثر من تسمى بها ، هم من الموالي والأرقاء ، أو من العرب الذين كانوا على أطراف العراق وبلاد الشأم ، وممن تأثر بالمؤثرات الثقافية الأعجمية ، أو ممن كان على يهودية أو نصرانية ، فتسمى بأسماء محببة أو مباركة في هاتين الديانتين .

وأهل نجران ، هم الذين كانوا يجادلون الرسول في طبيعة المسيح ، فلم يكن بمكة أو بيثرب قوم منهم يستطيعون مجادلته في أمور الدين . وقد ذكـر بعض المفسرين ان أهل نجران كانوا أعظم قوم من النصارى جادلوا الرسول في عيسى. جاؤوا إلى الرسول ، فقالوا له : ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو ؟ قالوا : عيسى . تزعم انه عبدالله . فقال : أجل انـه عبدالله . قالوا : فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ، ثم خرجوا من عنده غاضبين . وقالوا إن كنت صادقاً ، فأرنا عبداً يحيي الموتى ويبرىء الأكمه ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، فلما عادوا قال رسول الله : مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له : كن فيكون[3] .

---

١ البلاذري ، فتوح (٢٥٢) ، المعمرون ، للسجستاني (٣٨) ، « طبعة كولدتزيهر » . المسرق ، السنة السابعة عشرة ، (١٩١٤) ، (ص ١٣٢) ، البلدان (٦٧٧/٢) .

٢ البكري ، معجم (٥٧٢/٢) ، (دير حنظلة) .

٣ تفسير الطبري (٢٠٧/٣ وما بعدها) .

وقد جادل بعض النصارى رسول الله في أمور الدين ، ثم أسلموا . ونظراً لقلة عددهم بيثرب ، لم يقاوموه هنا كما قاومه اليهود .

وطبيعي أن يتأثر نصارى الجاهلية بلغة بني إرم ، فيستعملوا المصطلحات الدينية التي كانت شائعة في الكنيسة ، وهي مصطلحات إرمية الأصل في الغالب : فقد كانت لغة بني إرم لغة العلم والدين عند النصارى الشرقيين . بها يقيمون طقوسهم الدينية ، ومنها يترجمون الأناجيل الى أتباعهم النصارى العرب ، فدخلت بذلك الى العربية ألفاظ إرمية ذات معان خاصة . ومنها الألفاظ التي تكلمنا عنها وألفاظ أخرى عديدة لم نتطرق اليها ، لعدم وجود صلة لها بهذا الموضوع ، وخشية الإطالة والخروج على صلب الموضوع . وهناك مصطلحات يونانية ولاتينية وحبشية ، لها صلة بالدين وبالمجتمع دخلت العربية أيضاً عن طريق النصرانية ، ظهر أثرها في نصارى بلاد الشأم والعربية الغربية خاصة ، بتأثير الاحتكاك المباشر والتبشير .

وقد عُني بعض الباحثين بجمع المصطلحات الدينية المعروفة عند أهل الكتاب في الجاهلية والتي أقرها الاسلام على نحو ما كانت تعرف به ، أو أعطاها معنى خاصاً ، ومن بينها عدد كبير ورد في القرآن الكريم[1] . ولما كانت غالبية العرب على الوثنية ، وهي ديانة بسيطة قليلة الشعائر بالنسبة الى اليهودية والنصرانية ، لذلك كانت هذه المصطلحات شائعة معروفة بين أهل الكتاب من الجاهليين ، وقد نقلوها من اللغات الدينية التي كتب بها علماء أهل الكتاب ، فهي في الغالب من أصل سرياني أو عبراني أو يوناني أو حبشي .

وقد جمع الأب (شيخو) في كتابه : (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) الألفاظ الخاصة بأهل الكتاب من الأبيات الواردة في دواوين شعراء الجاهلية وفي كتب الأدب ، وهي أبيات منها ما أجمع الرواة وأهل الأخبار على نسبتها الى أولئك الشعراء ، ومنها ما ورد عند بعض الرواة والأخباريين ولم يرد في دواوين أولئك الشعراء ليجعل من تلك الألفاظ دليلاً على أثر النصرانية في الجاهليين ، وعلى مدى تغلغلها بينهم . وهو حكم لا يمكن أن يكون سليماً ، إلا بعد ثبوت صحة نسبة تلك الأبيات إلى الجاهليين .

---

١ Nöldeke, Neue Beiträge zur Semit. Sparad., S. 1. ff., J. Horovitz, Jewish Proper Names and derivatives in Koran, 145, R. Bell, The Grigin of Islam in its Christian Environment, London, 1926.

وقد كان للنصرانية أثر مهم في نشر الكتابة العربية ، المأخوذة عن الإرمية ، بين الجاهليين ، الكتابة التي تولد منها قلمنا الذي نكتب به في الوقت الحاضر . وقد وجد المسلمون في فتحهم للعراق مدارس عديدة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة ، كما أن تجار مكة ويثرب الذين كانوا يقصدون الشأم والعراق وجدوا الضرورة تحتم عليهم تعلم هذا الخط ، فتعلّموه . ولما نزل الوحي كتب كتابه بـه ، فصار قلم المسلمين . كما سأتحدث عن ذلك في موضوع الخط عند الجاهليين .

ولم يترك رجال الدين من النصارى العرب لنا أثراً كتابياً ينبيء عن مدى اشتغالهم في علم اللاهوت وفي العلوم الأخرى ، غير أن هذا لا يعني أن النصارى العرب لم يخرجوا علماء دين منهم ، ولم يعطوا النصرانية رجلاً منهم يخدمها ويقف حياته الروحية عليها ، ففي قوائم أسمـاء من حضروا المجامع الدينية التي عقدت للنظر في الأمور الجدلية وفي القضايا التي تخص مبادىء الدين أسماء رجـال تنبيء أنهم كانوا عرباً ، وقد دونت في محاضر تلك المجالس أسماء المواضع التي مثلوهـا من بلاد العرب ، كما أن بـين رجال الدين الكبار الذين نبغوا في العراق من كان أصله من الحيرة ، وإذ كانت غالبية سكان هذه المدينة من العرب ، فلا يستبعد أن يكون من بين هؤلاء العلماء النصارى الحيريين من كان من أصل عربي .

لقد كانت النصرانية عاملاً مهماً بالطبع في ادخال الآراء الإغريقية والسريانية إلى نصارى العرب، فقد كانت الكنيسة مضطرة الى دراسة الإغريقية ولغة بني إرم ، لما للغتين من قدسية خاصة نشأت من صلتها بالأناجيل . وقد كان أثر الإرمية أهم في الكنيسة الشرقية من الإغريقية ، لكونها لغة الثقافة في الهلال الخصيب في ذلك العهد . ولهذا وجدنا معظم التعابير والمصطلحات الدينية عند نصارى الشرق هي من هذه اللغة ، ومنها أخذها النصارى العرب ، فصارت عربية . وقد كان السريان قد نقلوا بعض مؤلفات اليونان واللاتين الى لغتهم . ولا أستبعد نقلهم بعض تلك المؤلفات ، ولا سيما الدينية منها ، من هذه اللغة إلى اللغة العربيـة ، وذلك قبل الاسلام ، أو ترجمتها ترجمة شفوية لطلاب العلم من العرب ممن كانوا لا يفقهون لغة بني إرم ، أو لا يلمّون بها إلماماً صحيحاً . وإذ كانت هذه اللغة لغة مقدسة ولغة الكنيسة الرسمية ، وكان أكثر رجال الدين من بني إرم، فقد كانت هذه اللغة اللغة المقررة في الكنيسة ، بها يدرس ويتباحث رجال الدين وإن كانوا عرباً، على نحو ما يفعله رجال الدين المسلمين الأعاجم الذين يدرسون العربية بعلومها المختلفة

ليتفقهوا بذلك في الدين ، والعربية هي لغة الدين الاسلامي، وكما يفعل رجال الدين الكاثوليك أيضاً في دراستهم اللاتينية وتبحرهم بها لأن اللاتينية هي لغة النصرانية عند الكاثوليك .

وكان للنصرانية أثر آخر في نصارى عرب الجاهلية، هو أثرها فيهم من ناحية الفن ، إذ أدخلت النصرانية بين العرب فناً جديداً في البناء . هو بناء الكنائس والأديرة والمذابح والمحاريب والزخرفة ، كما أدخلت النحت والتصوير المتأثرين بالنزعة النصرانية . ولدخول أكثر هذه الأشياء لأول مرة بين الجاهليين، استعملت مسمياتها الأصلية اليونانية أو الإرمية في اللغة العربية ، بعد ان صقلت وهذبت ، حتى اكتسبت ثوباً يلائم الذوق العربي في النطق. وستكشف الحفريات في المستقبل عن مدى تأثر النصارى العرب الجاهليين بالفن النصراني المقتبس عن الروم أو عن بني إرم والأحباش .

الفصل الثالث والثمانون

المجوس والصابئة

يقصد الأخباريون بالمجوس القائلين بالأصلين النور والظلمة : الخير والشر ، فيزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة [1] . وهم يعلمون أن المجوس من الفرس وأنهم عبدة النيران .

وفي القرآن الكريم ذكر للمجوس . وقد ورد ذكرهم في موضع واحد منه : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس، والذين أشركوا،إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء شهيد [2] » . وفي ذكرهم في القرآن الكريم دليل كاف على معرفة أهل الحجاز بهم ، ووقوفهم عليهم . وكيف لا يكون لهم علم بهم ووقوف عليهم ، وقد كان لأهل مكة اتصال وثيق بالحيرة كما كان لأهل الحجاز اتصال باليمن ؟ وقد كان المهيمن على اليمن الفرس عند ظهور الإسلام ، حيث طردوا الأحباش وأخذوا محلهم ، وقد كان هؤلاء الفرس على المجوسية ، ثم إنه كان في حضرموت وفي العربية الشرقية أناس منهم أقاموا هناك . وقد كان وكلاء الأكاسرة على هذه الأماكن منهم ، وهم على دين

---

١ النهاية (٤/٨٥) ، اللسان (٨/٩٨) (مجس) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) (مجس) ، الملل والنحل (٢/٥٧) ، الحيوان (١/١٩٠) ، (٤/٩٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨١) ، المسعودي ، مروج (١/٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٣) ، (بيروت) ، عمدة القارىء (١٥/٧٨) .

٢ الحج ، الآية ١٧ ، عمدة القارىء (١٥/٧٨ وما بعدها) ، الطبرسي ، مجمع البيان (١٣/٨٨ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٤/٨) ، تفسير الطبري (٦/٢٠١) ، روح المعاني (٦/١٧٩) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) ، (مجس) .

المجوسية . وقد أشير الى وجودهم في أخبار الفتوح ، حيث دفع الجزية من أبى منهم الدخول في الإسلام . والظاهر أن هؤلاء كانوا مقيمين فيها من أمد طويل بدليل ورود جملة في أخبار الفتوح تفيد ذلك ، وهي : « وأسلم معها جميع العرب وبعض العجم . فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى ، فإنهم صالحوا العلاء »[1] .

ويروي أهل الحديث حديثين يذكرون ان الرسول قالها هما : « كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه يمجسانه » ، أي يعلمانه دين المجوسية . وحديث « القدرية مجوس هذه الأمة »[2] . وفي هذين الحديثين ذكر للمجوس . ولعلماء الحديث كلام عليهما . ولا سيما على الحديث الثاني ، وفيه تعريض بالقدرية ، أسلاف المعتزلة .

وكلمة (مجوس) من الكلمات المعربة ، عربت عن لفظة (مغوس) « Maghos » الفارسية التي تعني (عابد النار)[3] . وهي من الألفاظ التي دخلت إلى اليونانية كذلك ، حيث وردت لفظة « Magi » فيها ، وهي جمع (مجوس) « Magus »[4] . وقد دخلت الى لغة (بني إرم) أيضاً . ولا ندري اليوم على وجه صحيح من أي طريق دخلت لفظة (مجوسي) و (مجوس) الى العربية ، عن الفرس أنفسهم ، أو عن اليونانية أو عن طريق لغة (بني إرم)[5] !

وقد عرف علماء اللغة بأن لفظة (مجوس) من الألفاظ المعربة . وقد ذهبوا الى انها معربة عن الفارسية القديمة . ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في أصل اللفظة وفي بيان معناها ، وذهبوا في ذلك مذاهب[6] ، وبعض هذه التفسيرات والتأويلات مفتعل يدل على عدم وقوف أصحابها على جلية الموضوع .

---

١ البلدان (٢/٧٤) ، « ومن أبى فعليه الجزية . فصالحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على أن على المجوس الجزية » ، « وأخذ الجزية من المجوس » ، الطبري (٣/٢٩) .

٢ اللسان (٦/٢١٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) ، اللسان (٨/٩٨) «مجس» « طبعة بولاق » .

٣ غرائب اللغة (ص ٢٦٩) .

٤ Hastings, p. 565.

٥ Shorter Ency. of Islam, p. 98, Ency., III, p. 97.

٦ اللسان (٨/٩٨) « طبعة بولاق » ، محيط المحيط (٢/٢٥٠) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) «مجس» ، الحيوان ، للجاحظ (٥/٦٩) « عبد السلام هارون » ، المعرب ، للجواليقي (٣٢٠) .

ويريد الأخباريون بالمجوسية عبادة النـــار . واذا صح ما ورد في شطر بيت منسوب الى الشاعر الجاهلي (التوأم اليشكري) المعاصر لامرىء القيس ، هو : (كنار مجوس تستعـــر استعاراً)[1] ، فإن فيه دلالةً عـــلى ان هـذا الشاعر هو وامرأ القيس كانا على علم بنار المجوس ، وانها كانت تستعر دائماً ، وربما كانا على علم ببعض تعاليمها أيضاً .

وفي أخبار أهل الأخبار ما يفيد بتمجس بعض العرب ، فورد أن « المزدكية والمجوسية في تميم »[2] . وورد أن (زرارة بن عدس) وابنه (حاجب بن زرارة) ، وهما من سادات تميم كانا قد اعتنقا المجوسية ، واعتنقها أيضاً (الأقرع بن حابس) و (أبو الأسود) ، جدّ (وكيع بن حسان)[3] . وقيـل إن أشتاتاً من العرب عبدت النار ، سرى اليها ذلك من الفرس والمجوس[4] .

وكان مجوس اليمن ، من الفرس الـــذين أرسلهم كسرى لطرد الحبش من اليمن ، فهم وأبناؤهم كانوا على هذا الدين ، دين الانبراطورية الفارسية . ولما ظهر الإسلام ، نبذ هؤلاء المجوسية واعتنقوا الإسلام[5] .

وأما مجوس عُمان وبقية أنحاء العربية الجنوبية ، فقد كانوا من الفرس كذلك : من تجار ومن مقيمين من بقية الفرس الذين كانوا قد استولوا على هذه الأرضين . وعند ظهور الإسلام لم يكن لهم نفوذ سياسي ، فقد كان سادات القبائل قـــد كوّنوا مشيخات فيها ، واستقلت في إدارة شؤونها ، غير أن المجوس بقوا فيها ، وعند دخول أهلها في الاسلام ، ودخول البلاد في دين الله ، دفع بعض أولئك المجوس الجزية ، ودخل الباقون في الإسلام . شأنهم في ذلك شأن اليهود والنصارى المقيمين في هذه الأرضين .

وأما مجوس البحرين ، فقد كانوا أكثر عدداً وأكبر نفوذاً من اخوانهـــم في عُمان ، لقرب هذه الأرضين من انبراطوريـــة الساسانيين ، ولهجـــة الفرس من السواحل المقابلة ومن طريق الأبلة الساحلي . وقد عثر المنقبون عـــلى قبور عديدة

---

١ اللسان (٦/٢١٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٤/٢٤٥) ، (مجس) .
٢ البدء والتأريخ (٤/٣١) .
٣ المعارف (٢٦٦) « الصاوي » ، البدء والتأريخ (٤/٣١) ، الاعلاق النفيسة (٢١٧) .
٤ بلوغ الأرب (٢/٢٣٣) .
٥ Ency., Vol., III, p. 99.

تعود اليهم ؛ وعلى آثار لمعابدهم في العربية الشرقية . وكان على (هجر) ، حين أبلغ الرسول دعوته اليها ، رجل من الفرس اسمه (سيبخت مرزبان) ، وقد أسلم وأسلم معه قوم من قومه ، ودفع الجزية من فضّل البقاء منهم على دينه ، شأنهم في ذلك شأن أهل الكتاب[1] . وذكر ان الرسول كتب الى (مجوس هجر يعرض عليهم الاسلام ، فإن أبوا أخذت منهم الجزية ، وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم)[2] .

وكان باليمامة قوم من المجوس ، عاشوا في قراها ومواضعها، اشتغلوا بالزراعة وبالتعدين . وأرض اليمامة أرض غنيـــة ، وهي (ريف) أهل مكة ، وعليها اعتمادهم في الحصول على الحبوب . كما عرفت بوجود المعادن بها ، فسهّل أهلها دخول المجوس اليها ، للاستفادة منهم في استغلال الأرض وفي التعدين .

هذا ولم نسمع بدخول أحد من ملوك الحيرة ، أو الأمراء الذين عينهم الفرس على العرب في المجوسية مع علاقتهم بالفرس واتصالهم الوثيق بهم ، ووجود الفرس في أرضهم وفي عاصمتهم ، بينما نجد بعضاً منهم وقد دخل في النصرانية . ولعـــل ذلك بسبب عـــدم ميل الفرس الى ادخال أحد من الغرباء عنهم في دينهم والى عدّهم المجوسية ديانة قومية خاصة بهم ، فلا يهمهم دخول أحد من غيرهم فيها .

هذا ولا أجد صلة بين (الأسبذية) التي زُعم أنها ديانة قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين ، عرفوا بـ (الأسبذيين) ، وبين (بني دارم) ، وكـــونهم كانوا على هذا الدين . فقد كان أحدهم وهو (المنذر بن ساوى) أسبذياً ، ولم يكونوا كلهـــم . قيل إنه نسب الى قرية بهجر يقال لها (الأسبذ) ، وقيـل الى الأسبذيين[3] . ولا صلة لهـــذه الأسبذية بالمجوسية ، أو الى ديانة دخلت من فارس الى البحرين . وقد تحدثت في مكان آخر عن وجود قوم من العرب قدسوا (الحصـــان) . ورأيي أن المراد من (الأسبذية) الفرسان . وأن (المنذر بن ساوى) كان (أسبذاً) أي بدرجة فارس ، وهي من درجة الشرف والرفعة في الجيش الساساني .

---

١ البلاذري (٨٥ وما بعدها) ، البلدان (٢/٧٣ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٣) ، (صادر) .
٣ فتوح البلدان (٩٨) ، (٨٩) (طبعة المكتبة التجارية) ، محاضرات للدكتور صالـح أحمد العلي (١٧١) .

ويذكر علماء اللغة في معرض كلامهم على معنى لفظة (الزمزمة) ان من عادة المجوس الزمزمة عند الابتداء بالأكل ، أي قراءة شيء من كتبهم الدينية قراءة خافتة على المأكول تقديساً وشكراً له . وقد نهى الخليفة عمر عن الزمزمة ، لأنها من علائم المجوس[1] .

وقد عرف عالم المجوس ورئيسهم الروحي عند العرب بـ (الموبذ) و (الموبذان) ، وعرف كبيرهم بـ (موبذان موبذ) ؛ وجعل بعض العلماء (الموبذان) بمنزلة قاضي القضاة للمسلمين ، والموبذ بمنزلة القاضي[2] . وتعني (موبذان موبذ) الموبذ الأعظم . وقد اكتفي أحياناً بلفظة (موبذان) للتعبير عن (موبذان موبذ) . وقد فسر المسعودي لفظة (الموبذ) بمعنى حافظ الدين . ورجع أصلها الى (مو) بمعنى (دين) في رأيه ، و (بذ) بمعنى (حافظ)[3] . ورأى (اليعقوبي) ان (الموبذان) بمعنى عالم العلماء[4] . والموبذ هي من الألفاظ المعربة عن الفهلوية ، فهي من أصل فهلوي هو Magupat ، بمعنى عظيم المجوس . ويتمتع هذا الرئيس الديني الأعظم بسلطات دينية واسعة[5] . وقد أطلق السريان على الموبذ جملة (ريش مكوشي) (Resh Magushi) و ,(Resh dam'gushi) ، أي (رئيس المجوس) ، و (مكوش) تعني (المجوس)[6] .

وترد في العربية لفظة أخرى ، لها صلة بالمجوسية ، هي (الهربذ) ، و (الهرابذة) . ذكر علماء اللغة أن « الهرابذية : المجوس ، وهم قومة بيت النار التي للهند ... وقيل عظماء الهنـــد أو علماؤهم » . وذكروا أن « الهربذي مشية فيها اختيال ، كمشي الهرابذة ، وهم حكام المجوس . قال امرؤ القيس :

مشى الهربذي في دفه ثم فرفرا »[7]

---

١ اللسان (١٥/١٦٥) ، تاج العروس (٨/١٦٥) ، تاج العروس (٨/٣٢٨) .
٢ اللسان (٣/٥١١) ، (موبن) ، النهاية في غريب الحديث (٤/١١٩) ، تاج العروس (٢/٥١٣) .
٣ مروج الذهب (١/٢٦٨) ، (ذكر ملوك الساسانية) ، Ency., III, p. 543.
٤ تاريخ اليعقوبي (١/٢٠٧) .
٥ Ency., III, p. 543.
٦ اللسان (٣/٥١٧ وما بعدها) ، (هربن) .
٧ Ency., III, p. 543.

واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية . من أصل (هـور) و (بت) ، بمعنى رئيس خدام النار . والموكل على خدمة النار في المعبد[1] .

وقد ذكر (الألوسي) ، أن صنفاً من العرب عبد النار ، وقال عنهم : « وهم أشتات من العرب ، وكأن ذلك سرى اليهم من الفرس والمجوس »[2] . ولم يذكر أسماء هؤلاء الأشتات . ولم يتحدث عن طريقة تعبدهم للنار . ولكننا نستطيع أن نجد في (نار الاستمطار) وفي (نار التحالف) وفي النيران الأخرى التي يذكر أسماءها أهل الأخبار دلالة على وجود فكرة تقديس بعض العرب للنار. وقد حبب الاسلام هذه النيران .

فقد ذكر أهل الأخبار ان العرب كانت في الجاهلية الأولى ، اذا احتبس عنهم المطر ، ويئسوا من نزوله ، يجمعون البقر ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السلعَ والعشرَ ويصعدون بها في الجبل الوعر ، ويشعلون فيها النار ، ويزعمون ان ذلك من أسباب المطر ، قال الشاعر (الورل) الطائي :

أجاعلٌ أنتَ بيقوراً مسلّعة وسيلة منك بين الله والمطر[3]

وقد أشير الى هذه النار في شعر ينسب الى أمية بن أبي الصلت[4] . ويسمونها بنار الاستسقاء وبنار الاستمطار[5] .

وذكروا ناراً أخرى قالوا لها : (نار التحالف) و (نار المهول) . وقالوا ان العرب كانوا لا يعقدون حلفاً إلا عليها ، وكانوا اذا اختصموا في شيء ، واتفقوا على اليمين ، حلفوا على النار . ولهذا قيل لها (نار التحالف) . وطريقتهم في ذلك أن المتحالفين أو المتخاصمين يحفرون أمام نار يوقدونها ، ثم يلقون عليها

---

١ غرائب اللغة (٢٤٨)

٢ بلوغ الارب (٢/٢٣٣) ..

٣ (الوديل الطائي) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، بلوغ الارب (٢/١٦٤) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، الحيوان (٤/٤٦٨) ،

لا در در رجـــال خاب سعيهـم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أحاعل أنـت بيقـورا مسلعـة ذريعة لـك بـين الله والمطـر

اللسان (٤/٧٣) ، (بقر) .

٤ نهاية الارب ، للنويري (١/١٠٩ وما بعدها) ، الحيوان (٤/٤٦٦ وما بعدها) .

٥ نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

ملحاً وكبريتاً . وعندئذ يذكرون منافع هذه النار ويدعون بالحرمان من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد.وفي حالة الحلف واليمين يقول صاحب النار للحالف: « هذه النار قد تهددتك » ، فإن كان مبطلاً نكل ، وان بريئاً حلف ، ولذلك قيل لها « نار المهول »[1] . وذكروا أيضاً أن هذه النار كانت معروفة في اليمن، مستعرة دائماً ، ولها سادة سدنة وقيّمون يطرحون الملح والكبريت في النار ، أما السدنة فيقومون بأخذ اليمين . وكان سادتها إذا أتى برجل ليحلف ، هيبوه من الحلف بها ، وخوّفوه من الكذب . وقد عرفت هذه النار بـ (نار التحاليف) كذلك . وقد أشار اليها الكميت بقوله :

هم خوّفوني بالعمى هوّة الردى كما شب نار الحالفين المهوّل

كما أشار اليها شاعر آخر هو أوس ، إذ قال :

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صدّ عن نار المهوّل حالف[2]

وذكر (الجاحظ) أن العرب « يقولون في الحلف : الدّم ، الدّم ، والهدم الهدم ، لا يزيده طلوع الشمس إلا شداً ، وطول الليالي إلا مداً ، ما بل البحر صوفة ، وما أقام رضوى في مكانه ، إن كان جبلهم رضوى .

« وكل قوم يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبالهم . وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم »[3] .

بل زعم بعض أهل الأخبار ان حمير كانت تحتكم الى نار كانت باليمن تحكم بينهم فيما كانوا يختلفون بـه . تأكل الظالم ولا تضر المظلوم . فلما اعتنق التبـع (تبان أسعد) ، ديانة يهود ، وطلب من قومه الدخول فيها ، أبوا عليه ذلك، وطلبوا منه الاحتكام الى تلك النار في قصة يذكرونها في سبب تهوّد بعض حمير[4].

وللعرب نار السعالى والجن والغيلان[5] . ذكروا ان الغيلان توقد بالليل النيران

---

١ اللسان (٥/٢٤٣) ، (نور) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٢ اللسان (٧/١٠٢) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، (خوفونا)، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، الحيوان (٤/٤٧٠) .

٣ الحيوان (٤/٤٧٠ وما بعدها) .

٤ سيرة ابن هشام (١/٢٧) .

٥ الحيوان (٤/٤٨١) .

للعبث والتخييل واضلال السابلة . وانها ترفع للمثقفر فيتبعها فتهوى بـــه الغول . وأورد أهل الأخبار شعراً في ذلك منه شعر لـ (عبيـد بن أيوب) ، المعروف بـ (أبـي مطراب) ، وكان يزعم انه يؤاكل الظبـــاء والوحش ويرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعي[1] .

وذكر أهل الأخبار قصة عن (خالد بن سنان العبسي) النبي العربـي الـذي منحه بعضهم في الاسلام جملة (عليه السلام) باعتبار انـه من أنبياء الله ، قد يكون لها صلة بعقيدة عبادة النار عند العرب . إذ ذكروا ان ناراً ظهرت «بالبادية بين مكة والمدينة في الفترة ، فسمتّها العرب بدأ ، وكادت طائفة منهم ان تعبدها مضاهاةً للمجوس . فقام خالد هذا ، فأخذ عصاه ، واقتحم النار يضربها بعصاه، حتى أطفأها الله تعالى . ثم قال : إني ميت ، فإذا أنا مت ، وحال الحول ، فارصدوا قبري . فإذا رأيتم حماراً عند قبري ، فارموه واقتلوه ، وانبشوا قبري، فإني أحدثكم بكل ما هو كائن . فمات . فلما حال الحول ، رأوا الحمار فقتلوه، وأرادوا نبشه ، فمنعهم أولاده ، وقالوا : لا نسمى بني المنبوش »[2] . وقد عرفت تلك النار بـ (نار الحرتين)[3] . وذكر انها كانت ببلاد عبس ، فإذا كان الليل تضيء نار تسطع وفي النهار دخان مرتفع . وربما بدر منها عنق فأحرق من مرّ بها . فحضر خالد بن سنان النبي ، فدفنها ، فكانت معجزة له[4] . ويظهـــر ان حرة ، كانت في تلك المنطقة ، ثم خمدت فنسب النـاس خمودها الى (خالد بن سنان) .

وللجاهليين استعمالات أخرى للنار ، فكانوا إذا خافوا شرّ رجـــل ، وتحوّل عنهم أوقدوا خلفه ناراً، ليتحوّل شرهم معه[5] . ويقولون : « أبعده الله واسحقه وأوقـــد ناراً في أثره » ، يقولون ذلك لكراهيتهم له ، ويتمنّون المـــوت له . وتعرف هذه النار بـ (نار الطرد)[6] . وذكر أن العرب تدعو على العدو فتقول:

---

١ الحيوان (٤/٤٨١ وما بعدها) ، معجم الشعراء (١٨٢) ، مروج الذهب (١/٣٢٨) ، الحيوان (٥/١٢٣) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) .

٢ محاضرات الابرار (١/٧٧) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٣ الحيوان (٤/٤٧٦ وما بعدها) .

٤ صبح الاعشى (١/٤٠٩ وما بعدها) .

٥ اللسان (٧/١٠٢) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٦ خزانة الادب (٣/٢١٢) ، الحيوان (٤/٤٧٤) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) .

أبعد الله داره وأوقد ناراً اثره[1] .

ولا بد أن يكون للنار الموقدة على المزدلفة صلة ما بعقائد الجاهليين القديمة في النار . وينسب الأخباريون هذه النـــار الى (قُصي بن كلاب) ، يقولون إنه أوقدها على المزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة في أيام الحج . وقد بقي الناس يوقدونها الى الاسلام[2] .

ومن نيران العرب ، نار الغدر ، وتوقد بمنى أيام الحج على أحد الأخشبين ، جبليْ مكة : أبي قبيس وقُعَيْقعان ، أو أبو قبيس والأحمر . فإذا استعرت ، صاح موقدها : هذه غدرة فلان ، ليحذره الناس ، وليعلموا أن فلاناً قد غدر بجاره[3] .

وأما (نار السلامة) ، فهي التي توقد للقادم من سفر سالماً غانماً ، وقـــد عرفت لذلك بـ (نار المسافر) أيضاً[4] . و (نار السليم) ، هي النـــار التي توقد للملدوغ وللمجروح ولمن ضرب بالسياط ولمن عضه الكلب الكَلِبُ،ويقولون إنها إنما توقد لكي لا يناموا ، فيشتد بهم الأمر ويؤدي الى الهلاك[5] .

وأما (نار الحرب) ، فهي النار التي كانوا اذا أرادوا حربـــاً ، وتوقعوا جيشاً عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليـــلاً على جبلهم ناراً ، ليبلـــغ الخبر أصحابهم . واذا جدوا في جمع عشائرهم اليهم أوقدوا نارين[6] .

ونار الصيد ، هي نار توقد للظباء وللحيوانات الأخرى ، فتغشاها اذا نظرت اليها[7].

---

١ قال الشاعر :
وجمـــة أقوام حملت ، ولم أكن كموقـــد نـــار أثرهـــم للتنـــدم
اللسان (٥/٢٤٣) ، (نور) .

٢ صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، نهاية الارب فـــي معرفة أنساب العرب (٤٦٢) ، الكامل ، لابن الاثير (٢/١٧) ، نزهـــة الجليس (٢/٤٠٦) .

٣ بلوغ الارب (٢/١٦٢) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، نزهـــة الجليس (٢/٤٠٦) .

٤ الحيوان (٤/٤٧٣) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٥ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) .

٦ الحيوان (٤/٤٧٤ وما بعدها) ، (٥/١٣٣) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، نزهـــة الجليس (٢/٤٠٦) .

٧ صبح الاعسى (١/٤١٠) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

ونار الأسد ، وهي نار توقد اذا خافوا الأسد ، لينفر عنهم ، فإن من شأنه النفار عن النار ، يقال انه اذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده، ويشغله عن السابلة . ويقولون إن الضفدع اذا رأى النار تحير وترك النقيق[1] .

ونار الفداء ، وكان الملوك منهم ، إذا أسروا نساء قبيلة ، خرجت اليهم السادة منهم للفداء أو الاستيهاب ، فيكرهون ان يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن أو في الظلمة فيخفى قدر ما يحبسونه لأنفسهم من الصفي ، فيوقدون النار لعرضهن[2] .

ونار القرى ، هي من أعظم مفاخر العرب ، وهي النار التي ترفع للسفر ، ولمن يلتمس القرى ، فكلما كان موضعها أرفع كان أفخر . وهي نار مذكورة على الحقيقة لا على المثل[3] . وعرفت عندهم بـ (نار الضيافة) وبـ (نار الأضياف) أيضاً . وقد ذكر أهل الأخبار انهم ربما يوقدونها بـ (المندلى) ، ليهتدي اليها العميان . فالمندلى خشب ذو رائحة طيبة ، تفوح منه اذا أحرق ، فتشم من مسافة بعيدة[4] . وذكر انهم كانوا يوقدونها في ليالي الشتاء ، خاصة لحاجة الناس إلى القرى في ذلك الوقت . وكلما كانت النار مرتفعة ضخمة، كانت أفخر لصاحبها . وقد أشير اليها في الشعر[5] .

ويطلق العرب على كل نار تراها العين لا حقيقة لها عند النّاسها، نار الحباحب، ونار أبي الحباحب . وقد ذكر (الجاحظ) أنه لم يسمع في أبي حباحب شيئاً[6]. ولهم قصص عن شخص زعموا أنه كان يعرف بـ (أبي حباحب) ، وكان رجلاً في سالف الدهر بخيلاً لا توقد له نار بليل ، مخافة أن يقتبس منها نار ، أو يراها الضيفان فيفدون اليه ، فإن أوقدها ثم أبصرها مستضيء أطفأها، فضربت العرب به المثل في البخل ، فقالت : « أخلف من نار أبي حباحب » . وذكر

---

١ صبح الاعشى (١/٤١٠) ، بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٢ صبح الاعشى (١/٤١٠) ، بلوغ الارب (١/١٦١ وما بعدها) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٣ الحيوان (٥/١٣٤) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٤ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٥ بلوغ الارب (٢/١٦١) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) .

٦ الحيوان (٤/٤٨٦ وما بعدها) ، المخصص (١١/٢٨) ، بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) .

أن (أبا الحباحب) رجل كان لا ينتفع بماله لبخله فنسبوا اليه كل نار لا ينتفع بها[1].

ومن النيران الأخرى : نار البرق ، ونار البراعة ، ونار الخلعاء والهراب ، ونار الوسم ، وهي النار يسم بها الرجل منهم أبله . فيقال له : ما سمة إبلك ؟ فيقول كذا[2] .

وقد ذكر علماء اللغـــة أن العرب استعملوا النار في معنيين : معنى حقيقي ، ومعنى مجازي . وقصدوا بالنيران الحقيقة ، النيران التي كان يوقدها العرب حقاً ، وحصروها في أربعة عشر ناراً أو أكثر من ذلك ، أو أقل[3] . وقصدوا بالنيران المجازية ، استعمال الكلمة في معان مجازية ، مثل قولهم نار الحب ونار المعدة ، ونار الحُمى ، ونار الشوق[4] .

الصابئة :

ونجد في القرآن الكريم اشارة الى الصابئين ، وقد ذكروا بعد اليهود والنصارى في موضع من سورة البقرة[5] ، وذكروا وسطاً بين اليهود والنصارى في موضع من سورة المائدة وفي سورة الحج[6] . ويظهر ان معارف أهل الأخبار عنهم نزرة ، فليس لديهم شيء مهم مفيد يفيدنا عن عقائد أولئك الصابئة وآرائهم .

وقد ربط أهل الأخبار بين هؤلاء الصابئة المذكورين في القـــرآن وبين صابئة حرّان وصابئة العراق ، وجعلوهم طائفتين في الأصل : طائفة هم صابئة حنفاء

---

١ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) .

٢ الحيوان (٤/٤٨٦ وما بعدها) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٣ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، خزانة الادب ، للبغدادي (٣/٢١٢) ، (بولاق) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، الحيوان (٥/١٠٧ وما بعدها) ، نزهـــه الجليس (٢/٤٠٦) .

٤ نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٥ البقرة ، الاية ٦٢ .

٦ المائدة ، الاية ٦٩ ، الحج ، الاية ١٧ ، تفسير الطبري (٢/١٤٤) ، « دار المعارف » ، مجمع البيان ، للطبرسي (١/٢٧٨) ، الملل والنحل ، للسهرستاني (٢/٩٨) ، نخبه الدهر في عجائب البر والبحر ، للدمشقي (١/٤٤) « بطرسبورغ » ، ابن خلـدون (٢/٣٢) « دار الكتـاب اللبنانـــي ١٩٥٩ م » ، المسعودي ، مروج (٢/٢٤٧) ، الفهرست (٣٣٢) ، رسوم دار الخلافة (٥) .

وهم في نظرهم أصحاب ابراهيم ممن كان بحرّان وممن كان على دعوته ، وصابئة مشركون وهم من فسدوا من الصابئة فأشركوا واعتقدوا بالكواكب[1] .

ولكن الذي يفهم من القرآن الكريم ان الصابئة جماعة كانت على دين خاص ، وانها طائفة مثل اليهود والنصارى ، أي ان الكلمة مصطلح ولهـا مدلول معين مفهوم . فما ذهب اليه المفسرون من هذا التعريف للصابئة ومن هذا التقسيم ، انما تكوّن عندهم في الاسلام ، بعد وقوفهم على أحوال الصابئة واتصالهم بهم .

ويفهم من المواضع التي ورد فيها ذكرهم في القرآن الكريم ، ومن ورود اسمهم مع اليهود والنصارى فيه ، انهم كانوا يعبدون إلهاً ، ويتوجهون في دينهم اليه[2] .

ولا استبعد أن يكون من بين سكان مكة أناس كانوا من الصابئة ، جـاءوا اليها تجاراً من العراق ، أو جاء بهم الحظ اليها ، حيث أوقعهم في سوق النخاسة ، فاشتراهم تجار مكة وجاءوا بهم الى مدينتهم ، وعرفوا منهم أنهم صابئة .

ونحن إذا ما تتبعنا ما ورد عن لفظة صبأ وصابىء في الموارد الاسلامية نرى أن هذه الموارد تفسر لفظة صبـأ بمعنى خرج من شيء الى شيء ، وخرج من دين الى دين غيره . وتذكر أن قريشاً كانت تسمي النبي صابئاً ، والصحابة الصباة[3] . أي الخارجين على دين قومهم . وهي تستعمل لفظة الصابئة في كثير من الأحوال في معنى حنفاء ، كالذي نراه في ربطهم ابراهيم بهاتين الديانتين ، وعدّهم قدماء الصابئة في جملة الحنفـاء ، فإن هذا يدل على أن المراد من الصابئة بين العرب عنـد ظهور الاسلام هم المنشقون الخارجون على ديانة قومهم ، أي على عبادة الأوثان والمنادين بالتوحيد . وأما ما نراه من إطلاق الصابئة على الصابئة المعروفين في الاسلام ، فإنما حدث في الإسلام .

واطلاق قريش لفظة الصابىء والصباة على المسلمين بدلاً من تسميتهم بمسلمين قضية مهمة جداً ، يجب الاهتمام بها ، وفي الأخبار أمثلة كثيرة على ذلك . فقد

---

١ التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون (١/٨٨٧) ، بلوغ الارب (٢/٢٢٣ ومـا بعدها) .

٢ Dictionary of Islam, p. 551.

٣ النهاية (٢/٣٦٩) ، اللسان (١/١٠٢) ، « وكانت العرب تسمى النبى صلى الله عليه وسلم الصابىء ، لانه خرج من دين قريش الى الاسلام ، ويسمون من يدخل في دين الاسلام مصبوا .. ويسمون المسلمين الصباة » ، تاج العروس (١/٣٠٦) ، « طبعة الكويت » ، القاموس المحيط (١/٢٠) .

ذكرت كتب الحديث والسير واللغة أن قريشاً دعت النبي صابئاً ، وفي جملة من دعاه بذلك عمر قبل اسلامه ، ثم رمي عُمر بها بعد إسلامه أيضاً . ولما أسلم أبو ذر الغفاري ، انهال عليه أهل مكة بالضرب ، لأنه صبأ وفتن وخرج عن دينهم . ولما أرادت زوج مطعم بن عديّ خطبة ابنة أبي بكر الى ابنها ، ذكرت له أنها تخشى أن يؤثر على ولدها ، فيكون من الصباة . وقد كانت لفظة الصباة والصُّبّاء بمعنى مسلمين عند المشركين،ففي معركة حنين نجد (دريد بن الصمّة) يخاطب أحد رؤوس القوم ويقول له في جملة ما قاله : « ثم ألق الصُبّاء على متون الخيل »[1] . ولما أرسل بنو عامر لبيداً الى النبي ليرى خبره وعلمه، أسلم ، وأصابه وجع هناك شديد من حمّى ، فرجع الى قومه بسبب تلك الحمّى، وجاءهم بذكر البعث والجنّة والنار ، فقال صرافة بن عوف بن الأحوص :

لَعَمْرُ لبيد إنه لابن أمه ... ولكن أبوه مسه قدم العهد
دفعناك في أرض الحجاز كأنما ... دفعناك فحلاً فوقه قرع اللبد
فعالجت حماه وداء ضلوعه ... وترنيق عيش مسه طرف الجهد
وجئت بدين الصابئين تشوبه ... بألواح نجد بعد عهدك من عهد
وإن لنا داراً زعمت ومرجعاً ... وثم إياب القارضين وذي البرد

فكان عمر يقول : « وايم الله إياب القارضين وذي البرد[2] » . فقصد الشاعر بجملة « دين الصابئين » الإسلام ، فالصابئون في نظر المشركين هم المسلمون .

ولما ذهب سعد بن معاذ إلى مكة ، أنبه أبو جهل على قدومه اليها بعد ان دخل في دين الصابئين . ولما قدم خالد بن الوليد على بني جذيمة ، نادوه بأنهم صبأوا ، أي دخلوا في الاسلام[3] . ويلاحظ ان الوثنيين أطلقوا هذه التسمية على كل من أسلم ، وعلى كل من شكّوا فيه ورأوا انه ميال اليهم ، فكانوا يرمونه بهذه التهمة . أما المسلمون ، فلم يرتاحوا اليها . والظاهر انها كانت سبّة بالنسبة اليهم في ذلك العهد ، بدليل انهم كانوا يكذبون من كان يطلقها من المشركين عليهم ويردّ عليهم رداً شديداً ، فلما نادى جميل بن معمر الجمحي في قريش :

---

١ الطبري (١/١٢٦) ، « معركة حنين » .
٢ الاغاني (١٥/١٣١ وما بعدها) « خبر لبيد في مرثية أخيه » .
٣ لقد جمع « ولهوزن » أكثر المواضع التي أطلق الوثنيون فيها هذه اللفظة على المسلمين ، راجع كتابه : Reste, S. 236.

ألا ، ان ابن الخطاب قد صبأ ، وذلك حين دخل في الاسلام ، وشهد بذلك أمام النبي ، نادى عمر من خلفه : كـــذب ، ولكني أسلمت ، وقالت قريش : صبأ عمر[1] . ولا بد ان يكون لتكذيب عمر وغيره الوثنيين لتسميتهم المسلمين بهذه التسمية من سبب . وهو سبب يشعر ان أهل مكة انما أطلقوها عليهم إهانة لهم وازدراء لشأنهم وعلى سبيل السبّة ، لأنها كانت سبّة عندهم وذلك قبل الاسلام. وإلا لما انزعج المسلمون منها ، وردّوا على قريش بسببها رداً قبيحاً . وقد رأيت ان المسلمين كانوا يفتخرون باطلاق الحنيفية عليهم ، وانهم كانوا يرون ان الحنفاء هم سلف المسلمين ، وان ابراهيم كان حنيفاً وكان أول المسلمين .

فالصابئون اذن هم أولئك الخارجون على عبادة قومهم المخالفون لهم في ديانتهم. شأنهم في ذلك في نظر قريش شأن من يسميهم المسلمون في ايامنـــا بالملحدين أو الهدامين ، أو أي مصطلح آخر يراد به الرمي بالخروج على مثـل المجتمع القائم وتقاليده ، وذلك ازدراء بهم ، وتنفيراً للناس عنهم .

---

١ ابن الاثير (٢/٣٤ وما بعدها) « ذكر اسلام عمر بن الحطاب » .

الفصل الرابع والثمانون

تسخير عالم الارواح

للعالم الخفي ، وأقصد به عالم الأرواح وكل ما لا تراه العين ويدركه الحس من قوى طيبة أو خبيثة ، أثر خطير في عقائد أهل الجاهلية ، وفي عقائد الشعوب القديمة ، وفي أنفس كثير من الناس حتى اليوم ، إذ يشغل ذلك العالم في الواقع جزءاً خطيراً من الدين ومن حياة الناس عامة . فهناك صلوات وشعائر وأدعية مكتوبة وغير مكتوبة تتلى وتقال وتقرأ للسيطرة على ذلك العالم ، وللانتفاع منه ، ولتسخيره في سبيل خير الانسان ومصلحته ، ولتجنب أذى النوع الخبيث منه . واذا تتبعنا هذه الاعتقادات عند الجاهليين ، وجدنا انها قد كونت الجزء الأكبر من عقيدتهم وديانتهم ، وانها والذبائح من الأصول التي ارتكزت عليها ديانات العرب قبل الاسلام .

والواقع ان الاعتقاد بالأرواح يشغل حيّزاً كبيراً من فناء الدين عند الجاهليين ، وإن بدا لنا انه شيء لا علاقة له بالدين . فنحن حين البحث في موضوع العقيدة والدين عند أهل الجاهلية ، لا نتحدث بالطبع عن العقيدة والدين بالنسبة الى معتقداتنا وبالنسبة الى تفكير الانسان في القرن العشرين ، وانما نتحدث عن رأي أناس عاشوا قبل الاسلام ، وعن جماعة أدركت الاسلام ، كانت الأرواح في نظرها أكثر أثراً في حياة الفرد من أثر الآلهة فيه . فتقرب وتوسل اليها أكثر من تقربه وتوسله إلى آلهته التي كان يرى ان بيدها مفتاح سعادته وشقائه . وآية ذلك كثرة الكلمات والمصطلحات الجاهلية المتعلقة بها ، وما ورد في القرآن الكريم وفي

الحديث النبوي والأخبار من أثر الجن في نفوس القوم ، حتى تصوروهم آلهة وشركاء للأرباب في ادارة دفة هذا الكون .

هذا ، ونحن إن ذكرنا الأرواح ، فإننا لا نقصد المعنى المفهوم منها في رأينا، بل نقصد هذا المعنى وشيئاً آخر أعم وأوسع منه،معنى يشمل أيضاً بعض الأحجار والأشجار والآبار والكهوف وأمثال ذلك من أشياء تصوّر أهل الجاهلية أنها تكمن فيها قوة خارقة تستطيع التأثير في حياة الناس ، فتقربوا اليها بالزيارات والقرابين وبالتضرع والتوسل والأدعية لقدسيتها ولتلك القدرة العجيبة التي فيها ، فهي من حيث النفع أو الضرر كالأرواح : لوجود قوى خارقة غير منظورة فيها ، هي من الأرواح ، فتقرب اليها الانسان لذلك ، لغرض الاستفادة منها أو دفع أذاها.

وطبيعة الأرواح ، طبيعة غير مرئية ولا منظورة ، هي لطيفة خفيّة مستورة . إنما يجوز لبعضها الظهور في صورة أشباح ، والتجسم على هيأة الأجساد . ثم انها على طبيعتين : شريرة وخيرة ، خبيثة وصالحة . من الطبيعة الأولى الشياطين وبعض أنواع الجن ، ومن الطبيعة الثانية الملائكة والشطر الثاني من الجن . وأثر الخبيث من الأرواح أوضح وأكثر في عقلية أهل الجاهلية من أثر الفريق الصالح . وهو شيء منطقي مفهوم ، فالإنسان الى الشر أقرب منه الى الخير ، ذلك أن من طبع الخير عدم إلحاق الأذى بالغير ، فلا يخشى منه . أما الشرير ، ففي طبعه إلحاق الضرر والأذى بكل واحد ، وفي كل لحظة يراها ، لذلك التفتت اليه الأنظار حذراً منه ، وخشية من مكره ، وتقرّبت وتوددت اليه ، لا حباً له ، ولا تقرباً اليه لأنه جدير به ، بل إنما تملّقاً وتزلفاً لإبعاد شره ، وأمن جانبه على نمط ما يفعله الناس تجاه الأقوياء من الأشرار حيث يتقربون اليهم أو يبتعدون عنهم طمعاً ورهبة ، تمشية لأمور معاشهم ، لا حباً لهم واخلاصاً لاستحقاقهم ذلك الحب والاخلاص .

وقد ذكر (الجاحظ) ان الأعراب تجعل الخوافي والمستجنّات جنسين. يقولون جنّ وحنّ[1] . وقصد بـ (الخوافي) الأرواح ، لأنها لا ترى . وذكر غيره ان (الحن) ، حي من الجن ، كانوا قبل آدم ، يقال منهم الكلاب السود البهم ، يقال كلب حني ، أو سفلة الجن وضعفاؤهم أو كلابهم ، « ومنه حديث

---

١ الحيوان (٦/١٩٣) .

ابن عباس ، رضي الله تعالى عنهما ، الكلاب من الحن ، وهي ضعفة الجن ، فإن كان عندكم طعام فألقوا لهن ، فإن لهن أنفساً ، أي تصيب بأعينها »[1] . وذكر ان (الحن) خلق بين الجن والانس[2] .

وذكر (الجاحظ) أيضاً أن بعض الناس يقسم الجنّ على قسمين ، فيقول : هم جنّ و (حنّ).ويجعل (الجن) أضعفها[3] . وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى أن (الحن) ، هم كلاب الجنّ وسفلتهم ، وشر أنواع الجـــن[4] . ويجعلون الجن فوق الحن[5] .

ويقال للجنّ الجان ، و (الجنة) كذلك . و (الجان) اسم جمع للجنّ على رأي بعض علماء اللغة[6] . وقـــد ورد في مقابل (الإنس) في القرآن الكريم ، « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان »[7] . وصيره اسم أبـي الجن بعض العلماء ، أي في مقابل آدم أبـي البشر[8] . وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان كلمة (الجن) من الكلمات المعربة ، وذهب بعض آخر الى انها عربية[9] . وأرى انها من الكلمات السامية القديمة ، لأن الايمان بالجن من العقائد القديمة المعروفة عند قدماء الساميين وعند غير الساميين كذلك . والجن قوم مستترون ، وكلمـة (جنون) من هذا الأصل ، ومن معاني أصل الكلمة الاستتار .

ولم يتوصل الباحثون حتى الآن الى رأي ثابت في أصل كلمة (الجن) . فمنهم من رأى أنهم اسم صنم من أصنام العرب القديمة ، ومنهم من رأى أنها من أصل

---

١ تاج العروس (١٨٥/٩) ، (حنن) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الحيوان (١٧٧/٧) ، (هارون) ، (١٩٣/٦) .

٤ بلوغ الارب (٣٥١/٢) .

٥ قال أعشى سليم :

فما أنا من جن اذا كنت حائفـا ولستمن النسناسفي عنصرالبشر

وقال اخر :

أبيت أهـوى فى شياطـين نرى محملـف بجواهـم حن وجـــن

الحيوان (١٩٣/٦) .

٦ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، روح المعاني (٣٤/١٤ وما بعدها) .

٧ الرحمن ، الاية ٧٤ .

٨ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، (والجان . أبو الجن .. كما أن آدم أبـــو البشر) ، اللسان (٩٥/١٣ وما بعدها) ، (جنن) ، Reste, S. 148.

٩ Ency., I, p. 1045, Smith, p. 121, Lane, Lexicon, p. 492.

أعجمي ، ومنهم من وجـد لها صلة بالحبشية [1] . أما علماء العربية ، فرأوا أن معنى الكلمة الأصلي هو الاستتار ، وأنها من الاجتنان ، ولعدم إمكان رؤية ذلك العالم أطلقت عليه كلمة (الجن)[2] . وتقابل لفظة (الجن) و (جن) لفظـة (Demons) في الإنكليزية .

ويرى (نولدكه) أن فكرة (الجن) فكرة استوردها العرب من الخارج ، بدليل قولهم ان الجنة من عمل الجن ، ومن تلبس الجن بالانسان . وهي في نظره عقيدة قديمة دخلت العرب من جيرانهم الشماليين ، فقد كان الايرانيون يطلقـون على المجنون لفظة (ديوانه) (Devana) ، أي الذي به (ديو) (dev) من الأصل (ديـــوه) (Daiva) ، ومعناه (Demon) ، أي جان . ومن هـــذه الفكرة دخلت العهد الجديد من الكتاب المقدس . ويأتي (نولدكه) بدليل آخر على اثبات نظريتـــه في أن فكرة الجن فكرة مستوردة من الخارج شيوع قصص بناء جنّ سليمان مدينة (تدمر) بين الجاهليين ، وهو قصص ورد من قصة بناء (سليمان) لـ (تامار) في العهد القديم ، وتفسير (تامار) بتدمر عند المفسرين العبرانيين[3] .

ورأى (روبرتسن سمث) وجوه شبه كبير بين فكرة العرب عن الجن وبين فكرة بعض القبائل البدائية عن الحيوانات . إن رأي الجاهليين في الجن في رأيـه يشبه رأي المتوحشين الطوطميين في الحيوانات الوحشية . وفي القصص الذي يرويه البدائيون عن الحيوانات الوحشية وعن أرواحها وامكان احداثها الأمراض والأذى بالانسان شبّه بهذا القصص المروي عن الحيوانات الوحشية ، مما جعله يتصور ان فكرة الجن عند الجاهليين هي تطور لهذه النظرية القديمة التي تكون عند الطوطميين. انتقلت اليهم من عقيدة سابقة تطورت من عهد عبادة الطوطم. وان الجن(طوطمية) دون ان يكون لها قوم يشعرون بوجود صلة نسب وقربى بها[4] .

ولكن من الصعب تصور ظهور فكـــرة الجن عند عرب الجاهلية برمتها من

---

١ Ency. Religi., I, p. 669, Nöldeke, Moallakat, I, 69, 78, Shorter Ency., p. 91, Ency., I, p. 1045.

٢ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، اللسان (٩٥/١٣ وما بعدها) ، (جنن) .

٣ Ency. Religi., I, p. 670.

٤ Robertson Smith, Marriage, p. 128.

الطوطمية ، لأن هناك أموراً عديدة لا يمكن تفسيرها على وفق هـذه النظرية . ولكننا نستطيع ان نقول انها نوع من أنواع الـ (Animism) [1] . وقد وجدت عند العبرانيين في عهودهم القديمة ، كما كانت عند البابليين وغيرهم .

واذا سكن الجني مع الناس ، قالوا : عامر ، والجمع عمّار ، وإن كان ممن يعرض للصبيان ، فهم أرواح ، فإن خبث أحدهم وتعرّم ، فهو شيطان . فإن زاد على ذلك ، فهو مارد . فإن زاد على ذلك في القوة ، فهو عفريت . فإن طهر الجني ونظف ونقي وصار خيراً كله فهو ملك. وهم في الجملة جن وخوافي[2] .

لقد لعب الايمان بالجن عند بعض الجاهليين دوراً فاق الدور الذي لعبته الآلهة في مخيلتهم،فنسبوا اليها أعمالاً لم ينسبوها الى الأرباب ، وتقربوا اليها لاسترضائها أكثر من تقربهم الى الآلهة . إنها عناصر مخيفة راعبة . تؤذي من يؤذيها وتلحق به الأذى والأمراض ، ولذلك كان استرضاؤها لازماً لأمن تلك الآفات . وهذه العقيدة جعلت الجن في الواقع آلهة ، بل أكثر سلطة ونفوذاً منها ، وصيّرت عمل الآلهة سهلاً يسيراً تجاه الأعمال التي يقوم بها الجن . ولا زال أثر هـذه العقيدة باقياً في نفوس النـاس حتى الأيام ، مع تقليل أهمية عمل الجن على الإنسان في الاسلام .

وليست هذه العقيدة عقيدة أهل الجاهلية حسب ، بل هي عقيدة أكثر مـن اعتقد بأثر الأرواح في العالم وفي عمل الإنسان ، اذ صيرتها آلهة مقرّها الأرض ، أو آلهة من الدرجة الثانية . والغريب أننا نرى بعض الشعوب تخصص أعمال الآلهة الكبيرة بناحية معينة ، وتعتبرها آلهة رئيسية كبرى ، بينما تجعل عمل الجن عمـلاً واسعاً يشمل كـل الأرض والانسان ، أي أن عملها أوسع جداً من عمـل تلك الآلهة وأهم .

وفي القرآن الكريم ان قريشاً جعلت بين الله وبين الجنة نسباً : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ، ولقد علمت الجنّة انهم لمحضرون »[3] ، وانهـا جعلت الجن شركاء له : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون »[4] . أي جعلوا لله الجـن شركاء في عبادتهم

---

١ المصدر نفسه .
٢ الحيوان (٦/ ١٩٠ وما بعدها) .
٣ الصافات ، الآية ١٥٨ .
٤ الانعام ، الآية ١٠٠ .

اياه ، وخرقوا له بنين وبنات ، وتخرصوا لله كذباً ، فافتعلوا له بنين وبنـــات جهلاً وكذبـــاً[1] . وورد ان الله تزوج الجن ، وان الملائكة هم بناته من هذا الزواج . « قال كبار قريش : الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : بنات سراة الجن »[2] .

ويفهم من القرآن الكريم أيضاً ان من العرب من كان يعبد الجن : « قالوا : سبحانك ، أنت ولينـــا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجـــن ، أكثرهم بهم مؤمنون »[3] . وذكر (ابن الكلبي) ان (بني مليح) من خزاعة رهط طلحة الطلحات ، كانوا ممن تعبد للجن من الجاهليين[4] . ويزعمون ان الجن تتراءى لهم[5] . وفيهم نزلت : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم »[6] . وذكـــر ان قبائل من العرب عبدت الجن ، أو صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن . ويقولون هم بنات الله[7] ، فأنزل الله : « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة . أيهم أقرب . ويرجون رحمته ويخافون عذابه . إن عذاب ربك كان محذوراً »[8] .

وليس لدى المفسرين أو أهل الأخبار علم واضح عن كيفية اعتقاد بعض العرب بألوهية الجن ومصاهرتها للآلهة أو الإلـه . وما ورد عن ذلك في القرآن ، مجمل . والظاهر أن ذاكرة الأخباريين لم تتمكن من حفظ تفاصيل هذه العقيدة والعقائـــد المماثلة الأخرى ، ولا بـــد وأن تكون لها أسطورة قديمة ، يظهر أنها ماتت قبل الاسلام ، أو أن المسلمين تركوا روايتها لمعارضتها للإسلام ولأنها كانت في نظرهم خرافة تتعلق بأصنام ، فلم يروا الاهتمام بها ، وتركوها ، ولولا ورود ذكرهـــا مقتضباً في القرآن ، فلربما صرنا في جهل تام بأمر تلك العبادة .

ويرى (نولدكه) أن الجاهليين لم يتعبدوا للجن ، ولم يتخذوها آلهة على نحو

---

١ تفسير الطبري (١٩٧/٧) .
٢ لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي (٨١/٢ وما بعدهـــا) ، حاشية على تفسير الجلالين .
٣ سبأ ، الآية ٤١ .
٤ الاصنام (٣٤) ، الاشتقاق (٢٧٦) .
٥ تفسير القرطبي (٣٠٩/١٤) .
٦ الاعراف ، الآية ١٩٣ .
٧ تفسر الطبري (٧٢/١٥) .
٨ الاسراء ، الرقم ١٧ ، الآية ٥٧ .

ما نفهم من معنى الآلهة ، وأن (عبد الجن) ، وإن دل على التعبد للجن ، إلا أن هذه التسمية لا تدل حتماً على عبادة للجن[1] .

وتتألف الجن من عشائر وقبائل ، تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم . وهي كعشائر وقبائل جزيرة العرب ، تتقاتل فيما بينها ، ويغزو بعضها بعضاً . ولها أسماء ذكر بعضاً منها أهل الأخبار ، كما أن لها ملوكاً وحكاماً وسادات قبائل . فهي في حياتها تحيا على شكل نظام حياة الجاهليين . واذا اعتدى معتد على جان انتقمت قبيلته كلها من المعتدي أو المعتدين . وبين قبائل الجن عصبية شديدة ، كعصبية القبيلة عند الجاهليين ، وهي تراعي حرمة الجوار ، وتحفظ الذمم والعقود وتعقد الأحلاف . فنحن إذن أمام حياة جاهلية مستترة غير منظورة ، هي حياة جن جاهليين . ومن الجن (بنو غزوان)[2] ، (بنو عزوان)[3] .

وقد تتقاتل طوائف من الجن ، فيثير قتالها عواصف الغبار ، ولذلك فسر الجاهليون حدوث العواصف والزوابع بفعل الجن . ونجد هذه الفكرة فكرة إحداث الجن للرياح والعواصف في المزامير من أسفار التوراة[4] .

وهم مثل البشر ، فيهم الحضر ، أهل القرار ، وفيهم المتنقلة وهم أعراب الجن ، وفيهم من يسير بالنهار ، وفيهم من يسير بالليل ، وهم (سراة الجن) ، و (السراة) . قال الشاعر :

أتوا ناري فقلت منون قالوا : سراة الجن ، قلت : عموا ظلاما[5]

وللجن كما للانس سادة ورؤساء وعظماء ، نذكر منهم : الشنقناق والشيصبان . وقد ذكر الأول في شعر (بشار بن برد) وفي شعر لأبي النجم ، وفي شعر حسان بن ثابت[6] . و (دحرش) أبو قبيلة من الجن[7] .

وعقد الجاهليون أحلافاً مع الجن على التعاون والتعاضد ، فقد ذكر ان قوماً

---

١ Ency. Religi., I, p. 670.
٢ اللسان (٥/٨٩) ، (وبنو غزوان ، حي من الجن) ، (فرر) .
٣ تاج العروس (١٠/٢٤١) ، (عزا) .
٤ المزمور ١٠٤ ، الآية الرابعة ، Reste, S. 151.
٥ تاج العروس (١٠/١٧٤) ، (سرى) .
٦ الحيوان (١/٣٠٨) ، (٦/٢٢٨ ، ٢٣١) ، ثمار القلوب (٥٥) .
٧ تاج العروس (٤/٣١٠) ، (دحرش) .

من العرب ، كانوا قد تحالفوا مع قوم من الجن من (بني مالك بن أقيش)[1].

ويذكر الرواة قصصاً عن الجن مع الإنسان . يذكرون أن (تأبط شراً) رفع كبشاً تحت إبطه ، وأخذه معه الى الحي ، فصار يبول عليه في الطريق ، حتى إذا قرب من مكانه ، ثقل عليه ، فرمى به ، فإذا هو الغول[2] . ويذكرون أن ابن امرأة من الجن أراد الحج في الجاهلية ، فخافت عليه أمه من سفهاء قريش، ولكنه ألحّ عليها بأن تسمح له بالذهاب . فلما أكمل الطواف ، وصار ببعض دور بني سهم ، عرض له شاب منهم فقتله ، فثارت غبرة شديدة بمكة، ومات من بني سهم خلق كثير قتلهم الجنّ انتقاماً منهم لقتل الجان ، فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها ، فركبوا الجبال والشعاب بالثنيّة ، فما تركوا حيّة ولا عقرباً ولا عظاية ولا خنفساء ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الأرض إلا قتلوه ، حتى ضجت الجن ، فصاح صائحهم من على أبي قبيس يطلب وساطة قريش بينهم وبين بني سهم الذين قتلوا منهم أضعاف ما قتله الجن من بني سهم، فتوسطت قريش ، وأنهي النزاع ، وتغلب بنو سهم على الجن[3] .

والجن مثل البشر ، يعتدون كذلك ، ولا يردعهم من اعتدائهم إلا القوة . هذا رجل من (بني سهم) يقص علينا في الاسلام انه كان بـ (تبالة) يراجع نخلاً له ، وبين يديه جارية له ، فصرعت، فأدرك ان الجن هم الذين صرعوها، فوقف عليها قائلاً : يا معشر الجن ! أنا رجل من بني سهم،وقد علمتم ما كان بيننا وبينكم في الجاهلية من الحرب وما صرنا اليه من الصلح والعهد والميثاق ان لا يغدر بعضنا ببعض ، ولا يعود إلى مكروه صاحبه ، فإن وفيتم وفينا ، وإن غدرتم عدنا الى ما تعرفون . فخافت الجن من هذا التهديد ، وأفاقت الجارية ، ولم يصبها بعد ذلك مكروه[4] .

وذهب الجاهليون الى جواز قتل الجن للانسان . وقد بقي هذا الاعتقاد

---

١ الطبري (٢/٣٤٩) ، (دار المعارف) .
٢ الاغاني (١٨/٢١٠ وما بعدها) .
٣ الازرقي (٢/١١ وما بعدها) ، « المطبعة الماجدية بمكة » .
٤ الازرقي (٢/١٢ وما بعدها) .

في الإسلام . فلما قتل (سعد بن عبادة بن دليم) ، زعم أن الجن قتلته[1] . ولما قتل المغني المعروف (الغريض) ، وهو من الموالي ، وكان نشأ خيّاطاً ثم أخذ الغناء بمكة عن (ابن سريج)،زعم أن الجن نهته أن يغني لحنه الذي يقول فيه :

تشرب لـــون الرازقي بياضـــه أو الزعفران خالط المسك رادعه

فلما لم ينته قتلته الجن في ذلك خنقاً[2] .

وزعم أن الجن خنقت (حرب بن أمية) ، وقالت الجن في ذلك شعراً[3] . وقتلت (مِرْداس بن أبي عامر) ، أبا (عباس بن مرداس) ، واستهوت (سنان بن حارثة)،ليستفحلوه،فمات فيهم . واستهووا (طالب بن أبي طالب)، فلم يعثر أهله له على أثر ، واستهووا (عمرو بن عـــدي) اللّخمي الملك ، ثم ردّوه على خاله (جذيمة بن الأبرش) ، بعد سنين وسنين . واستهووا (عمارة ابن الوليد بن المغيرة) ، ونفخوا في أحليله ، فصار مع الوحش[4] .

ويروي أهل الأخبار ان الجن تتصادق مع الانسان وتتباغض معه ، وقد تقتله، ورووا في ذلك قصصاً ، وذكروا أنها قد تتألم لوفاة رجل طيب أو شهير محبوب . وقد تعطف على المحتاجين والمعوزين . وفي جملة ما قالوه عن الجن ان (أبا هالة) كان قد خرج في الجاهلية في عِير لقريش يريد الشأم ، فنزل وادياً يقال له : (عز) ، وانتبه آخر الليل فاذا شيخ قائم على صخرة ، وهـــو ينشد شعراً في رثاء عبدالله بن جُدعان ، وكان ذلك الشيخ جان من الجن . وقد ذكر أهـــل الأخبار محاورة من الشعر قالوا انها جرت بين (أبي هالة) ، وبين ذلك الشيخ

---

١ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧٣) ، المعارف ١١٢ ، الحيوان (٦/٢٠٩) ، الاشتقاق (٤٥٦) . وسمعوا الهاتف يقول :

فـد قتلنـــا سيد الخـــزر ج سعـــد بـــن عبـــــاده
ورميـنـــاه بسهمـــين فلـــم نخـــط فـــؤاده

الحيوان (٦/٢٠٩) ، (هارون) ، (١/٣٠٨) .

٢ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧٣) ، الاغانى (٢/١٣٦ ، ١٤٣) ، الحيوان (٦/٢٠٨) ، (هارون) ، الحيوان (١/٣٠٧) .

٣ الحيوان (١/٣٠٢) ، (هارون) . وقالت الجن :

وقبـــر حـــرب بمكـــان قفـــر وليس قـــرب قبـــر حـــرب قبـــر

الحيوان (٦/٢٠٧) ، (هارون) .

٤ الحيوان (٦/٢٠٩ وما بعدها) ، (هارون) .

الجني الذي عين وقت وفـــاة (عبدالله بن جدعان) ، وثبته بالضبط ، فكان كما قال[1] .

وقد يقع الحب بين الجن والإنس . فقد ذكر ان الجنية قد تتبع الرجل تحبه، ويقال لها : تابعة . ومن ذلك قولهم : معه تابعة ، أي من الجن . والتابعة جنّية تتبع الانسان . كما يكون للمرأة تابع من الجن ، يتبع المرأة يحبها[2] . وقد يعشق الجني امرأة ويتصادق معها . هذا (منظور) الجني ، عشق امرأة اسمها (حبّة)، وتصادق معها ، فكانت (حبة) تتطبب بما يعلمها منظور[3] .

وقد يسرق الجن الأطفال والرجـال والنساء ، وللأخباريين قصص يروونه في ذلك . وينسب فقدان الأشخاص في البوادي إلى الجن في الغالب . غير انهـــا قد تنفع الناس أيضاً ، لأن من الجن من هو طيب النفس ، مفيد نافع ، ولا سيما اذا ما تقرب اليها الانسان وأحسن اليها . رأى الشاعر عبيد بن الأبرص حية، فسقاها . فلما ضل جمل له وتاه ، نادى هاتف بصوت مسموع سمعـــه عبيد بن الأبرص مشيراً إلى الموضع الذي ذهب الجمل اليه . فذهب عبيد إلى المكان، وجاء بجمله[4] . وكان هذا الهاتف هو صوت الحية التي هي جان من الجن .

وقد يتصاهر الإنسان مع الجن ، فقد كان لعمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي زوج من الجن : ولكنها لم تبق معه ، بل اختفت بعد ذلك عند ظهور البرق[5] . ونسبت بعض الأسر والقبائل مثل (بني مالك) ، و (بني شيصبان) ، و(بني يربوع بن حنظلة) وعرفوا ببني السعلاة الى الجـــن[6] . ونسب بعض الأخباريين نسب بلقيس وذي القرنين الى الجن[7] . وذكر أيضاً أن زوج (عمرو بن يربوع التميمي) كانت سعلاة ، أقامت مع زوجها في (بني تميم) : فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالى ، حنت وطارت اليهم ، فقال شاعرهم :

---

١ الاشتقاق (ص ٨٨ وما بعدها) .
٢ اللسان (٨/٢٩) ، (تبع) .
٣ تاج العروس (١/١٩٨) ، (حب) .
٤ الاساطير العربية (٧٩) ، Reste, 154. ff.
٥ الحماسة (١/٥٦١) ، (طبعة فراياغ) ، بلوغ الارب (٢/٣٤٠) ، الحيوان (١/ ١٨٥ وما بعدها ، ١٨٨) ، (هارون) . Reste, S. 154.
٦ الاساطير العربية (٧٥) .
٧ بلوغ الارب (٢/٣٤٩) ، الحيوان (١/١٨٧ وما بعدها) .

رأى برقاً فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسأل وما أغاما[1]

وفي ذلك قال (علباء بن أرقم) :

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات[2]

وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع زواج الانس بالجن وبالعكس ، أي زواج الجن بالانس . وتعرض لقول من قال إن (بلقيس) كانت من امرأة جنّية . وذكر آراء الناس في هذا الزواج المختلط ، الذي شك في امكان انجاب نسل منه . وقال : « وقد يكون هذا الذي نسمعه من اليمانية والقحطانية ، ونقرؤه في كتب السيرة ، قص به القصاص ، وسمروا به عند الملوك »[3] . وقد كان لأهل اليمن قصص وأساطير ، بدليل ما نلاحظه من أن معظم رواة القصص القديم كانوا من أهل اليمن في صدر الإسلام . ويظهر أنهم حذقوا به وتفوقوا به على بقية العرب الذين نسميهم العدنانيين بسبب دخول كثير منهم في اليهودية وفي النصرانية وشرائهم الكتب،وفيها قصص من قصص أهل الكتاب والأساطير القديمة، فمزجوه مع ما كان لهم من قصص وثني قديم .

وقد أطلق (الجاحظ) على قول الناس بزواج الانس بالجن وبالعكس (الزواج المركب) ، وأشار إلى قول الشاعر علباء بن أرقم :

يا قاتَلَ اللهُ بني السعلاة عمراً وقابوساً شرار النات

انه الدليل على ان السعلاة تلد الناس . هذا سوى ما قالوا في الشق وواق واق ودُوال باي وفي الناس والنسناس[4] .

وذكر أيضاً ان أعراب بني مرة تزعم ان الجن استهوت سناناً بن أبي حارثة المريّ ، وهو والد هرم بن سنان ، لتستفحله إذ كان منجباً ، وكان سنان قد

---

١ الحيوان (١/١٨٦) ، (هارون) ، (٦/١٩٧) .
٢ الحيوان (٦/١٦١) ، اللسان (٢/٤٠٧) ، نوادر أبي زيد (١٠٤ ، ١٤٧) ، المخصص (٣/٢٦) (١٣/٢٨٣) ، الامالي ، للقالي (٢/٦٨) ، محاضرات الراغب (٢/٢٨١) ، الحصائص (٤٥١) ، الفصول والغايات (٢١٠) .
٣ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧١) .
٤ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٢/٣٧٤) ، الحيوان (١/١٨٩) ، (هارون) .

هام على وجهه[1] .

وقد وجه الانسان جميع مواهبه منذ أقدم ايامه لتسخير عالم الأرواح ، وجعله في خدمته وتحت تصرفه ، أو لتحويله بحسب رغباته ، وتجنب ضرره وأذاه . قام بذلك رجال الدين خاصة ، ورجال الدين بحكم اتصالهم بالآلهة وبالعالم غير المنظور ، هم خلفاء الآلهة على وجه الأرض ، وألسنة الأرواح الناطقة بين الناس . فكانوا حكاماً ورجال دين وسحرة وأطباء وعلماء ، كما قام بذلك المنجمون والسحرة والكهّان وغيرهم ممن تكهن وتحدث عن الغيب ، وأظهر ان في قدرته التأثير على حياة الانسان ونفعه وضره بالاستعانة بعالم الأرواح وبما عنده من قدرات خارقة في امكانها اختراق حجب الأسرار والتحكم في العالم الخفي لتحويله إلى صالح انسان أو إلى الاضرار به .

وليس الجاهليون بدعاً في هذه الأمور ، بل كان غيرهم من الشعوب كالعبرانيين والبابليين والاغريق والرومان والمصريين والهنود وكل الشعوب الأخرى تعتقد بذلك . ولها رجال ادعوا العلم .

وقد كان الجاهليون يعلقون الحلي والجلاجل على (اللديغ) ، يفعلون ذلك لاعتقادهم انه يفيق بذلك ، فلا ينام ، ولو نام ، سرى السم في جسمه ، فمات . وذهب بعضهم إلى ان تعليق الحلي على اللديغ يبرئه من ألمه . أما إذا علق الرصاص عليه ، أو حلي به ، فانه يموت[2] .

وتقوم الجن بأعمالها بشكل غير منظور في الغالب ، لأنها أرواح . وهي قد تحذّر الانسان أو ترشده الى شيء يريده بصوت جهوري مسموع ، يقال له : الهاتف ، دون أن يرى الشخص أو الأشخاص صاحب ذلك الصوت . وهي تنبىء عن المستقبل كما تتحدث عن الماضي[3] . وقد ذكر (الجاحظ) أن « الأعراب وأشباه الأعراب لا يتحاشون من الإيمان بالهاتف ، بل يتعجبون ممن ردّ ذلك » . ثم قال : « قالوا : ولنقل الجن الأخبار علمَ الناس بوفاة الملوك ، والأمور المهمة ، كما تسامعوا بموت المنصور بالبصرة وفي اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب أيضاً كثير »[4] .

---

١ المصدر نفسه (ص ٣٧٥) ، الحيوان (٢٤/٧) ، الميداني (٢٠٢/١) .
٢ بلوغ الارب (٣٠٤/٢) .
٣ الحيوان (٢٠٢/٦) .
٤ الحيوان (٢٠٢/٦ وما بعدها) .

والجن وان كانت من الأرواح ، أي أنها غير منظورة ، إلاّ أن في استطاعتها أن تتجسم متى شاءت . فتظهر على هيئة جسم من الأجسام . إذ أن للجن قدرة على التشكل بالشكل الذي تريده ، تظهر في صورة حيوان أو في صورة إنسان أو غير ذلك . ومن هنا نجد قصص مصاهرة الانسان للجن ، وظهور نسل وأسر من هذا الزواج . وفي استطاعتها أيضاً تغيير الشكل الذي ظهرت به بشكل آخر حيث تشاء[1] . كما ورد ذلك في قصة الشاعر (تأبط شراً) والكبش الذي حمله، بينما هو جني . ومن هنا تختلف طبيعتها عن طبيعة البشر والحيوان .

وقد تتمثل الجن في صور حيوانات مشعرة ، أي ذات شعر كثيف . فالجن عند الشعوب السامية ذات شعر كثيف ، لذلك قيل لها (سعريم) (Sa'irim) في العبرانية . وهي تختار الأماكن الموحشة المقفرة في الظلام ، مثل رهبان الليل (ليليت) (Lilith) ، وتذهب مع الحيوانات التي تنفر من الانسان مثل النعامة[2] .

وفي الأساطير الجاهلية ان البقر اذا أوردت « فلم ترد ، ضربوا الثور ليقتحم الماء ، فتقتحم البقر بعده ، ويقولون إن الجن تصدّ البقر عن الماء ، وان الشيطان يركب قرني الثور »[3] . وقد ذكرت هذه الأسطورة في أشعار جاهلية ، يظهر من نقدها ودراستها انها من آثار العقائد الجاهلية في الجن . وقد اتخذت مثلاً لمن ينزل عليه مكروه في سبيل إخافة غيره ، فيكون بذلك كبش الفداء . واعتقادهم ان الشيطان يركب قرني الثور ، هو الذي جعلهم يتصورون ان الثور يتقدم البقر في شرب الماء ، ذلك لأن الشيطان ركب قرنيه ، فلا تخشى الثور اذن من الجن، والشيطان أخبث أنواع الجن وأذكاها . فتخافه الجن ، وتفسح المجال للبقر في ورود الماء . أما ضرب الثور لتوجيهه إلى الماء ، فلأجل ان الشيطان ركب قرنيه، فبضربه وبتقدمه يتقدم الشيطان نحو الماء فتخافه الجن وتفزع منه ، وتسمح للبقر بورود الماء ، ولهذا ضرب ، ليستفيد بذلك غيره[4] .

---

١ Robertson Smith, Lectures on the Religion of the Semite, p. 120.

٢ Robertson, p. 120, B.C. Thompson, Semitic Magic, London, 1908, p. 57.

٣ قال الاعشى :

لكالثور والجنـي يضرب وجهه ... وما ذنبه ان عافت الماء بافر

ولغيره :

انى وقتلى سليكا حين أعقله ... كالثور يضرب لما عافت البقر

٤ بلوغ الارب (٢/٣٠٣ وما بعدها) .

وأهم مواطن الجن في نظر الجاهليين ، هي المواضع الموحشة ، والأماكن المقفرة التي لا تطرق إلا نادراً والمحلات التي لا تلائم الصحة، والمقابر والأماكن المظلمة والمهجورة . ففي مثل هـذه المواطن تنزل الجن ، وتفضل الاقامة بها ، وسبب ذلك ، هو أن الانسان يخشى هذه المواضع ، ويحس بشيء من الخوف والوحشة من الدخول اليها ، فقد يتعرض فيها الى التهلكة ، فأوحى هذا الاحساس اليه أنهـا (مسكونة) ، وأن سكانها هم الجن . وأنهم قد يتعرضون له بسوء إن لم يعرف كيف يسلك سلوكاً طيباً معها،ولذلك صار يتحاشى ولوج هذه المواضع، لا سيما في الليالي المظلمة ، واذا دخلها مضطراً ، تخيـل الأشباح والأرواح وهي تلعب به كيف تشاء ، وتحوم حوله . ومن هنا ظهر عنده القصص المروي عن مواطن الجن .

وسكنت الجن المواضع المظلمة والفجوات العميقة فيها وباطن الأرض ، ولذلك قيل لها : ساكنو الأرض . كما سكنت المقابر[1] . والمقابر هي من المواضع الرئيسية المهمة المأهولة بالجن ، ولذلك يخشى كثير من الناس ارتيادها ليلاً . وهي لا بد أن تكون على هذه الصفة ، فهي مواطن الموتى ، وأرواح الموتى تطوف على القبور ، والموت نفسه شيء مخيف ، والجن أنفسها أرواح مخيفة ، فهل يوجد موضع أنسب من هذا الوضع لسكن الجن ؟

وتزعم الأعراب أن الجن سكنت (وبار) . وحمتها من كل من أرادها ؛ وهي بلاد من أخصب بلاد العرب ، وأكثرها شجراً ، وأطيبها ثمراً ، وأكثرها حباً وعنباً . فإن دنا إنسان من تلك البلاد ، متعمداً أو غالطاً ، حثوا في وجهه التراب ، فإن أبى الرجوع خبلوه ، وربما قتلوه . فليس في تلك البلاد إلا الجن، والإبل الحوشية[2] .

وقد زعم ان (يبرين) من مواطن الجن . وكانت في الأصل مواضع عاد . فلما هلكت ، سكنتها قبائل الجن . وقد روى أهـل الأخبار قصصاً عنها وعن اتصالها بالانسان . وزعم بعض منهـم ان (النسناس) ، هم قوم من الجن[3] .

---

١ Reste, S. 151.

٢ الحيوان (٦/٢١٥ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٤/٢٥٧) ، (نس) .

وقد ورد مثل هذه الأقوال عن مواضع أخرى كانت عامرة آهلة، ثم أقفرت، مثل الحجر موضع ديار ثمود[1] ، مما يدل على ان من اعتقادات العرب قبل الاسلام هو ان المواضع التي تصيبها الكوارث تكون بعد هلاك أصحابها مواطن للجن . ونجد مثل هذه الأساطير عند العبرانيين وعند غيرهم من الشعوب[2] .

وأشير في شعر (لبيد) الى (جن البدي) . قيل : « والبدي : البادية ، أو موضع بعينه » وقيل واد لبني عامر[3] . وأشار (النابغة) الى (جنة البقار) . وذكر ان البقار واد ، أو رملة ، أو جبل ، سكنته الجـــن ، فنسبت اليه[4] . وأشير إلى (جنة عبقر) في شعر (زهير) و (لبيد) و (حاتم)[5] . وعبقر أرض بالبادية كثيرة الجن ، وذكر بعضهم انها باليمن[6] ، قال لبيد :

ومن فاد من اخوانهم وبنيهم كهول وشبان كجنة عبقر

وقال بعض العلماء : عبقر قرية يسكنها الجن فيما زعموا ، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه اليها . ولهذا قالوا : العبقري للسيد الكامل من كل شيء ، وللذكي الممتاز[7] .

والمواضع المذكورة هي المواضع المفضلة المختارة لسكنى الجن . غير أن مواطن الجن غير محدودة ولا معينة ، إنها تسكن كل موضع ومكان ، حتى بيوت الناس لا تخلو منها ، بل حتى البحار والسماء لا تخلو منها كذلك ، فدولتها إذن عـــلى هذا الوصف أوسع من دولة الإنسان . وعلى من سكنت الجن بيته ألا يمسها بأذى ولا يلحق بها أي سوء ، وأن يقوم بترضيتها بالبخور وبما شاكل ذلك مما تحبـــه الجن ، وإلا أساءت اليه ، وجعلت بيته مؤذياً شؤماً ، لا يرى من يسكن فيه أي خير .

---

١ Reste, S. 150.
٢ Robertson, p. 120.
٣ الحيوان (٦/١٨٩) ، (هارون) .
٤ الحيوان (٦/١٨٩) ، اللسان (٦/٤٧) ، (١٢/٣٣٠) .
٥ الحيوان (٦/١٨٩) ، اللسان (٦/٢٠٩) ، البلدان (٦/١١٣) ، ثمار القلـــوب (١٨٨) .
٦ تاج العروس (٣/٣٧٩) ، (عبقر) ، اللسان (٤/٥٣٤) .
٧ تاج العروس (/٣٧٩) ، (عبقر) .

وكان الرجل في الجاهلية إذا اطّرف داراً ذبح فيها ذبيحة ، يتقي بهـا أذى الجن ، لاعتقادهم ان في كل دار جنّاً يقيمون بها فلترضيتهم وللتقرب اليهم ، يذبحون ذبيحة عرفت عندهم بـ (ذبائح الجن)[1] . ولا تزال عادة الناس ذبح ذبيحة عند الابتداء ببناء دار ، وعند الانتقال اليها . وكانوا أيضاً يذبحون ذبيحة عند استخراجهم عيناً ، أو شرائهم داراً ، أو بنيانهم بنياناً ، مخافة أن تصيبهم الجن ، فأضيفت الذبائح اليهم لذلك . وقد نهى النبي عن ذبائح الجن[2] .

وكان في اعتقادهم ان الأماكن المذكورة مليئة بالجن ، لذلك كانوا يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم ، اذا نزلوا منازلهم ، يقولون : نعوذ بأعز أهل هذا المكان ، أو اني أعوذ بكبير هذا الوادي . والى ذلك أشير في القرآن الكريم: « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »[3]. روي عن (حجاج بن علاط السلمي) ، « انه قدم مكة في ركب فأجنهم الليل بواد مخوف موحش ، فقال له الركب : قم خذ لنفسك أماناً ولأصحابك، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جني بهذا النقب
حتى أأوب سالماً وركبي »[4]

فوصل وركبه سالماً الى مكة دون أن يمسه أو أن يمس من كان معه من الركب أحد بسوء[5] .

وروي أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد الى وادٍ ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته وهي القاع المستديرة وعقلها وخطّ عليها خطاً ثم قال : « أعوذ بصاحب هذا الوادي . وربما قال بعظيم هذا الوادي »[6] . قال أحدهم :

---

١ اللسان (٢١٣/١٣) ، (سكن) .
٢ اللسان (٤٣٧/٢) ، (دبح) .
٣ سورة الجن ، رقم ٧٢ ، الآية ٦ ، تفسير الطبري (٦٧/٢٩ وما بعدها) .
٤ الروض الانف (١٣٦/١) .
٥ الروض الانف (١٣٦/١) ، الاصابة (٣١٢/١) ، (١٦٢٢) .
٦ بلوغ الارب (٣٢٥/٢) .

قد بتُ ضيفاً لعظيم الوادي المانعي من سطوة الأعادي
راحلتي في جاره وزادي[1]

وقالوا إنهم كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلاً يقولون : نعوذ بأعز أهل هذا المكان . يقولون ذلك عند نزولهم وادياً في الغالب،إذ نجد الرواة يكررون عبارة: « كانوا إذا نزلوا الوادي ، قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي » ، أو « بعزيز هذا الوادي »[2] . ويظهر أنهم تخوفوا من الوديان خاصة ، لما قد يقع فيها من مهالك ، فنسبوا ذلك الى فعل الجن .

وقال آخر يستجير بجن (عالج) ويتوسل اليهم ألا يرهقوه بغويّ هائج ، إذ يقول :

يا جن أجزاء اللوى من عالج عاذ بكم ساري الظلام الدالج
لا ترهقوه بغويّ هائج

وقال آخر :

أعوذ من شر البلاد البيد بسيّد معظم مجيد
أصبح يأوي بلوى زرود ذي عزة وكاهل شديد

وقد استعاذ رجل منهم ومعه ولد ، فأكله الأسد فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعادي
فلم يجرنا من هزبر عادي[3]

وذكر أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يرون أن الجن تعزف في المفاوز بالليل. والعزف والعزيف صوت الجن ، وهو جرس يسمع بالمفاوز . وهو صوت يسمع بالليل كالطبل . وروي عن (ابن عباس) قوله : « كانت الجن تعزف بالليل كله بين الصفا والمروة »[4] . وقد اشتهر موضع (العزاف) ، وقيل (ابرق

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٢٦) .
٢ تفسير الطبري (٢٩/٦٨ وما بعدها) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٦) .
٤ تاج العروس (٦/١٩٧) ، (عزف) .

العزاف) بأنه موضع يسمع به عزيف الجن[1] .

وقد موّن القصص الاسرائيلي أهل الجاهلية بشيء مما كان ينقصهم من أساطير الجن ، وتوسع وزاد هذا القصص في الاسلام ، حتى تولد منه هـذا الذي نجده مدوناً عن أخبار الجن في المؤلفات الاسلامية .

وتخبر الجن الانسانَ بحوادث تقع في مواضع بعيدة ، وهو لا يعلم عنها شيئاً . فلما هبط (نباش بن زرارة بن وقدان) ، زوج (خديجة بنت خويلد) قبل النبي ، وادياً يقال له (عز) ، انتبه في آخر الليل ، فاذا شيخ قائم على صخرة ، وهو يقول :

ألا هلك السيّال غيث بني فهر وذو العز والباع القديم وذو الفخر

فقال له نباش :

ألا أيها الناعي أخا الجود والفخر من المرء تنعاه لنا من بني فهر

وبقيا يقولان الأبيات ، حتى أخبره الشيـــخ بوفاة (عبدالله بن جدعان) في وقت حدده وضبطه له . فلما وصل مكة ، علم بوفاته على نحو ما أخبره به ذلك الشيخ . وهو جني من الجن ، ينظم الشعر ، وقد رثى (ابن جدعان)[2] .

ونجد في شعر الشعراء الجاهليين أمثال (أمية بن أبـي الصلت) و (الأعشى) إشارات الى الجن . وهم من أهل الجاهلية الذين كان لهم اتصال بأهـــل الكتاب وبكتبهم ، وقد زعم أن بعضاً منهم كان قد قرأ تلك الكتب ووقف على العبرانية أو السريانية . ولهذا ورد في شعرهم شيء من قصص أهل الكتاب . وفي جملته ما ذكرته من اشاراتهم الى الجن . وتراهم يربطون بينها وبين (سليمان) . أخذوا ذلك ولا شك من الأساطير العبرانية ، التي صيّرت الجن في خدمة (سليمان) . نجد الأعشى يقول :

وسخّر من جن الملائك تسعة قيامـــاً لديه يعملون محـــاربا

---

١ تاج العروس (١٩٧/٦ ، ٢٨٧) ، (برق) .
٢ الاشتقاق (٨٨ وما بعدها) .

قصد بذلك (سليمان)[1] . ونجد أن في جملة ما نسب عمله الى جن سليمان بعض المواضع مثل تدمر وقصر غمدان .

وقال النابغة الذبياني :

إلا سليمان إذ قال الإلَه له ... قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيِّس الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن عصاك فعاقبه معاقبة ... تَنْهى الظلوم ولا تقعد على ضمد[2]

وفي هذا الشعر إن صح آنه من نظم النابغة حقاً ، دلالة على تأثر الشاعر بالأسطورة اليهودية عن (تامار) ، وعن جن سليمان .

ونسبوا السيوف المأثورة الى جن وشياطين (سليمان) . ونسبوا اليه واليهم أشياء عديدة أخرى[3] .

وقد ادعى اناس من الجاهليين انهم كانوا يرون الغيلان والجن ، ويسمعون عزيف الجان ، أي صوت الجن . وقد بالغ الأعراب في ذلك ، وأغربوا في قصص الجان ، لما كانوا يتوهمونه من ظهور الأشباح لهم في تجوالهم بالفيافي المقفرة الخالية ، فتصوروه جناً وغولاً وسعالى ، وبالغوا في ذلك أيضاً ، لما وجدوه في أهل الحضر ولا سيما في الاسلام من ميل إلى سماع قصص الجان والسعالى والغول[4]. وقالوا انهم ربما نزلوا بجمع كثير ، ورأوا خياماً ، وقباباً ، وناساً ، ثم اذا بهم يفقدونهم من ساعتهم ، وذلك لأنهم من الجن[5] .

ونسبوا إلى الجن إحداث كثير من الأمور غير الطبيعية، مثل الأمراض والأوبئة والصرع والاستهواء والجنون خاصة . فالجنون هو تلبس الجن بالانسان ودخولهم جسمه . لذلك ربطوا بين الجن والجنون . ويرى (نولدكه) ان فكرة أن الجنون من عمل الجن ، عقيدة قديمة وجدت عند غير العرب كذلك . فقد كان الايرانيون

---

١ تاج العروس (٩/١٦٥) ، (جن) .
وسخر من جن الملائك تسعة ... قياما لدبه يعملون بلا أجر
اللسان (١٣/٩٧) ، (جنن) .
٢ الحيوان (٦/٢٢٣) .
٣ الحيوان (٦/١٨٧) .
٤ الحيوان (٦/١٧٢ وما بعدها ، ١٨٢) .
٥ الحيوان (٦/٢٠٠) ، (هارون) .

يطلقون على المجنون لفظة (ديوانه) (Devana) ، أي الذي به (ديو) (Dev) من الأصل (ديوه) (Daiva) ، ومعناها (Demon) أي جان . ومن هذه الفكرة دخلت في العهد الجديد من الكتاب المقدس . ومن الفارسية دخلت (ديوان) (Daiwan) في الإرمية بينما دخلت إلى الفارسية كلمة (شدها) (Shedha) من أصل (شدهان) (Shedhan) الإرمي واستعملت في مقابل (Deo) أي جان . و (شيده) (Shedh) في الإرمية الجان[1] .

وهم يزعمون أن الجن اذا عشقت انساناً صرعته ، ويكون ذلك على طريق العشق والهوى ، وشهوة النكاح . وأن الشيطان يعشق المرآة ، وان نظرته اليها من طريق العجب بها أشد عليها من حُمى أيام ، وان عين الجان أشد من عين الانسان[2] .

والعرب تزعم أن الطاعون من الجن ، ويسمون الطاعون رماح الجن . قال الأسدي للحارث الملك الغساني :

لعمرك ما خشيت على أُبيٍّ رِماح بني مقيّدة الحمار
ولكني خشيت على أُبيٍّ رِماح الجن أو إياك حار[3]

وللجنّ حوار مع الإنس وكلام نجده منثوراً كما نجده منظوماً في شعر ينسب الى الشعراء الجاهليين . ويروي الأخباريون شعراً ينسبونه الى (جذع بن سنان) ورد فيه وصف ملاقاته للجن ومحاورته معها ودعوته إياها الى الطعام وامتناعها عن الأكل ، كما رووا شعراً لغيره يصف ملاقاة بين الجن وبين أصحاب هذا الشعر[4] . وهو قصص لم يبخل على الجن فأعطاها شعراً من هذا الشعر الجاهلي الفصيح ! وقد سخر (الخيتعور) أحد (بني الشيصبان) من الجن من الأشعار التي جمعها (المرزباني) (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) ، من شعر الشعراء الجن ، فما هذا الذي جمعه إلا قطعة من شعرهم ، وهل يعرف البشر من النظم كما يعرف الجن .

---

١ Ency. Relig., I, p. 670.
٢ الحيوان (٦/٢١٧ وما بعدها) .
٣ الحيوان (٦/٢١٩) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٥٠ وما بعدها) .

وانما للبشر خمسة عشر جنساً من الموزون ، قل ما يعدّدوها القائلون ، وإن للجن آلاف الأوزان ما سمع بها الإنس[1] .

طعام الجن :

وطعام الجن مثل طعام الانسان ، وهم يشاركونه أكلـه في بعض الأحيان . « رووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انه سأل المفقود الـذي استهوته الجن : ما كان طعامهم ؟ قال : الفول . قال : فمـا كان شرابهم ؟ قال : الجدف . ورووا ان طعامهم الرمة وما لم يذكر اسم الله عليه »[2] . وقد جاء قوم من الجن الى نار (شمر بن الحارث الضبّي) ، فدعاهم الى الطعام بقوله :

أتوا ناري فقلت منون قالوا سراة الجن قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الإنس الطعاما[3]

والحوشي من الإبل هي التي قد ضربت فيها فحول إبل الجن . فالحوشية من نسل إبل الجن[4] . ويقال انها منسوبة إلى (الحوش) بلاد الجن من وراء رمل يبرين ، لا يمر بها أحد من الناس ، وقيل هم من بلاد الجن . وقيل الحوشية إبل الجن ، أو منسوبة الى الحوش وهي فحول جن ، تزعم العرب انها ضربت في نعم (بني مهرة بن حيدان) فنتجت النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية ، فنسبت اليها ، فهي لا يكاد يدركها التعب[5] .

الحية :

والحية ، من أكثر الحيوانات وروداً في القصص الـذي يرويه الأخباريون عن الجن . وقد جعلوها فصيلة مهمة من فصائلها ، ونوعاً بارزاً من أنواعهـا . قال

---

١ رسالة الغفران (٢٩١) ، (بنت الشاطىء) .
٢ الحيوان (٦/٢١٠ وما بعدها) .
٣ الحيوان (٦/١٩٧) .
٤ الحيوان (٦/٢١٦) .
٥ الحيوان (٤/٣٠٢) ، (حاش) .

بعض العلماء : الجان ، حيّة بيضاء ، وقال بعض آخر : الجان حيّة ، أو ضرب من الحيّات[1] . ولما قام (حرب بن أمية) جد معاوية بن أبي سفيان مع (مرداس ابن أبي عمرو) باصلاح (القرية) ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام، فأضرما النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهيبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فما لبث أن مـات الرجلان ، أماتهما الجن على ما يزعمه رواة هذا الخبر[2] . ولعلهما ماتا بعضة حية من تلك الحيات التي كانت ساكنة بين تلك الأعشاب وقد هاجتها تلك النيران . ومثل هذه المواضع تكون موئلاً للحيات والحشرات ، فابتدعت مخيلة القصاصين هذه القصة عن فزع الجن وطيرانها في صورة ثعابين بيض . ويعلل (نولدكه) وفاتهما بفعل الاختناق من الغاز الذي تصاعد من الاحتراق[3].

وذكروا أن الحيّة لا تموت حتف أنفها ، وإنما تموت بعرض يعرض لها . وانها تصبر على الجوع حتى ضرب بها المثل في ذلك . وانها اذا هرمت صغرت في بدنها . ولم تشته الطعام[4] . وانها تنطق وتسمع . وقد أورد أهل الأخبار شعراً في ذلك ، ذكروا أنه للنابغة . ومذهب النابغة في الحيات مذهب أمية بن أبي الصلت ، وعدي بن زيد وغيرهما من الشعراء[5] ، الذين تأثروا برأي أهل الكتاب فيما جاء عن الحية في العهدين وفي كتب الشروح والتفاسير والقصص الاسرائيلي القديم .

ولم تنفرد مخيلة الجاهليين وحدها باختراع اسطورة ان الحيات هي من الجن ، وانها جنس منها ، فان غير العرب من الساميين مثل العبرانيين كانوا يقولون أيضاً بهذا القول . وكذلك قال بهذه الأسطورة غير الساميين ، مما يدل على انه من الأساطير القديمة جداً التي انتشرت عند البشر ، بسبب ما قاسوه في ايام بداوتهم من هذا الحيوان[6] . ونجد قصة الحية في سفر التكوين . وهي في هذا السفر أشد

---

١ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) .
٢ الحيوان (١٤٣/٢) ، (حاشية) ، Robertson, p. 233.
٣ Ency. Religi., I, p. 670.
٤ الحيوان (١١٨/٤ وما بعدها) ، (موت الحية) .
٥ الحيوان (٢٠٣/٤ وما بعدها) .
٦ Ency. Religi., I, p. 669.

الحيوانات حيلة ، فهي التي خدعت حواء خدعتها الشهيرة ، وسببت طردها وطرد زوجها آدم من الجنة الى الأرض[1] .

ولعقيدتهم هذه في (الحية) ، كانوا اذا وجدوا حية ميتة كفنوها ودفنوها ، فعلوا ذلك في الاسلام أيضاً . جاء انه بينما كان (عمر بن عبد العزيز) يمشي في أرض فلاة ، فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها . وورد انـه كان جمع من أصحاب رسول الله « يمشون فرفع لهم اعصار ، ثم جاء اعصار أعظم منه ، ثم انقشع ، فاذا حية قتيل ، فعمد رجل منا الى ردائه وكفّن الحية ببعضه ودفنها . فلما جنّ الليل اذا امرأتان تتساءلان أيكم دفن عمرو بن جابر ؟ فقلنا ما ندري ما عمرو بن جابر ! فقالتا إن كنتم ابتغيتم الأجـر ، فقد وجدتموه . إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم . فقتل عمرو ، وهو الحية التي رأيتم »[2] .

« وفي الحديث : انه نهى عن قتل الجنان . هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف »[3] . والجان الشيطان أيضاً . وورد في الحديث : ذكر الحيات ، فقال : من خشي خبثهن وشرهن واربهن ، فليس منّـا . أي من توقى قتلهن خشية شرّهن فليس ذلك من سنتنا . وكانت الجاهلية تقول انها تؤذي قاتلها أو تصيبه بخبل[4] .

وذكر العلماء أن (اللاهة) الحية ، أو الحية العظيمة . وأن (اللات) ، الصنم المعروف أصله (لاهة) كأنه سمي بها . وان اسم الجلالة منها[5] . وفي الأساطير الجاهلية ما يفيد تعبد الجاهليين للحية ، وفي هذا التفسير ما يؤيد هذا الرأي .

ويقال للحية : (بنت طبق) . و (بنـات طبق) الحيات ، والحية (أم طبق) وبنت طبق . وهي (الدواهي) . ومن أساطيرهم أن بنت طبق سلحفاة تبيض تسعاً وتسعين بيضة كلها سلاحف ، وتبيض بيضة تنقف عن حية[6] .

والحيات شياطـين ، وللعرب شجر يطلقون عليه (الصوم) ، كريه المنظ

---

١ السفر الثالث من التكوين ، الآية ١ وما بعدها .
٢ الروض الانف (١/١٣٦) .
٣ اللسان (١٣/٩٥) ، (جنن) .
٤ تاج العروس (١/١٤٥) ، (أدب) .
٥ تاج العروس (٩/٤١٠) ، (لاه) .
٦ تاج العروس (٦/٤١٥) ، (طبق) .

جداً ، يقال لثمره (رؤوس الشياطين) أي الحيات . وليس له ورق[1] .

الغول :

وقصص الغول هي من أشهر القصص الجاهلي المذكور عن الجن ، ومع خطر الغول وشراسته في رأي الجاهليين ، ورد في قصصهم تزوج رجال من الإنس منهم . وورد ان الشاعر (تأبط شراً) تعرض بغيلة . فلما امتنعت عليه ، جللها بالسيف فقتلها . وهم يروون ان من الممكن قتل الغول بضربة سيف . أما اذا ضربت مرة ثانية ، فانها تعيش ولو من ألف ضربة . وهكذا ترى قصصهم يروي تغلب الانسان على الغيلة في بعض الأحيان . وأكثر قصص الغول منسوب الى (تأبط شراً)[2] . وللقب الذي يحمله هذا الشاعر أو حمل عليه دخل ، ولا شك، في ظهور هذا القصص .

ويرى علماء اللغة أن من معاني (الغول) التلون ، والظهور بصور مختلفة ، والاغتيال . ويرون أن الغول أنثى ، وأما ذكرها فيسمى (قطرباً)[3] . ولصفة التلون والظهور بصور مختلفة سموا الغول (حيتموراً) ، وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويضمحل كالسراب[4] . وذكر في وصف غدرها بالإنسان أنها اذا أرادت أن تضل إنساناً أوقدت له ناراً ، فيقصدها ، فتدنوا منه، وتتمثل له في صور مختلفة ، فتهلكه روعاً ، وان خلقتها خلقة إنسان ، ورجلاها رجلا حمار[5] .

وذكروا ان الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسُفّار ، ويتلون في ضروب الصور والثياب ، ذكراً كان أو أنثى . وقد قال (كعب بن زهير) الشاعر الصحابي ، الذي مدح الرسول ، في وصف تلون الغول :

---

١ تاج العروس (٣٧٢/٨) ، (صام) .
٢ بلوغ الارب (٣٤١/٢ وما بعدها) ، الاغاني (٢٠٩/١٨ وما بعدها) ، الحيوان (٢٣٣/٦ ، ٢٣٥) .
٣ بلوغ الارب (٣٤٦/٢ وما بعدها) ، الحيوان (٤٨/٦) ، تاج العروس (٥١/٨) ، (غـــال) .
٤ بلوغ الارب (٣٤٧/٢) .
٥ بلوغ الارب (٣٤٨/٢) ، الحيوان (٢١٤/٦) .

فما تدوم على حالٍ تكون بها كما تلوّن في أثوابها الغول[1]

وفي تلوّن الغول يقول (عباس بن مرداس السلمي) :

أصابت العامَ رِعْلاً غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان[2]

فالغول تتحول في أي صورة شاءت ، وتتمثل في صور مختلفة ، إلا رجليها ، فلا بد من ان تكونا رجلي حمار[3] .

وذكر ان (الغول) (السعلاة) ، وهما مترادفان ، وذكر ان الغيلان جنس من الجن والشياطين ، والعرب تسمي الحية الغول . وقيل ان (أنياب أغوال) الواردة في شعر لامرىء القيس ، الحيات ، وقيل : الشياطين[4] .

وإلى الشاعر (عبيد بن أيوب) شاعر (بني العنبر) ، يعود قسط كبير من القصص الوارد عن (الغول) و (السعلاة) . فقد كان يخبر في شعره انه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعي ، ويؤاكل الظباء والوحش. وقد أورد أهل الأخبار شيئاً من شعره في هذا الباب[5] . وذكر بعض علماء اللغة ، ان الغول الذكر من الجن ، والسعلاة الأنثى. والغول ساحرة الجن ، وتقول إن الغول يتراءى في الفلاة للناس فتضلهم عن الطريق[6] .

واما (السعالي) ، وواحدتها السعلاة ، فذكر أنها سَحَرَة الجن ، وقيل : إن الغيلان جنس منها ، وان الغيلان هي إناث الشياطين ، وأنها — أي السعالي — أخبث الغيلان ، وأكثر وجودها في الغياض ، وانها إذا ظهرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر ،وان الذئب يأكل السعلاة[7] . وذكر ان (السعلاة) اسم الواحدة من نساء الجن إذا لم تتغول لتفتن السفّار . وهم إذا رأوا المرأة

---

١ الحيوان (١٥٨/٦ وما بعدها) .
٢ الحيوان (١٦١/٦) .
٣ الحيوان (٢٢٠/٦) .
٤ تاج (٥١/٨) ، (غال) .
٥ الحيوان (٤٨٢/٤) ، (هارون) ، (١٢٣/٥ ، ١٣٨ ، ٢٤١) ، (١٢٨/٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٣٩٥) .
٦ تاج العروس (٥١/٨) ، (غال) .
٧ بلوغ الارب (٣٤٦/٢ وما بعدها) .

حديدة الطرف والذهن ، سريعة الحركة ممشوقة ممحصة ، قالوا : سعلاة . وقال الأعشى :

ورجالٍ قتلى بجنبي أريك ونساءٍ كأنهـن السعالى[1]

وذكر أن في الجن سحرة كسحرة الانس لهم تلبيس وتخييل ، وهم السعالى . وهم أقدر من الغيلان في هذا الباب[2] .

الشيطان :

والشيطان هو (Satan) في الانكليزية ، و (Diabolos) في الإغريقية . ويرجع علماء اللغة كلمة (الشيطان) الى أصل (شطن) ، ويقولون إن من معاني هذه الكلمة الخبث ، ولما كان الشيطان خبيثاً قيل له (شيطان) ومعنى ذلك ان فكرة خبث الشيطان كانت معروفة لصاحبها قبل التسمية[3] . فلما بحث عن لفظة مناسبة لها ، اختاروا هذه الكلمة التي تدل على الخبث . وهو تعليل من تلك التعليلات المعروفة المألوفة التي كان يرجع اليها علماء اللغة كلما أعياهم الوصول الى أصول الأشياء .

و (الشيطان) (ساطان) (سطن) في العبرانية ، ومعناه : عدو ومشتك في هذه اللغة[4] . ومن هذه اللغة جاءت لفظة (Satan) في الانكليزية .

وذكر (الطبري) : « والشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء »[5] . ثم قال : « وانما سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده من الخير . وقد قيل انه أخذ من قول القائل شطنت داري من دارك ، يريد بذلك بعدت . ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان :

نأت بسعادٍ عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

---

١ الحيوان (٦/١٥٨ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٧/٣٧٥ وما بعدها) ، (سعل) .
٣ اللسان (١٧/١٠٤) ، (سطن) ، الحيوان (١/١٥٣ ، ٢٩١) .
٤ غرائب اللغة (٢١٢) .
٥ تفسير الطبري (١/٣٧ وما بعدها) .

والنوى الوجه الذي نوته وقصدته ، والشطون البعيد . فكأن الشيطان على هذا التأويل شطن . ومما يدل على ذلك كذلك ، قول أمية بن أبـي الصلت :

أيمـا شاطن عصاه عكـاه ثم يلقى في السجن والأكبال

ولم ترد لفظة (الشيطان) في شعر الشعراء الجاهليين ، خلا شعر (أمية بن أبـي الصلت) و (عدي بن زيد العبادي) . والأول شاعر وقف،على ما يظهر من شعره ، على شيء من اليهودية والنصرانية . وأما الثانـي ، فهو نصراني ، لذلك يجوز لنا ان نرجع علمها بالشيطان الى ما جاء في اليهودية والنصرانية عنه ، ولذلك نستطيع ان نقول ان هذه اللفظة جاءت العربَ عن طريق أهل الكتاب .

وذكر علماء اللغـة ، أن (الأزب) اسم من أسماء الشياطين ، وذكروا أن (الأزب) شيطان اسمه أزب العقبة ، وقيل هو حية[1] . وأن من أسماء الشيطان: (الحُباب) . ويقع على الحية أيضاً ، لأن الحية يقال لها شيطان ، وفي حديث : « الحباب شيطان »[2] . وذكروا أن من أسماء الشيطان (الطاغوت)[3] .

ومن الشياطين ، شيطان اسمه (زوبعة) ، وقيل هو رئيس للجن . ومنـه سمي الإعصار زوبعة ، ويقال أم زوبعة وأبو زوبعة وهو الذي يثير الاعصار ، حين يدور على نفسه ، ثم يرتفع في السماء ساطعاً كأنه عمود[4] .

وأما ما ورد في القصص عن الشياطين عند الجاهليين ، فهو يختلف عما جاء عن الشيطان في الكتب اليهودية والنصرانية ، مما يدل على أن منبعـه منبع آخر ، وان (الشيطان) عند الجاهليين ، هو غير الشيطان المعروف عند اليهود والنصارى، الذي دخل الى العرب قبيل الإسلام وفي الإسلام .

ومن القصص المذكورة ، استمد بعض الجاهليين قصصهم عن ذكاء الشيطان وعن حيلـه . ومن هذا القصص ولا شك استعمل النـاس مصطلح (تشيطن) و (الشيطنة) بمعنى الذكاء والحيلة ، لما رسخ في ذهنهم من ذلك القصص عن ذكاء الشيطان وسعة حيله وتلاعبه بأذكى البشر . وهو في التوراة ذو طبع شرير،

---

١ تاج العروس (١/١٤٧) ، (أزب) ، (١/٢٨٤) ، (زبب) .
٢ اللسان (١/٢٩٥) ، (حبب) .
٣ تفسير الطبري (١٤/٧١) ، (٢٣/١٣١ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٥/٣٦٧) ، (تزبع) .

وزعيم العصـــاة لأوامر الله ، يضل الناس ويسلك بهم سبل الخطيئـــة ، ولذلك تعوذوا منه [1] .

ومن القصص المذكور استمد أيضاً علماء اللغة ما ذكروه من ان كلمة (الشيطان) تعني الحية [2] ، ففي ذلك القصص ظهور الشيطان على صورة (حيـــة) خدعت أبوينا آدم وحواء في الجنة . وتمثّل هذا القصص في الأدبين العبراني والنصراني . وسبب ذلك هو ما علق بأذهان العبرانيين من مكر الحيات ودهائها وخبثها وميلها الى الشر ، وما علق بذهنهم عن هذه الصورة في الشيطان . والحية هي عند أكثر الشرقيين رمز يشير الى الثورة والعصيان والشر . وهـذه الفكرة هي من أسطورة شرقية قديمة عن سقوط البشرية في الشر ، وتتمثل في سقوط آدم وحواء وطردهما لذلك من الجنة ، وفي تعاليم زرادشت من ان الشرير ظهر في هيأة حية ، وأخذ يعلم الناس الشر [3] .

وزعم ان (شيطان الحماطـــة) الحيـــة [4] . وورد (شيطان حماط) . ولعل ذلك بسبب لجوء الحيات الى الحماط ، والحماطة شجرة شبيهة بالتين ، وهي أحب الشجر الى الحيات ، إذ تألفها كثيراً [5] . وفي هذا المعنى ورد في قول الشاعر :

تلاعِبُ مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذي خروع قفر [6]

والتعمج التلوي . والمراد هنا تلوي شيطان بمكان قفر نبت فيه الخروع. وقصد بالشيطان الحية .

وقد وصف الشيطان بالقبح ، فإذا أريد تعنيف شخص وتقبيحه ، قيل له : « يا وجه الشيطان » وما هو إلا شيطان ، يريدون بذلك القبح ، وذلك عـــلى سبيل تمثيل قبحه بقبح الشيطان . وقيل : الشيطان حية ذو عرف قبيح الخلقة [7] .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٦٥١) .
٢ اللسان (١٧/١٠٤) ، تاج العروس (٩/٢٥٣) ، (شطن) ، (والعرب تسمى كل حية شيطانا) ، الحيوان (١/٣٠٠) .
٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٤٠٠) ، Hastings, p. 829.
٤ الحيوان (٦/١٩٢) .
٥ تاج العروس (٥/١٢١) ، (حمط) .
٦ الحيوان (١/١٥٣) ، (٦/١٩٢) .
٧ الفاخر (ص ٢٣٨) ، الحيوان (١/٣٠٠) ، تاج العروس (٩/٢٥٣) ، (شطن) .

وقيل إنه كان حية زعم أنها تأتي حول البيت ، فلا يطوف أحد . ولما شرعوا ببناء الكعبة في أيام شباب الرسول،جاء طير فالتقط الحية[1] . ولقبح وجه الشيطان، قالوا للذي به لقوة أو شتر ، إذا سبّ : يا لطيم الشيطان . وقالوا للمتكبر الضخم : ظل الشيطان[2] . وكانوا إذا أرادوا ضرب مثل بقبح انسان قالوا : لهو أقبح من الشيطان[3] . وقالوا لشجرة تكون ببلاد اليمن،لها مظهر كريه (رؤوس الشياطين)[4] . وبهذا المعنى فسرت (رؤوس الشياطين) في الآية : « إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم : طلعها كأنه رؤوس الشياطين »[5] . « يقول تعالى ذكره كأن طلع هذه الشجرة ، يعني شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رؤوس الشياطين في قبحها »، « وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء ، قال : كأنه شيطان ، فذلك أحد الأقوال . والثاني أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطاناً . وهي حية له عرف فيما ذكر ، قبيح الوجه والمنظر ، وإياه عنى الراجز ، بقوله :

عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروي عجيز : « والثالث ان يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين ، ذكر انه قبيح الرأس »[6] . ويظهر ان العرب في الجاهلية ، كانوا يطلقون (رؤوس الشياطين) على شجر كريه المنظر جداً ، قال علماء اللغة : « والصوم : شجر على شكل شخص الانسان كريه المنظر جداً ، يقال لثمره رؤوس الشياطين ، يعني بالشياطين الحيات ، وليس له ورق »[7] . وقد جمع هذا التفسير بين الشياطين والحيات والقبح . ويمثل الصورة التي رسمها الناس في مخيلتهم للشياطين .

وكانت الشعراء تزعم ان الشياطين تلقى على أفواهها الشعر ، وتلقنها اياه

---

١ الفاخر (ص ٢٣٨) .
٢ الحيوان (١٧٨/٦) .
٣ الحيوان (٢١٣/٦) .
٤ الحيوان (٢١١/٦) ، (٣٩/٤ وما بعدها) .
٥ الصافات ، ٣٧ ، الآية ٦٣ وما بعدها .
٦ تفسير الطبري (٤٠/٢٣ وما بعدها) .
٧ اللسان (٣٥١/١٢ وما بعدها) ، (صوم) .

وتعينها عليه ، وتدعي ان لكل فحل منهم شيطاناً يقول الشعر على لسانه ، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود . وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن ان ذكروا لهم أسماء شياطينهم ، فقالوا : إن اسم شيطان الأعشى مسحل ، وللأعشى أشعار فيه ، يمدحه ويثني عليه ، لأنه يعاونه ويساعده في نظم الشعر فيلقيه عليه إلقاءً . وقد زعم (حسان بن ثابت) ان شيطانه الذي يلهمه الشعر هو من (بني شيصبان) من فصائل الجن . وقد انتقلت هذه العقيدة في إلهام الشعر للشعراء إلى المسلمين كذلك . وقد دعا (جرير) شيطانه الذي يلقي عليه الشعر (ابليس الأباليس)[1] .

ويكنى عن الشيطان بالشيخ النجدي[2] . وقد أشير اليه مراراً في كتب السير والأخبار . أشير اليه في بنيان الكعبة ، حين حكموا رسول الله في أمر الركن من يرفعه، فحضر في زي شيخ نجدي بين الحاضرين ، وصاح : يا معشر قريش أرضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم ، وحضر اجتماع (دار الندوة) . وأيد قرارهم في قتله . وذكر علماء الأخبار ، أنه عرف بالشيخ النجدي ، لأنه تمثل نجدياً ، وقيل لأن نجداً يطلع منها (قرن الشيطان) ورووا أحاديث تذكر ذلك ، وتذكر أن الفتن تخرج من المشرق ، والمشرق نجد بالنسبة لأهل الحجاز[3] .

و (قرن الشيطان) ، ناحية رأسه ، ومنه الحديث : تطلع الشمس بين قرني الشيطان ، فإذا طلعت قارنها ، وإذا ارتفعت فارقها[4] . وفي الأساطير أن للشيطان قرنين .

وكان الكهان يستعينون بالشياطين في الإخبار عن المعيبات،يذكرون أن الشياطين يسترقون السمع من السماء ، فيخبرونهم عن أنباء الأرض . وكان للكاهن (صاف

---

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (٦٩ وما بعدها) ، قال الاعشى :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له ... جهنام جدعا للهجين المدمم

وقال :

حباني أخي الجنى نفسي فداؤه ... بأقبح جياش العشيات مرجم

الحيوان (٦/٢٢٥ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٢/٥١٢) ، (نجد) .

٣ الروض الانف (١/٢٩١) .

٤ تاج العروس (٩/٣٠٦) ، (قرن) .

ابن صياد) شيطان يلقي اليه بما خفي من أخبـــار الأرض ، وذكر أن النجوم تقذف الشياطين،وأن الجاهليين كانوا يرون ذلك ، وهو موجود في أشعار القدماء من الجاهلية ، منهم عوف بن الجزع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم[1] .

و (ابليس) من هذه الأفكار التي نفذت الى العرب عن طريق أهل الكتاب ، والعلماء على ان الكلمة معربة ، وهي كذلك[2] . فأصلها (ديابولس) « Diabolos » وهي كلمة يونانية استعملت في مقابل لفظة (شيطان)[3] . وقد أطلقت لفظـــة (أباليس) في مقابل (شياطين) . وقد ورد ان من أسماء ابليس (قترة) ، وان اللفظة علم للشيطان . ومن المجاز أبو قترة : ابليس . « وفي الحديث نعوذ بالله من الأعمين ومن قترة وما ولد . الأعمين الحريق والسيل ، وقترة من أسماء ابليس ، وكنيته : أبو قترة . وقترة حية صغيرة ، لا ينجو سميمهـا[4] ، ولعل بين التسميتين صلة .

شق :

ومن الجن جنس صورة الواحد منهم عـــلى نصف صورة الانسان ، واسمه (شق) ، وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده ، فربما هلك فزعاً، وربما أهلكه ضرباً وقتلاً . ورووا في ذلك قصصاً . منه ما زعموه من ان (علقمة ابن صفوان بن أمية بن محرث الكناني) جد (مروان بن الحكم) ، خرج في الجاهلية ، وهو يريد مالاً له بمكة ، وهو على حمار ، وعليـــه إزار ورداء ، ومعه مِقرعة ، في ليلة اضحيانة ، حتى انتهى الى موضع يقال له (حائط حزمان)، فاذا هو بشقّ ، له يد ورجل ، وعين ، ومعه سيف ، وهو يقول :

---

١ الروض الانف (١/١٣٥) ، (فصل في الكهانة) .

٢ المعرب ، للجواليقي (٢٣) ، تاج العروس (٤/١١١) ، (البلس) .

٣ Ency. Religl., 4, p. 600, Geiger, was hat Mohammad aus der Judenthume Aufgenomen, Leipzig, 1902, S. 107, Weil, Biblische Legenden der Muselmanner, S. 12, Shorter Ency., p. 146, Grünbaum, Beitrage Zur Sem. Sagen, S. 60.

٤ النسان (٥/٧٣) ، (ابليس) ، تاج العروس (٣/٤٨٠) ، (قتر) ، (٤/١١١) ، (البلس) .

علقم إني مقتول وإن لحمي مأكول
أضربهم بالهذلول ضرب غلام شملول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

يا شقها مالي ولكْ اغمد عني مُنْصلك
تقتل من لا يقتلك

فقال شق :

عبيت لك عبيت لك كما أتيح مقتلك
فاصبر لما قد حمّ لك

فضرب كل واحد منهما صاحبه ، فخرّا ميتين[1] .

الهاتف والرئي :

ويؤمن الأعراب بالهاتف،ويتعجبون ممن يرد ذلك . وهم يزعمون أنهم يسمعون الهاتف يخبرهم ببعض الخبر ، فيكون صحيحاً . فمن ذلك حديث (الأعشى بن نبّاش بن زرارة الأسدي) ، أنه سمع هاتفاً يقول :

لقد هلك الفيّاض غيثُ بني فهر وذو الباع والمجد الرفيع وذو الفخر

فقال مجيباً له :

ألا أيها الناعي أخا الجود والندى من المرء ننعاه لنا من بني فهر

فقال :

نعيت ابن جدعان بن عمرو أخا الندى وذا الحسب القدموس والحسب القهر[2]

---

١ الحيوان (٦/٢٠٦) ، (هارون) .
٢ الحيوان (٦/٢٠٢) .

وزعموا أن لنقل الجن الأخبار ، علم بوفاة الملوك وأصحاب النباهة والجاه، وأمثال ذلك من الأمور الخطيرة[1] .

وتتردد في الأخبار كلمة (هاتف) و (الهاتف) ، بمعنى صوت صادر من مصدر غير مرئي،وردت في مواضع عديدة من القصص الجاهلي ، ووردت بعدها الجمل التي قالها الهاتف لمن وجه خطابه اليه . وهي تكهن واخبار ، عن أمر وقع وحدث ، أو لتحذير من القيام بعمل ما ، أو بإرشاد الى عمل أو جهة أو ما شابه ذلك من الأمور . وقد تستعمل بمعنى (الرئي) الذي يهتف للكاهن ، أو الصوت الذي يزعم أنه يخرج من جوف الصنم[2] .

الرئي :

وكانوا يقولون ، إذا ألف الجني انساناً وتعطف عليه ، وخبّره ببعض الأخبار وجد حسّه ورأى خياله ، فاذا كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رئي من الجن ، يخبره بما وقع ويقع وعن الأسرار . وممن يقولون ذلك فيه : عمرو بن لحي بن قمعة ، والمأمور الحارثي ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وهم من الرؤساء السادة ، وقد كان لكل كاهن وعرّاف رئي يخبر صاحبه بما يُسأل عنه. وذكر انه قد كان مسيلمة يدعي ان معه رئياً في أول زمانه ، ولذلك قال الشاعر حين وصفه :

بِبَيْضة قارورٍ وراية شادنٍ وخلة جني وتوصيل طائر[3]

الملائكة :

والملائكة هم روحانيون ، أي من أرواح في نظر أهل الجاهلية . ويدل ورود الملائكة في مواضع عديدة من القرآن الكريم ومن الآيات التي تشير الى مجادلة المشركين ومحادثتهم للرسول في الملائكة ، ان فكرة الملائكة كانت معروفة شائعة

---

١ المصدر نفسه (ص ٢٠٣) .
٢ تاج العروس (٦/٢٧٣) ، (هتف) .
٣ الحيوان (٦/٢٠٥ وما بعدها) ، (هارون) .

بينهم ، وأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، كما يظهر ذلك من الآية : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت وليّنا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون »[1] .

غير أن المفسرين ، لم يشيروا الى أولئك الذين تعبدوا للملائكة ، ولم يذكروا أسماءهم ، مع أنهم ذكروا اسم من تعبد للجن[2] . بل يظهر من تفسيرهم للآية المذكورة ، أنها وردت على سبيل الاستفهام « كقوله عز وجلّ لعيسى : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . قال النحاس : فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم ، فهو استفهام توبيخ للعابدين »[3] . ولكنهم أشاروا في مواضع أخرى الى ان مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله،وكانوا يعبدونها . ويقولون ان امهاتهن بنات سروات الجن ، يحسبون انهم خلقوا مما خلق منه ابليس[4] .

وقد أشير في القرآن الكريم ، الى ان من الجاهليين من زعم ان الملائكة بنات الله[5] . وتحدث المفسرون في تفسير ذلك ، غير انهم خلطوا في الغالب بين الملائكة والجن . ولم يأتوا بشيء يذكر عن رأي أهل الجاهلية في الملائكة . وما ذكروه هم عن الملائكة ، هو اسلامي ، يرجع في سنده الى أهل الكتاب ، ولا سيما القصص الاسرائيلي ، ولهذا فهو مما لا يمكن ان يقال عنه انه يعبر عن رأي الجاهليين . ويظهر ان الجاهليين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الملائكة، لأن الاعتقاد بالملائكة من عقيدة الديانة اليهودية ثم النصرانية ، وهم لا يعرفون الكتاب ، إلا من كان منهم على دين اليهودية أو النصرانية ، أو كان من الحنفاء أو على اتصال بأهل الكتاب ، كأمية بن أبي الصلت وأمثاله .

وقد أشير الى الملائك ، أي (الملائكة) في شعر ينسب الى (أمية بن أبي الصلت) ، هو :

---

١ سبأ ، الآية ٤٠ وما بعدها .
٢ راجع تفسير الطبرى (٦٩/٢٢) ، روح المعاني (١٣٩/٢٢) ، القرطبي ، الجامع (٣٠٩/١٤) .
٣ القرطبي ، الجامع (٣٠٨/١٤ وما بعدها) .
٤ تفسير الطبرى (٦٧/٢٣ وما بعدها) .
٥ الصافات ، الآية ١٤٩ وما بعدها ، الاسراء ، الآية ٤٠ ، الزخرف ، الآية ١٥ وما بعدها ، تفسير الطبري (٨٣/١٤) .

وكأن بِرقعَ ، والملائك حوله سدرٌ تواكله القوائم أجرد[1]

وورد (ملأك) في شعر رجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان . وقيل هو لأبي وجزة يمدح به عبدالله بن الزبير :

فلست لإنسيّ ، ولكن لِملأك تنزل من جو السماء يصوب[2]

وقد زعم أن الملائكة تصافح الناس وتناجيهم . زعم ذلك حتى في الإسلام . ذكر (ابن دريد) ان (عمران بن الحُصين بن عُبيد بن خلف) ، وهو من الصحابة ، وعرف بـ (أبي نجيد) ، « كانت تصافحه الملائكة وتناجيه لداء كان به ، فاكتوى ، فذهب عنه ذلك . وذهب ما كان يسمع ويرى »[3] .

السحر :

والسحر من أهم الوسائل التي لجأ اليها البشر وأقدمها منذ أعتق أيامه في التأثير على الأرواح ، وقد جعله جزءاً من الدين ، لذلك كان من اختصاص رجال الدين ، يقومون به في المعابد قيامهم بالشعائر .

واذ كان معظم الناس في الزمن الحاضر يفرقون بين الدين والسحر ، ويعدّون السحر شيئاً بعيداً عن الدين ، بل هو ضد الدين ، فإن قدماء البشر لم يكونوا ينظرون اليه هـذه النظرة ، كانوا ينظرون اليه كما قلت على انه جزء مهم من الدين ، بل هو أهم جزء فيه وأعظمه ، بل ما زلنا نجد ديانات القبائل البدائية تعدّ السحر جزءاً من الدين[4] . وهو كذلك في كل دين بدائي .

وعمل الساحر هو السحر ، والسحر في عرف بعض علماء اللغة الإسلاميين هو

---

١ اللسان (٤٩٦/١٠) .

٢ اللسان (٤٩٦/١٠) .

٣ الاستقاق (٢٧٨/٢) ، (طبعة أوربة) ، (انه كان يرى الحفظة ، وكانت تكلمه حتى اكتوى) ، الاصابة (٢٧/٣) ، (الرقم ٦٠١٢) .

٤ R. Campell Thompson, Semitic Magic its Origins and Development, London, 1908, p. XVII, Smith, p. 90.

« عمل يقرب فيه الى الشيطان »[1] . وقد فسّر بعض العلماء كلمة (الجِبْت) في القرآن الكريم بمعنى السحر ، كما ذكر أنها تعني الساحر والكاهن والصنم وكل ما عبد من دون الله . وفسر (الطاغوت) بمعنى الشيطان[2] .

وقد وردت كلمة (السحر) و (سحر) و (الساحر) و (الساحرون) و (السحرة) و (مسحوراً) و (مسحورون) في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، ويدل ورودها فيه بهذه الكثرة على مبلغ أثر السحر في عقلية الجاهليين. وقد اتهم أهل مكة الرسول أنه ساحر ، حينما أخبرهم بنزول الوحي عليه . وقالوا انه يستمد وحيه من الشياطين .

وقد جمع البخاري بين الكهانة والسحر بأن قدّم الكهانة على السحر ، لأن مرجع الاثنين شيء واحد هو الشياطين[3] .

وقد حملت تلك المواضع من القرآن الكريم المفسرين على جمع ما علق بأذهان الناس عن السحر . أما كتب الحديث ففيها مادة مفيدة وردت ضمناً عن عقيدة أهل الجاهلية به . كما وردت في أخبار أهل الأخبار إشارات اليه ، تجمل جميعها ان الاعتقاد بالسحر بين الجاهليين كان شائعاً معروفاً . وان ممارسيه في جزيرة العرب كانوا عرباً ويهوداً ، وانهم كانوا يرون ان أصوله في بابل وعند يهود .

وقد كان أكثر السحرة في الجاهلية من يهود[4] . يقصدهم الجاهليون من أنحاء بعيدة ، لاعتقادهم بسعة علمهم وباختصاصهم فيه . وكان اليهود يسندون علمهم الى بابل،ولهذا نجد الأحاديث والأخبار العربية ترجع علم السحر الى بابل واليهود .

والفرق بين الكهانة والسحر ان الكهانة تنبؤ ، فسند الكاهن هو كلامه الذي يذكره للناس . أما السحر ، فانه عمل في الأكثر ، للتأثير في الأرواح ، كي تقوم بأداء ما يطلب منها . ولا يمكن صنع سحر ما لم يقترن بعمل . ويصحب هذا

---

١ تاج العروس (٣/٢٥٨) ، (سحر) ، اللسان (٤/٣٤٨) ، (سحر) .
٢ النساء ، الآية ٥٠ ، « وسمي الساحر والكاهن جبتا » ، المفردات (٨٣) ، تاج العروس (١/٥٣٥) ، شمس العلوم (ح ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤٤) .
٣ عمدة القارىء (٢١/٢٧٣ ، ٢٨٢) ، « باب السحر » ، ارشاد الساري (٨/٤٠١) ، الطبري (٢/٤٢١ ، ٤٤٥) ، الطبرسي ، (١ـ٢) ، (٣٨٤) .
٤ عمدة القارىء (٢١/٢١٣) ، الطبري (٢/٤٣٩) ، العقد الفريد (٦/٢٧٦) ، تفسير الرازي ، (١٧ـ١٨) (ص ٩) ، سنن ابن ماجة (٢/١١٧٣) ، روح المعاني (٣٠/٢٨٢) .

العمل كلام مفهوم أو غير مفهوم ، وإشارات ، يدعي الساحر انه انما يقوم به وبالإشارات لتسخير الأرواح ، وان مـــا يفعله مفهوم عند جنوده ، وهم الجن والشياطين .

وفن مثل هذا مغرٍ جداً ، فمن من الناس من لا يريـد تسخير القوى الخفية لخيره ولصالحه ، وإلحاق الأذى بأعدائه ومبغضيه . ولذلك كان للسحـر وللسحرة أثر خطير في التأريخ ، بالرغم من مقاومة بعض الأديان له . فما يقوم به السحرة من أعمال وخفة ، وما لشخصيات بعض السحرة من تأثير نفسي كبير ، تجعل من الصعب على بعض الناس ان يكذّبوا أقوالهم وأفعالهم ، ولذلك يتأثرون بهم ، ويأخذون بما يقولونه لهم ، حتى تكون للساحر مكانة كبيرة في نفس ذلك الشخص.

وللسحر أغراض عديدة ، وقد استخدم في معالجة أمور كثيرة ، حتى ادارة الملك والقضاء على الأعداء،للسحر وللسحرة فيها صولات وجولات . ومن الطبيعي أن يكون للحب المكانة البارزة فيه ، حتى ليكاد يتخصص بهذا الجانب من حياة الإنسان . ولما كانت العادة أن يتزوج الرجل من جملة نساء صار السحر من أهم الوسائل التي استعانت بها الزوجات للتأثير في قلب الرجل ، ولكسب المكانة الأولى عنده ، وللتفريق بين الرجل وبين بقية أزواجه . ومصداق ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن السحرة في هذه الآية : « ولكن الشياطين كفروا ، يعلّمون النـاس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلّمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة ،فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه»[1] . فالتفريق بين المرء وزوجه : كان ولا يزال من أهم أعمال السحرة . ونجـد في الحديث تقريعاً ولوماً للسحرة لاستخدامهم السحر في هذا الغرض الفاسد .

والساحر في معالجة الحب على طريقين : اشعال جذوة نار الحب في قلب من يقصد إثارته عنده ، أو اطفاء نارها وإخمادها واماتتهـا في قلب المسحور . ولكل من الطريقين قواعد وأحكام وأصول يجب تطبيقها بعناية ، وإلا بطل فعل السحر.

أما إشعال نيران الحب ، فيكون بطرق متعددة يتبعهـا الساحر ، فقد يستعين بالنباتات والأعشاب ، يستخرج أدوية منها يقدمها الى المرأة لتُوجر الرجل اياها سراً . وقد يستعين بالجمر يقرأ عليه ، ثم يرمى في الممرات التي يمـر الرجل ،

---

١ البقرة : الآية ١٠٢ ، عمدة القارىء (٢٠/٢٧٨ وما بعدها) .

أو الشخص المراد سحره منها . وقد يدفن السحر في موضع كمقبرة أو محل آخر ليؤثر من ذلك الموضع على المسحور . وقد يستعين بالحرز يسحر عليها ، فتحبب المرأة الى زوجها ، وتسمى (التِوْلة)[1] .

وكما يستعمل السحر لاشعال نيران الحب في القلب ، كذلك يستعمل لايقـــاد البغض والكراهية في النفوس . ففي استطاعة الساحر بما عنده من جنود مجندة ان يلقي البغضاء والكراهية والحقد في نفس أي شخص يود انساناً آخـــر ، فينقلب مبغضاً حاقداً كارهاً لمن كان يحبه ويعشقه . ومجـال هذا الباب واسع جداً للنساء خاصة .

وفي استطاعة الساحر مداواة العاشق وإماتة عشقه بوصفة يعطيها اليه تقضي على حبّه الجامح قضاءً تاماً يسمونها (السلوانة) و (السلوان) . وما هذه الوصفة إلا مادة ذات سحر عجيب يغتسل بها الانسان أو يشربها ، فتطفىء في الحال أو بعد أمد كل نيران للحب مؤججة في قلب العاشق . والسلوانة هي شيء من تراب قبر ، أو خرزة تسحق ويشرب ماؤها ؛ فيورث شاربها سلوة . وتكـون الخرزة شفافة ، تدفن في الرمـــل فتسودّ ، ثم تستخرج لسحقها وشربها ، وقد يكتفى بصب ماء المطر على تلك الخرزة لسقي العاشق ذلك الماء الذي يسمونه (السلوان)، ليشفى من العشق[2] . ولا بد أن يكون لاختيار الماء وتراب القبر أو مسحوق الخرزة في معالجة العشق ، سبب يمكن تفسيره بأنه لغسل قلب المحب،وإماتة الحب فيه .

ومن أهم الأعمال التي يعالجها السحرة ، اخراج الجن من المجانين . فالجنون هو من عمل الجن . تحل الجنة بالإنسان فتأخذ عقله . ومن هنا قيل لهـذا المرض (جنة) و (جنون)[3] . ومن واجب الساحر اخراج الجن من هؤلاء المرضى، وهو عمل يقوم به الساحر حتى اليوم،ويكون ذلك بضرب المريض بالعصا لإخراج

---

١ بالكسر وبالضم ، « وقيل هي معاذة تعلق على الانسان » ، اللسان (١٣/٨٥) .

٢ يا ليت أن لقلبـي مـن يعللـه أو سافيـا فسقاني عنـك سلوانا

وورد :

شربت على سلوانة مـاء مزنـة فلا وجديد العيش با مي ما أسلو

وجـــاء :

جعلت لعـراف اليمامـة حكمه وعراف نجـد ان همـــا شفيانى

فما تركـا من رقيـــة يعلمانها ولا سلـوة الا بهـــا سفيانـــي

اللسان (١٩/١١٨ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٩/١٦٤ وما بعدها) ، « جنن » .

الجنة منه . أو بسقيه بعض الأشربة السحرية ، أو بتدليك جسمه وغسله،وبإدخاله محلاً مظلماً هادئاً يحرق فيه البخور ، وبتعليق بعض العزائم والحجب وما شاكل ذلك لإبعاد الجن عن المجنون وإعادة عقله اليه .

ويداوي الساحر أمراضاً عديدة أخرى ، بل كل أنواع الأمراض ، وما المرض في نظر القدماء إلا أرواح شريرة حلت في الأجساد أو بجزء منها ، فألحقت بها الأمراض . ولن يشفى الجسد أو الجزء المصاب منه إلا بطرد تلك الأرواح. وطرد الأرواح من أعمال السحر . والساحر هو سلف من أسلاف الأطباء . وكلمة (طبيب) العربية هي من هذا الأصل . فالطب في اللغة السحر ، و (المطبوب) هو المسحور ، والطابّ هو الساحر يستخدم طبه في الشفاء[1]. وقد أدخلت كتب الحديث السحر في (كتاب الطب)[2] . فالساحر هو طبيب يعالج أشياء عديدة ، ثم تخصص الأطباء بالطب ، غير ان الأطباء ظلوا يمارسون حتى في أوروبة السحر في معالجة مرضاهم مدة طويلة ، الى ان تطور العلم ، وظهر البحث الحديث .

ويقوم أكثر مداواة المرضى بواسطة السحر بالنفث على المريض أو في فمه وبامساك الرأس أو الجزء المريض ، لقراءة شيء عليه يضمن شفاءه ، أو بتدليك ذلك الجزء منه . وقد يعطى حجباً وتمائم تشفي المريض من مرضه . والنفث في الفم من العادات الجاهلية القديمة ، يقوم بـه الكاهن والساحر والأب في بعض الأحيان ، لاعتقادهم ان ذلك سيلهم الطفل فيعلمه العلم والحكمة والذكاء ويمنحه الصحة الجيدة .

ومن طرق السحر عند الجاهليين ، النفثُ في العُقد ، وقد دلّت عليه هذه الآية الكريمة : « ومن شرّ النفّاثات في العقد »[3] . ويكون ذلك بعقد عقد والنفث عليها[4] . ويذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن (لبيد بن أعصم

---

١ صحيح مسلم (١٤/٧) ، اللسان (٤٢/٢) ، تاج العروس (٣٥١/١) ، عمدة القاريء (٢٢٩/٢١) .

٢ راجع كتب الحديث : (كتاب الطب) ، ارشاد الساري (٣٦٠/٨ وما بعدها) ، عمدة القاريء (٢٧٧/٢١ وما بعدها) .

٣ الفلق : الآية ٤ .

٤ الكشاف (٢٤٤/٤) ، تاج العروس (٦٥٠/١) « نفث » ، صحيح مسلم (١٤/٧) ، « باب السحر » ، عمدة القاريء (٢٨٠/٢١ وما بعدها) ، أسباب النزول (٣٤٦ وما بعدها) .

اليهودي) سحر الرسول ، ودس ذلك السحر في بئر (لبني زريق) تسمى (بئر ذروان) (بئر ذي أروان) ، وأنه وضع ذلك السحر في جف طلعة تحت راعوفة ، أي في قشر الطلع وتحت حجر في أسفل البئر . فلما استخرج السحر ، وجدوه مشاطة رأس وأسنان مشطه ، وإذا فيه معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر [1] . ويقوم بهذا السحر الرجال والنساء . غير أن المفسرين وأهل الأخبار واللغة حينما يذكرون هذا النوع من السحر يذكرون أن النساء النفاثات هن اللواتي كنّ يقمن بذلك . أخذوا رأيهم هذا من الآية المذكورة التي تشير الى بنات لبيد وكنّ ساحرات ، والاشارة في هذه الآية عن حادث معين ، ولم يقصد بها الاطلاق.

والنفث في العقد ، وعقد سبع عقد توضع فيها مادة السحر ، من طرق السحر القديمة المعروفة عند العبرانيين والآشوريين وغيرهم . وقد عثر في الكتابات المسمارية على تعليمات في كيفية اتقاء شر الأرواح الخبيثة وأرواح الأموات الشريرة التي تسحر الناس ، فكان مما جاء فيها عقد سبع عقد ووضع مسادة سحرية فصلت في تلك التعليمات لاتقاء شر سحر تلك الأرواح [2] .

ويذكر المفسرون وأهل الحديث ان الرسول لما سحره (لبيد بن الأعصم) من (بني زريق) ، كان « يخيل اليه انه كان يفعل شيئاً وما فعله » [3] ، حتى علم بسحر (لبيد) ، فلما استخلصه من البئر ، ذهب أثر ذلك السحر عنه .

وقد كان السحرة اليهود يقرأون شيئاً ويهمهمون عند عقدهم كل عقدة من هذه العقد ، ويقال لذلك Ghabar [4] . ومن هؤلاء اقتبس السحرة العرب طريقتهم في النفث على العقد .

والمواد التي يستعين بها الساحر لعمل السحر عديدة . أوراق بعض النباتات والملح والبخور والدماء والعظام وقرون الحيوانات يدفنها أو يحرقها أو يذيبها في الماء . وفي كل سحر لا بد أن يشفع الساحر سحره بطقوس أو بحركات خاصة ، وبتمتمة تلقي في الروع ان الساحر يقول شيئاً ويخاطب أشخاصاً هم الجن. والتمتمة

---

١ الطبرسي ، الجزء التاسع ، المجلد الخامس (٥٦٨) ، ارشاد الساري (٨/٤٠٣ وما بعدها ، ٤٠٧) .

٢ Semitic Magic, p. 33.

٣ ارشاد الساري (٨/٤٠٣ وما بعدها) ، شرح صحيح مسلم ، للنووي (٩/١٥) « حاشية على ارشاد الساري » ، الطبرى (٢/٤٣٩) . سنن ابن ماجه (٢/١١٧٣) .

٤ Hastings, p. 569.

هي في الغالب كلام غير مفهوم عند الناس ، ولكنه عنـــد الساحر وجنوده الجن والشياطين كلام واضح بليغ .

ويعمد السحرة الى الصور والرموز في سحرهم ، ومنهم من كانوا لا يعرفون الكتابة ولا القراءة فيرمزون الى من يريدون سحره ، أو إلحاق الأذى به ، أو يصورونه . وقد يشيرون بالصور والرموز الى الجن والشياطين . وهم في الغالب يدفنون تلك الصور والرموز في المقابر ، لأنها من أنسب الأماكن للسحر . وقد عثر على عدد من هذه الاشارات والصور السحرية . ومنها ما هو مكتوب بكتابات لها صور بالسحر[1] .

إبطال أثر القوى الخفية :

وقد حمل اعتقاد الجاهليين بوجود قوى خفية تؤثر في الانسان ، أهل الجاهلية على العمل على التغلب على تلك القوى أو الحد منها وايقاف فعلها وذلك بابتداعه طرقاً عديدة لذلك ، مثل استعماله (النفرات) أو السحر ، أو (الرقي) ، أو التمائم ، والتعاويذ وما شابه ذلك من أمور .

و (النفرة) شيء يعلق على الصبي لخوف النظرة[2] . و (التنفير) الطرق التي يستعملها الانسان لتنفير القوى الخفية وابعادها عنه . وطريقتهم في ذلك شبيهة بطرقهم في تنفير الثقلاء وغير المرغوب فيهم من الناس وابعادهم ، وذلك باتخاذ كل ما ينفر ويقزز ، لتعاف تلك الأرواح المواضع التي اختارتها والأشخاص الذين نزلت بساحتهم وحلت في أجسامهم ، ومنها طريقة (التنجيس) . وطريقتهم في ذلك تعليق الأقذار من خرق المحيض وعظام الموتى وأمثال ذلك على الصبي ومن يُخاف عليه عيون الجن ،لاعتقادهم ان الجن سوف تبتعد عن هؤلاء وتهرب منهم . ويقال للمعوذ (المُنَجَّس) ، وللشخص الذي عوّذ له (المُنَجَّس) . والتنجيس يشفي إلا من العشق[3] .

---

١ Hastings, p. 569.

٢ تاج العروس (٣/٥٧٩) ، (نفر) .

٣ ورد : « وعلق انجاسا على المنجس » ، اللسان (٨/١١١) ، (نجس) ، بلـــوغ الارب (٢/٣١٩) .

واتخذ الجاهليون طرقاً عدة للتخلص من الجن ، ولا سيما من الخطفة والنظرة . أي من خطف الجن للأطفال ومن حسدها لهم . فهداهم تفكيرهم الى تعليق بعض الأشياء على الصبي[1] ، مثل سنّ ثعلب ، أو سن هرة ، وتقطير شيء من السوائل في عينيه عند الولادة لتنفير الجن منه . وتسمى هذه الأمور المنفرة للجن النفرات[2] .

ومن النفرات التحايل على الجن بتغيير الأسماء ، بتغريبها ، كأن يسمى الصبي بأسماء بعض الحيوانات الصغيرة أو الأشياء التافهة الحقيرة ، وبذلك تنفر الجن منه، فلا تقترب منه ، ولا تمسه بسوء[3] . « قال أعرابي لما ولدت قيل لأبي نفر عنه ، فسماني قنفذاً وكنّاني أبا العدّاء »[4] .

التحصن من الجن :

والاستعاذة بالجن تفيد أيضاً في نظر الجاهليين في حماية الشخص من أذاهم . فإذا استعيذ بعظيم الجن ، استجاب العظيم نداء المستعيذ . فكان المسافرون إذا خافوا من طوارق الليل ، عمدوا الى وادٍ ذي شجر ، فأناخوا رواحلهم، وعقلوها وخطّوا عليها خطاً ثم نادوا : نعوذ بعظيم هذا الوادي ، أو نعوذ بصاحب هذا الوادي . فيستجيب عندئذ عظيم الوادي لنداء المستعيذ ، فلا يسمح لأحد أن يلحق به أذى . . وقد أشير الى ذلك في القرآن : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقاً »[5] . وذكر ان العرب كانوا إذا صاروا في تيه من الأرض ، وتوسطوا بلاد الحوش ، خافوا عبث الجنان والسعالى والغيلان والشياطين ، فيقوم أحدهم فيرفع صوته : إنا عائذون بسيد هذا الوادي! فلا يؤذيهم أحد ، وتصير لهم بذلك خفارة[6] .

---

١ بلوغ الارب (٢/٣١٩) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) ، الناج (٣/٥٧٩) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) .
٤ اللسان (٧/٨٥) ، الناج (٣/٥٧٩) ، (نفر) .
٥ سورة الجن ، الآية ٦ .
٦ الحيوان (٦/٢١٧) .

ذبائح الجن :

ولارضاء الجن واسكاتها ، وتجنب أذاها ، قام الجاهليون بتقديم الذبائح لها . فاذا أراد انسان السكن في بيت جديد ، أو استخراج الماء من بئر احتفرها أو من عين ماء ، أو ما شاكل ذلك وخاف من وجود الجن فيها ذبح ذبيحة ، يرضى بها الجن ، فلا تتحرش عندئذ به ولا تصيبه بأذى،لأنه قد تقرب بالذبيحة اليها وبيّن لها انه صديق لها ، فيعيش عندئذ قرير العين في بيته الجديد ، لا يمس عماره بسوء . ويقال لهذه الذبائح : (ذبائح الجن) . وقد نهى الاسلام عن ذبائح الجن . ورد انهم « كانوا اذا اشتروا داراً أو استخرجوا عيناً أو بنوا بنياناً ، ذبحوا ذبيحة مخافة ان تصيبهم الجن ، فأضيفت الذبائح اليهم لذلك »[1] .

و (النُّشرة) سلاح مفيد جداً لحل عقد الرجل عن مباشرة أهله . وقد كانت مشهورة في أيام الرسول . وقد أباح العلماء (النشرة العربية التي لا تضر إذا وطئت ، وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه ، فيأخذ عن يمينه وشماله من كل ، ثم يذيبه ويقرأ فيه ، ثم يغتسل به »[2] . ويدل نعت هذه النشرة بالنشرة العربية على وجود نشرات غير عربية ، وهي النشرات التي كان يعملها اليهود . وقد كانوا يستعملون الأدعية العبرانية ، لذلك نهى الاسلام عن استعمال تلك النشرات .

و (النُشرة) في تعريف علماء اللغة : رقية يعالج بها المجنون والمريض ومن كان يظن أن به مساً من الجن . وإذا نشر المسفوع كان كأنما أنشط من عقال، أي يذهب عنه سريعاً . وفي الحديث أنه سئل عن النشرة ، فقال هي من عمل الشيطان . وقد أدخلها بعضهم في السحر[3] .

و (العوذة) ، ويقال لها (المعاذة) و (المعاذات) . تستعمل في التعويذ

---

١ اللسان (٣/٢٦٢) ، تاج العروس (٢/١٣٨) ، (ذبح) ، اللسان (٢/٤٣٧) ، (ذبح) ، (صادر) .

٢ عمدة القارىء (٢١/٢٨٤) ، تاج العروس (٣/٥٦٦) ، سنن أبي داوود (٤/٦) .

٣ تاج العروس (٣/٥٦٦) ، (نشر) ، الحيوان (٤/١٨٥) ، اللسان (٥/٢٠٩) ، (نشر) ، (صادر) .

من الفزع والجنون[1] . وتبعث تسميتها على الظن بأنها من المصطلحات الاسلامية ، وانها أخذت تسميتها من المعوذتين. غير ان ورودها في مواضع عديدة من الحديث، واستعمالها في القرآن الكريم للتعبير عن فكـــرة معينة معلومة ، يدلان على انها من المصطلحات التي كانت معروفة بين أهل (يثرب) حتى إن بعض الصحابة ذكروا انها نزلت للتعويذ . ومعنى (أعوذ) أعتصم وألتجيء ، فلا يستبعد ان يكون أهل يثرب على الأقل قد تعلموا ذلك من اليهود الذين كانوا يقرأون بعض التعاويذ من التوراة لحماية أنفسهم من شر الأمراض .

وتستعمل (الرقية) في مداواة الآفات ، مثل الحمى والصرع والنظرة ولدغات العقارب والحيات وأمثال ذلك ، وتكون بقراءة شيء على المريض أو على موضع المرض ثم النفث عليه ، أو بحمل شيء مكتوب . وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها في الاسلام ، وفي بعضها النهي عنها . وقد ذكر علماء الحديث ان الاسلام قد نهى عن الرقية التي تكون بلسان غير عربي ، ويدل هذا على ان الجاهليين كانوا يذهبون الى أهل الكتاب ولا سيما اليهود منهـــم ، فيرقونهم بالعبرانية أو السريانية ، ولذلك نهوا عنه . وقد عرضت بعض أنواع الرقية التي كان يستعملها أهل الجاهلية على الرسول لأخذ رأيه فيها ، فأباحهـا لهم ، وأباح لهم كل رقية ليس فيها شيء من ألفاظ الجاهلية[2] .

وقـــد حفظت الكتب لنا أنموذجات من بعض الرقى ، منها هذه الرقية التي استعملت في اشعال نيران الحب : « هوا به هوا به ، البرق والسحابة ، أخذته بمركن ، فحبه تمكن . أخذته بإبره ، فلا يزل في عبره ، جلبته بإشفى ، فقلبه لا يهدا . جلبتـــه بمبرد ، فقلبه لا يبرد »[3] . فهذه الرقية تلهب قلب الرجل ، وتهيجه ، وتجعله كأنه في إجانة غسل الثياب . يعمل على وفق ارادة المرأة التي استعملت تلك الرقية .

---

١ اللسان (٥/٣٤) ، سنن ابن ماجة (٢/١١٦٣) ، اللسان (٣/٤٩٩) ، العقد الفريد (٦/٢٧٤) .

٢ شرح الامام النووي على متن مسلم (٩/٣٩) ، ارشاد الساري (٨/٣٩١) ، سنن أبي داود (٤/١٠ وما بعدها) ، اللسان (١٤/٣٣٢) ، (صادر) ، (١٩/٤٩) ، تاج العروس (١٠/١٥٤) ، اللسان (٣/٤٩٩) ، (٤/٣٣٢) ، صحيـــح مسلـــم (٧/١٨) ، سنن ابن ماجة (٢/١١٦٦) ، (كتاب الطب ٣٨) .

٣ بلوغ الارب (٣/٧) .

أما إذا سئمت المرأة زوجها ، وأرادت الابتعاد عنه ، وطرده عنها ، فسبيلها في ذلك رقية تبعد الرجل ، وتنفره منها ، وذلك بأن تقول : « بأفول القمر ، وظل الشجر ، شمال تشمله ، ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شيك فلا انتقش» . فاذا أتمت ذلك ، رمت في أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة . ثم تقول : « حصاة حصت أثره ، ونواة نأت داره ، وروثة راثت خبره ، لفعته ببعرة »[1] .

و (العزائم) الرقيّ ، أو ضروب منها . يقال عزم الراقي ، كأنه أقسم على الـداء ، وعزم الحوّاء ، إذا استخرج الحية . كأنه يقسم عليها . والعزيمة من الرقيّ التي يعزم بهـا على الجن والأرواح[2] . ومن اعتقادات الأعراب أن الجن لا تجيب صاحب العزيمـة ، حتى يكون المعزّم مشاكلاً لها في الطبـاع[3] . وأن للمعزمين جنوداً من الشياطين والجن تتبع أوامرهم وتطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم[4] .

ومن ضروب الرقية ، ما يدعيه الحوّاء من اخراج الحية من جحرها ، بعزيمة يقوم بها،تجبرها على الخروج منه . وقد قالت بذلك الشعراء في الجاهلية والاسلام. وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به . وقد أشير في شعر لأمية بن أبـي الصلت ، الى اخراج الحية من جحرها . وقد تحدث (الجاحظ) عن ذلك ، وعلل سبب خروجها وجاء بأبيات شعر في ذلك ، وتحدث عن تمويه الحواء والراقي[5] .

و (التّمائم) ومفردها (التميمة) ، هي عوذة على هيأة قلادة من سيور تضم خرزاً ، وقد تكون من خرزة واحدة تستعمل للصبيان والنساء في الغالب اتقـاء النفس والعين . فاذا كبر الطفل ، انتزعت التميمة منه . وقيل : التّمائم «خرزات كان الأعراب يعلقونها عـلى أولادهم ينفون بها النفس والعـين بزعمهم ، فأبطله الاسلام » . وذكر ان التميمة خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقـد في العنق . وكانوا يعتقدون انها تمام الدواء والشفاء[6] . وقد أشير اليها في الشعر الجاهـلي .

---

١ بلوغ الارب (٣/٧) .
٢ اللسان (١٢/٤٠٠) ، (عزم) ، الحيوان (٤/١٨٤) .
٣ الحيوان (٤/١٨٥ وما بعدها) .
٤ الحيوان (٤/١٨٤ وما بعدها) ، الفهرست ، (الفن الثاني من المقامة الثامنة) .
٥ الحيوان (٤/١٨٤ وما بعدها) .
٦ اللسان (١٢/٦٩ وما بعدها) ، (تمم) .

وكانوا يستعملونها بكثرة ، يتعوذون بها ، لذلك عدها بعض الصحابة من الشرك، لأنهم جعلوها واقية من المقادير والموت وأرادوا دفع ذلك بها ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله[1] .

وللخرز عند الجاهليين وعند الأعراب حتى اليوم ، أهمية كبيرة في السحر ، وفي دفع أذى الأرواح والعين ، وفي النفع والحب ، وأمثال ذلك . ولما كانت الخرز فصائل وأنواعاً ، فقد خصوا كل فصيلة باسم معين ، وجعلوا لكل قسم وصنف أثراً خاصاً يمتاز به عن بقية الأصناف الأخرى . فالتولة مثلاً الخرزة التي تحبب المرأة الى زوجها[2] ، و (العُقرة) (خرزة العقر) خرزة تشدّها المرأة على حقويها لئلا تلد. يزعم الأعراب انها إذا علقت على حقو المرأة لم تحمل إذا وطئت . وقيل العكس : العقرة خرزة تعلق على العاقر لتلد[3] . و (الينجلب) خرزة للتأخيذ ، تفيد في رجوع الرجل بعد الفرار وفي اكتساب عطفه بعد وقوع بغضه[4] . وكانوا يقولون أقوالاً في ذلك مثل : « أخذته بالينجلب ، فلا يرم ولا يغب ، ولا يزل عند الطنب » ، و « وأعيذه بالينجلب ، ان يقم وان يغب » . فهم يربطون الرجل بهذه الخرزة . فيجعلونه لا يفارق بيته وأهله .

و (الخَصُمة) ، وهي خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت الخاتم أو في زر القميص أو في حمائل السيف[5] . و (العطفة) هي خرزة تجلب العطف لصاحبها[6] . و (السلوانة) خرزة تسحق ويشرب ماؤها ، فيورث شاربه سلوة . وقيل : خرزة للتأخيذ ، يؤخذ بها النساء الرجال ، وقيل خرزة للبغض بعد المحبة ، وقيل خرزة شفافة تدفن في الرمل . فتسود فيبحث عنها ويسقاها الانسان فتسليه ، أو يسقاه العاشق فيسايه عن المرأة . وقيل خرزة كانوا يقولون : اذا صب عليها ماء المطر ، فشربه العاشق سلا. أو هو ان يؤخذ تراب قبر ميت، فيجعل في ماء فيسقى العاشق ، فيموت حبه . أو هو دواء يسقاه الحزين

---

١ اللسان (١٢/٧٠) ، (تمم) ، سنن أبي داود (٤/٩) ، النهاية (١/١٤٣) ، تاج العروس (٧/٢٤٢) ، شحن العلوم (ح ١ ق ١ ص ٢١٥) .
٢ تاج العروس (٧/٢٤٢) .
٣ تاج العروس (٣/٤١٤) ، (عقر) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٤ تاج العروس (٨/٣٧٩) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٥ تاج العروس (٨/٣٧٩) ، (خصم) .
٦ تاج العروس (٦/٢٠٠) ، بلوغ الارب (٣/٧) .

فيفرحه[1] . و (القرزحلة) ، وهي خرزة من خرز الضرائر[2] .

وكانوا يرقون بالخرز . فلخرزة (الهنمة) ، رقية خاصة ، هي : « أخذته بالهنمة ، بالليل زوج وبالنهار أمة »[3] . وللقبلة و (الدردبيس) ، وهي خرزة مؤثرة ذات قوة فعالة ، يتحبب بها النساء الى أزواجهن،تؤخذ من القبور العادية، أي القبور الجاهلية القديمة ، رقية خاصة ، هي : « أخذته بالدردبيس تدرّ العرق اليبيس ، وتذر الحديد كالدريس » . وقيل الدردبيس خرزة سوداء ، كأن سوادها لون الكبد ، اذا رفعتها واستشففتها رأيتها تشف مثل العنبة الحمراء للحب، تتحبب بها المرأة الى زوجها ، توجد في قبور عاد[4] .

ومن خرزهم : (كرار) ، خرزة تؤخذ بها نساء الأعراب . وقيل خرزة تؤخذ بها النساء والرجال . ورقيتها : « يا كرار كرّيه ، يا همرة اهمريه ، ان أقبل فسريه ، وان أدبر فضريه ، من فرجه الى فيه »[5] . ومنها (الهمرة) ، خرزة للتأخيذ . وهي خرزة الحب ، يستعطف بها الرجال ، ورقيتها : « يا همرة اهمريه ، ويا غمرة اغمريه ، ان أقبل فسرّيه ، وإن أدبر فضريه ، من استه الى فيه ، وماله وبنيه »[6] . ومثلها (الهصرة) ، خرزة للتأخيذ[7] .

ومن الخرز المعروفة : (الكحلة) ، خرزة من خرزات العرب للتأخيذ ، تؤخذ بها النساء الرجال . أو هي خرزة سوداء تجعل على الصبيان للعين والنفس من الجن والإنس ، فيها لونان بياض وسواد[8] .

اصابة العين :

كان للجاهلين رأي وعقيدة في العين وفي أثرها في الحياة ، فهم يعتقدون بأثر

---

١ تاج العروس (١٠/١٨١) ، (سلا) .
٢ بلوغ الارب (٣/٦ وما بعدها) .
٣ اللسان (١٦/١٠٧) ، تاج العروس (٩/١١١) ، (الهينمة) .
٤ تاج العروس (٤/١٤٩) ، (الدردبيس) .
٥ تاج العروس (٣/٥١٩ وما بعدها) ، (كرر) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٦ تاج العروس (٣/٦٢٣) ، (همر) ، بلوغ الارب (٣/٧) .
٧ تاج العروس (٣/٦٢١) ، (هصر) .
٨ تاج العروس (٨/٩٥) ، (كحل) ، اللسان (١١/٥٨٥) ، (كحل) .

العين وإصابتها . ولخطر هذه الإصابة وأهميتها ، تفننوا في ابتداع وسائل الوقاية منها ، وحماية أنفسهم من أثرها . وقد زعموا أن عيون بعض النـاس تصيب ، وانها ان أصابت شيئاً أهلكته ، فان (العين) لا تنتج الا شراً ، وهي لا تكاد تكون في خير مطلقاً . ولذلك تجنّبوا (العائن) وابتعدوا عنه. و (العائن) و (المعيان) و (العيون) هو من تصيب عيونه . فكان أحدهم اذا ما اتصل بإنسان، وصادف أن نظر ذلك الانسان الى شيء أعجبه ، أو رأى شيئاً لفت نظـره ، ثم صادف ان وقع مكروه لمن نظر اليه ، أو الى ما كان قد رآه (العـائن) ، نسب ذلك المكروه اليه ، ورمي باصابة العين ، وقد يحدث من ذلك الرجل مثل مـا حدث له مع من وقع المكروه عليه ، فيرمى عندئذ بإصابة معين ، وينبذه النـاس خوفاً من اصابتهم بعينيه . فيقال ان فلاناً لعيون : اذا كان يستشرف للنـاس ليصيبهم بعين . ويقال للعيون انه لنفوس ، وما أنفسه ، وقد أصابته نفس أو عين[1] .

ولا تقتصر الاصابة بالعين على اصابة عيون الانسان،فقد تصيب عيون الحيوان كذلك . وهناك حيوانات عديدة لها قدرة على الاصابة بعينيها مثل الحيات والثعلب والطاووس . وأكثر الحيوانات التي تكون لعيونها بريق أو لمعان خاص ، هي من هذا القبيل . وقد حمل هذا الاعتقاد بعض الناس على التخوف من تلك الحيوانات والابتعاد عنها ، بل بلغ الخوف ببعضهم ان امتنعوا من ذكر اسم أمثـال تلك الحيوانات أو تهجّي حروف أسمائها خشية العين[2] . والكـلاب من الحيوانات التي تصيب بعيونها . ورد عن (ابن عبـاس) قوله : « الكلاب من الجن ، فان غشيتكم عند طعامكم ، فالقوا لهن ، فان لهن أنفساً . أي أعيناً »[3] . ولخوفهـم من اصابة عيون الحيوان كرهوا الأكل بين يديها . فكانوا إمـا ان يشغلوها عن النظر اليهم بشيء يرمونه لها لتأكله ، ولو بعظم . وإما ان يطردوها ، فيتخلصوا من اصابتهم بعيونها[4] .

---

١ الحيوان (٢/١٤٢ وما بعدها) .

٢ روح المعاني (٣٠/٢٨٤) ، Ency. Religi., 5, 610.

٣ اللسان (٦/٢٣٦) ، (نفس)، « ان الكلاب من الجن ، وان الجن من ضعفة الجن ، فاذا غشيكم منها شيء ، فالقوا اليها شيئا واطردوهـا ، فان لها أنفس سوء » ، الحيوان (٢/١٣١) .

٤ الحيوان (٢/١٣٢) .

ويعبر عن العين التي تصيب (المعين) بـ (النفس) . يقال نفسته بنفس ، أي أصبته بعين ، وأصابت فلاناً نفس ، أي عين . وفي الحديث « انه نهى عن الرقية إلا في النَّملة والحُمَة والنفس ، أي العين »[1] . و (النافس) : العائن ، والمنفوس المعيون . و (النّفوس : العيون الحسود المتعين لأموال الناس ليصيبها ، وما أنفسه ، أي ما أشد عينه)[2] .

و (السفعة) العين . ورجل مسفوع ، أي معيون أصابته سفعة ، أي عين . ويقال به سفعة من الشيطان ، أي مس ، كأنه أخذ بناصيته . ويعبر عنها بـ (النظرة) كذلك . وقيل : النظرة الإصابة بالعين والسفعة العين[3] . و (النظرة) الغشية أو الطائف من الجن ، وقد نظر ، فهو منظور ، أصابته غشية أو عين . وفي الحديث أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، رأى جارية ، فقال : ان بها نظرة ، فاسترقوا لها . قيل معناه : ان بها اصابة عين من نظر الجن اليها وكذلك بهـا سفعة[4] . وقد يخصصون (النظرة) بإصابة عين الجن[5] .

وللحاسد نفس عـلى المحسود . وقد يصل نفس الحاسد الى حد الإهلاك . والعائن ربما لا يتعمد الأذى ، انما عينه هي التي تصيب بمجرد المقابلة أو وقوع النظرة على الشيء ، ولذلك كان أذاه عند المقابلة ووقوع عين العائن على المعيون. أما الحاسد ، فـإنه يصيب في الغيبة وفي الحضور ، لأن عينه تنفـذ وتصل الى المحسود ، وان كان غائباً عن الحاسد[6] . ولخطر الحسد وشدة أذاه ، اتخـذت الحمائل الخاصة بمقاومة عيون الحسود .

ولحماية النفس من العين ، استعملت الخرز والتعاويذ والرقي . ومن الخرز التي استخدمت في حماية الأطفال من اصابة العين ، (الكحلة) ، وهي خرزة سوداء

---

١ تاج العروس (٤/٢٥٩) ، (نفس) .
٢ اللسان (٦/٢٣٦) ، (نفس) .
٣ تاج العروس (٥/٣٨١) ، (سفع) .
٤ تاج العروس (٣/٥٧٤) ، (نظر) .
٥ عمدة القارىء (٢١/٢٦٤ وما بعدها) ، اللسان (١٧/١٧٦) .
٦ روح المعاني (٣٠/٢٨٤) .

تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . و (القبلة) ، وهي خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين[1] .

و (الودعة) ، تفيد في دفع أذى العين عن الانسان . وذكـــر انها مما يقذفه البحر ، وهي تتفاوت في الصغر والكبر ، وهي خرزة تثقب وتتخذ منها القلائد، وللحماية من العين[2] .

١ تاج العروس (٨/ ٧١) ، بلوع الارب (٣/٧) ٠
٢ تاج العروس (٥/ ٥٣٤) ، (ودع) ٠

obeikandl.com

الفصل الخامس والثمانون

في أوابد العرب

وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية ، بعضها يجري مجرى الديانات ، وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات ، وبعضها يجري مجرى الخرافات ، وقد كانت قد هيمنت وسيطرت على عقليتهم ، ولا سيما تلك الأمور التي كانت تتصل بحياتهم . كالكهانة والحداسة والرقية والتنجيس والتنجيم ، وغير ذلك مما له علاقة بحياة الانسان حتى قيل انهم كانوا (بين متكهن وحدّاس وراق ومنجس ومتنجم)[1] .

الكهانة :

وفي طليعة بعض الناس الموهوبين ، بما لهم من قدرة خفية خارقة والهام ، الاتصال بالآلهة وبالأرواح . والاستئناس بها والأخذ منها ، والحصول على علم غزير منها يتعلق بالمستقبل عامة وبمستقبل كل إنسان خاصة ، أو التأثير عليها بصرف الخير الى شخص ودفع الأذى عنه،وبتوجيه الشر الى شخص يراد توجيهه اليه وإيذاؤه . ويقال للاتصال بالآلهة أو الأرواح لمعرفة المستقبل والتنبؤ عما سيحدث :

---

١ ارشاد الساري (٨/٤٠٠) ، صحيح مسلم (٧/٣٥ وما بعدها) ، عمدة القاري (٢١/٢٧٥) ، اللسان (١٧/٢٤٤) ، الروض الانف (١/١٣٦) ، مروج الذهب (٢/٨٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

(الكهانة) « Divination » ، ويقال لمن يقوم بذلك الكاهن . أما الذي يزعم أن في امكانه التحكم في الأرواح وتوجيهها الوجهة التي يريدها ، فيقال له (ساحر) ويقال لعمله (السحر) . وتقابل كلمة (السحر) في العربية كلمتا « Magic » و « Sorcery » في الانكليزية .

والكهانة في اللغة العربية تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ومعرفة المغيّبات والأسرار ، وتقابل بهذا التعريف في العربية كلمة « Soothsayer » في الانكليزية . وتقابل كلمة (كاهن) لفظة (كوهين) « Kohen » في العبرانية و (كهنا) « Kahna » في لغة بني إرم ، وكلها من الأصل السامي القديم[1] .

ومن مرادفات الكاهن : (الطاغوت) . وبهذا التفسير فسر العلماء قوله تعالى: « فمن يكفر بالله ويؤمن بالطاغوت »[2] . قالوا : الطاغوت : الكاهن . وهم كهان تنزل عليهم شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم . والطواغيت التي كانوا يتحاكمون اليها ، كان في جهينة واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد. وهم كهان تنزل عليهم الشياطين[3] . وذكر بعض علماء التفسير ان الطاغوت : الشيطان في صورة انسان يتحاكمون اليه . وقد وردت اللفظة في موضع آخر من القرآن الكريم بعد لفظة (الجبت) ، اذ جاء في التنزيل : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت »[4] . وقد ذكروا ان الجبت السحر والساحر ، بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن[5] . وان الجبت والطاغوت صنمان ، أو ان الجبت الأصنام والطاغوت تراجمة الأصنام ، والذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، أو ان الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له ، كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو انسان أو شيطان . وإذ كان ذلك كذلك . وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتاً وطواغيت.

---

١ ارشاد الساري ٨/٣٩٨) ، اللسان (١٣/٣٦٢ وما بعدها) ، (كهن) ، مفتاح السعادة، لطاش كبري زاده (١/٢٩٣ وما بعدها) ،
Nöldeke, Neue Beiträge Semitischen Sprachwissenschaft, S. 36.

٢ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢٥٦ .

٣ تفسير الطبري (٣/١٣ وما بعدها) .

٤ النساء ، الآية ٥١ .

٥ تفسير الطبري (٥/٨٤) .

وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله،وكذلك الساحر والكاهن اللذان كانا مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله ، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ، فكانا جبتين وطاغوتين[1] .

وذكر علماء التفسير في قوله تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً »[2] ، أن (الطاغوت) الكاهن الذي كان يحكم بين الناس ، ويتحاكمون اليه . وأنها نزلت في حق يهودي اختصم مع مسلم ، فكان المسلم أو المنافق يريد الاحتكام الى الكاهن ، وكان اليهودي يدعو الى النبي أو المسلمين ، لأنهم لا يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما الى كاهن من جهينة ، أو الى كاهن بالمدينة، أو الى كعب بن الأشرف، فنزل الوحي بتوبيخ ذلك المسلم أو المنافق[3] .

والتكهن عن المستقبل والتحدث عن الماضي ، موضوع له فروع عديدة . وقد عدّ علماً من العلوم عند كثير من الأمم ، وألفوا فيه . وتنبؤ الأصنام هو نوع من هذه الأنواع . ويدخل في التكهن التنبؤ بواسطة وسيط : مكالمة صنم ، أو (تابع) أي (رئي) ، وقراءة كبد الشاة وقراءة أعضائها كما كان عند البابليين وعند المصريين . والتكهن بحركات الطيور ، وتفسير الأحلام . وتفسير بعض الظواهر الطبيعية وما شابه ذلك وكل هذه كانت معروفة عند الجاهليين .

وليس من الضروري ان يكون التكهن بتكليم الصنم حتماً وفي المعبد بالضرورة، فقد كان من الكهان من يقيم في بيته ويتكهن مع ذلك للناس ، ينطق بما يوحى اليه وبما يشعر به . وقاصدوه يرون ان فيه قوة خارقة وقابلية لتلقي الوحي من تلك القوة التي يتصورونها على هيأة شخص غير منظور يلقي الى الكاهن الوحي ، فينطق بما يناسب المقام وبما يكون جواباً على الأسئلة التي توجه اليه . ويطلقون على ذلك الشخص الخفي اسم (تابع) أو (صاحب) أو (مولى) و (ولي) و (رئي) ، لأنه يكون تابعاً وصاحباً للكاهن . يتبعه ويصاحبه ويلقي اليه

---

١ تفسير الطبرى (٥/٨٣ وما بعدها) .
٢ سورة النساء ، الآية ٦٠ .
٣ تفسير الطبري (٥/٩٦ وما بعدها) .

(الرئي) . يكشف له الحجب ويأتيه بالأسرار . فهو (حاز) و (حزّاء) و (حازية) و (الرائي) في العهد القديم[1] .

وكان من رأي الجاهليين ان هناك وحياً يوحى الى الكاهن بما يقوله ، وقد قالوا لذلك المصدر الذي يوحي اليه : (شيطان الكاهن) ، كما قالوا للمصدر الذي يوحي الى الشاعر بوحي شعره : (شيطان الشاعر) ، ذلك لأن شيطان الكاهن يسترق السمع ويلقي به الى الكهنة[2] . يسترقه من السماء ، فيأتي به الى الكاهن ويلقي ما استرقه اليه ، فيلقي الكاهن ما ألقى عليه شيطانه الى الناس ، وبذلك يتنبأ لهم[3] . « سأل رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ناسٌ عن الكهان ، فقال : ليسوا بشيء ، فقالوا : يا رسول الله ، انهم يحدثونا أحياناً بشيء ، فيكون حقاً ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : تلك الكلمة من الحق ، يخطفها من الجني فيقرها في اذن وليه ، فيخلطون معها مئة كذبة[4] » .

وقد وردت كلمة (كاهن) في القرآن الكريم في معرض الردّ على قريش الذين اتهموا الرسول بأنه (كاهن) . وبأنه يقول القرآن على نمط سجع الكهان. فجاء فيه : « فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون »[5] ، و « إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون »[6] . فرد عليهم بقوله : « ما هذا القرآن بقول شاعر ، لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر ، فتقولوا هو شعر ، قليلاً ما تؤمنون . يقول تصدقون قليلاً به أنتم ، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش . ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون . يقول ولا هو بقول كاهن ، لأن محمداً ليس بكاهن ، فقولوا هو

---

١ Reste, S. 134, Shorter Ency., p. 207.

٢ تاج العروس (٣٢٦/٩ وما بعدها) ، اللسان (٢٤٤/١٧) ، الطبرسي (٣٤٩/٥ ، ٣٦٧) ، بلوغ الارب (٢٦٩/٢) ، مروج الذهب (١٧٢/٢ وما بعدها) ، مفتاح السعادة ، لطاش كبري زاده (١١٣/١ وما بعدها) ، ارشاد الساري (٣٩٨/٨) ، مقدمة ابن خلدون (١٠١/١ وما بعدها) .

٣ صبح الاعشى (٣٩٨/١) .

٤ ارشاد الساري (٤٠٠/٨) ، صحيح مسلم (٣٥/٧ وما بعدها) ، عمدة القارىء (٢٧٥/٢١) ، اللسان (٢٤٤/١٧) ، الروض الانف (١٣٦/١) ، نهاية الارب (١٢٨/٣) ، (في أخبار الكهان) .

٥ سورة الطور ، الآية ٢٩ ، تفسير الطبرى (١٨/٢٧) .

٦ الحاقة ، الآية ٤٢ .

ممن سجع الكهان »[1] . فكان للكهان أسلوب خاص في كلامهم عند التنبؤ والتكهن هـو أسلوب السجع . ولذلك عرف بـ (سجع الكهان) . وقد امتاز سجعهم هذا باستعمال الكلام الغامض ، والتعابير العامة الغامضة التي يمكن تفسيرها تفاسير متناقضة ومختلفة . وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التكهن ، لكي لا يلزم الكاهن على ما يقوله من قول ربما لا يقع ، أو قد يقع العكس . ففي مثل هـذه الحالة ، يمكن أن يكون للكاهن مخرجٌ باستعماله هذا النوع من الكلام .

وقد ورد أن الرسول نهى عن محاكاة الكهان في سجعهم ، فذكر عنه قوله: « أسجعٌ كسجع الجاهلية »[2] .

ويذكر أهل الأخبار أن (تابع) الكاهن ، وهو شيطانه وجنيّه، كان يسترق في الجاهلية الأخبار من السماء ، فيلقي بها الى الكاهن المختص به . فيخبر الكاهن من يأتي اليه للكهانة . بقوا على ذلك الى ظهور النبوة ، فلما نزل الوحي انقطعت الكهانة ، إذ وجد الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع لهم شهاباً رصداً . وقالوا إن قوله تعالى : « وانّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً »[3] ، إنمـا عنى به هذا الحادث . حادث منع الشياطين من استراق السمع[4] .

ويذكر أهل الأخبار أيضاً ان « القذف بالنجوم قد كان قديماً ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الجزع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي . وقد وصفوا الرمي بالنجوم »[5] . وان من عقائد أهل الجاهلية ان في تساقط النجوم والشهب دليـل على موت عظيم أو ميلاد مولود عظيم[6] . وذكر ان الرسول كان جالساً مع قومٍ من الأنصار إذ رمي بنجم فظهر نوره ، فقال لهم : ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في

---

١ تفسير الطبري (٢٩/٤٢) .
٢ البيان والتبيين (١/٢٨٧) .
٣ سورة الجن ، رقم ٧٢ ، الآية ٨ وما بعدها .
٤ تفسير الطبري (٢٩/٦٩ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٢/١٠) ، (المنيرية) ، نهاية الارب (٣/١٢٤ وما بعدها) ، مفتاح السـعادة (١/٢٩٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٩/٣٢٦ وما بعدها) ، (كهن) ، مروج الذهب (٢/١٥٢ وما بعدها) .
٥ الروض الانف (١/١٣٥) .
٦ الروض الانف (١/١٣٦ وما بعدها) .

الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك ، ولد مولود[1] .

وقد جعل (المسعودي) حدة الأذهان مع نقصان الأجسام وتشويه الخلق ، من جملة العوامل التي دفعت على التكهن والإخبار عن الغيب . وضرب مثلاً على ذلك : شق ، وسطيح ، وسملقة ، وزوبعة ، وسديف بن هوماس ، وطريفة الكاهنة ، وعمران أخي مزيقياء ، وحارثة ، وجهينة ، وكاهنة باهلة وأشباههم من الكهان[2] .

وقد يلحق التابع من الجن أشخاصاً لم يشتهروا بالكهانة وإنما عرفوا بشدّة ذكائهم ومعرفتهم بعواقب الأمور، مثل (أحيحة بن الجُلاح) وكان من أشراف المدينة ، وقد اشتهر عندهم بكثرة صوابه وسرعة ادراكه للعواقب . فعللوا ذلك بوجود تابع له من الجن كان يعلمه المغيبات[3] .

قال (الجاحظ) : « وكانوا يقولون ، إذا ألف الجني إنساناً وتعطف عليه، وخبره ببعض الأخبار ، ووجد حسه ورأى خياله ، فإذا كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رئي من الجن . وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لحي بن قمعة، والمأمور الحارثي ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب .

فأما الكهان ، فمثل حارثة جهينة ، وكاهنة باهلة ، وغُزى سلمة ، ومثل شق وسطيح وأشباههم[4] .

والكهان يرون تابعهم ، وقد يتجلى لهم في صورة إنسان . ويظهر على صورة رجل للكواهن كذلك . فقد كان للغيطلة ، وهي على ما يزعمه أهل الأخبار كاهنة أبوها مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرّة ، وشنوق أخو مدلج ، تابع يفد اليها ، ويدخل غرفتها ، ويجلس تحتها . كما كان لفاطمة بنت النعمان النجارية ، وهي كاهنة كذلك ، تابع من الجن « كان إذا جاءها ، اقتحم عليها في بيتها . فلما كان في أول البعث، أتاها ، فقعد على حائط الدار ولم يدخل، فقالت له : لِمَ لا تدخل ؟ فقال : قد بعث نبي بتحريم الزنى »[5] .

---

١ السيرة الحلبية (١/١٤٠) .
٢ مروج (٢/١٥٤) .
٣ الاغاني (١٣/١١٥) « ذكر احيحة بن الجلاح » .
٤ الحيوان (٦/٢٠٣ وما بعدها) .
٥ الروض الانف (١/١٣٧) .

فالكاهن اذن ، هو الذي يتنبأ بواسطة تابع ، ولا يستطيع غير الكاهن رؤية التابع . وتكون الكهانة كلاماً يلقيه الكاهن نفسه ، أو تابعه ، جواباً عن أسئلة الكاهن . ولما كان التابع روحاً ، كان من الطبيعي تصور صدور ذلك الكلام من روح لا يمكن لمسها ولا رؤيتها ، ترى وتسمع وتعقل ، وتجيب ما يطلب منها الاجابة عنه .

ويكون الكاهن في أثناء تكهنه في غيبوبة أو في شبه غيبوبة في الغالب ، ذلك بأنه متصل في هذه الأثناء بعالم مجهد صعب لا يتحمله كل انسان، ولاتصال الروح فيه ، واتصال الروح بجسم الكاهن شيء جد عسير ، يتصبب العرق منه . خاصة اذا كان المتكلم الكاهن نفسه .

ويكون التكهن ، في الغالب ، في مكان هادىء تكتنفه ظلمة أو عتمة ، لأن للهدوء والظلام أثراً عظيماً في النفوس ، ويسبقه حرق بخور في الأكثر يستمر الى ما بعد انتهاء التنبؤ ، لأن البخور من الروائح الطيبـــة التي تؤثر في الأرواح ، فتجلبها الى المكان بسرعة . ثم إن له تأثيراً خاصاً في الأعصاب، وهو بذلك مادة صالحة في الايحاء لمن يقصد استشارة الكهان .

ويروي الأخباريون ان الناس كانوا اذا قدموا على الكهان امتحنوهم ليتأكدوا من صدق تكهنهم ومقدار علمهم . وذلك باخفاء شيء اخفاءً لا يمكن الاهتداء اليه ، أو بوضع لغز ، أو ما شابه ذلك ، فيبدؤون الكاهن بالسؤال عنه . فاذا أجاب جواباً دل على معرفة وسعة علم ، سألوه عن الأمر الذي عندهم والذي من أجله قصدوه . ويكون لهؤلاء الكهان أجر يدفع اليهم . والعرف الغالب ان الكهانة لا تكون ولا تصح إلا بتقديم شيء للكاهن ، لأن التابع لا يرضى بالتنبؤ إلا اذا رأى حلاوة التنبؤ .

ومن قبيل الامتحانات التي امتحن بها الكهان ، امتحان (عتبة بن ربيعة) الى بعض كهان اليمن ليتأكد من صدق تكهنه قبل النظر في أمر اختلاف ابنتـــه (هند) مع زوجها (الفاكه بن المغيرة) في فرية رماها (الفاكه) زوجته بها[1]. وامتحان (عبد المطلب) للكاهن (ربيعة بن حذار الأسدي) حين اختصم مع (بني كلاب وبني رباب)[2] . وامتحان (الكاهن الخزاعي)[3] وغير ذلك .

١ نهاية الارب (٣/١٣١) ، صبح الاعشى (١/٣٩٨ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (٣/١٣٣) .
٣ نهاية الارب (٣/١٣٢) .

وما يعطاه الكاهن ويجعل له على كهانته ، يقال له (الحُلوان) و (حلوان الكاهن) ، وهو شيء غير معين ولا ثابت ، انما يتفق عليه ، والرأي الشائع بين العامة حتى الآن أن الكهانة لا تصدق إذا لم يعط الكاهن أو الساحر (حلوانه) ؛ لأن ما يقدم الى الكاهن لا يخصه ولا يكون له ، إنما هو للرئي ، والرئي لا يقوم بعمله ولا يحسن أداءه إلا بحلوان ، يقبله مهما كان ، وعلى الكاهن استشارة (التابع) ومراجعته فيه حتى يقنع ، ويوافق على الأجر . ولما كان الاسلام قد منع الكهانة، كان من الطبيعي نهيه عن دفع الحلوان [1] .

والكهّان إنما صاروا كهاناً ، أي متنبئين بالغيب ، لأن « الكهنة قوم لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في الأمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم اليه »[2] . وهذا هو تعليل إسلامي بالطبع لمصدر تنبؤ الكهان ، أما رأي الجاهليين عنه ، فلا علم لدينا عنه ، لعدم ورود شيء منهم الينا .

وتقدم الكهانة على القدرة الشخصية وعلى ذكاء الكاهن،لذلك لم تكن كالسدانة مثلاً إرثاً ينتقل من الآباء الى الأبناء ، بل كان في إمكان كل شخص يرى في نفسه القدرة على التنبؤ بالغيب والتحدث عما سيحدث للسائلين ان يدعي الكهانة وان يعد نفسه كاهناً يتكلم باسم الأرباب ، وينطق بالقوة الخفية التي توحي اليه بالتنبؤات ، فيتخذ له مكاناً في معبد أو في موضع آخر أو في بيته ليقصده من يريد استشارته في عظائم الأمور مهما اختلفت وتنوعت عن المستقبل وعن الأخبار وعن الأسرار والمغيّبات وعن القيام بعمل من الأعمال .

وفي الأقوال المنسوبة الى الكهان ، قسم بالكواكب كالشمس والقمر وبالنجوم وبالليل وبالنهار وبالأشجار وبالرياح والكلمات وبالجبال والأنهار وبالطيور وبما شابه ذلك أمور طبيعية ، الغرض منها التأثير في نفوس السامعين والأغراب في الكلام ، ليكون بعيداً عن الأسلوب المألوف . وقد روى الأخباريون نماذج من هذا الكلام،

---

١ « أعطيت الكاهن حلوانه ، أي كراء كهانته » ، الاشتقاق (٢/٣١٤) ، « نهى النبي صلى الله عليه وسلم ، عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن » ، ارشاد الساري (٨/٤٠٠) ، اللسان (١٨/٢١١) ، تاج العروس (١٠/٩٦) ، اللسان (١٤/١٩٤) ، (صادر) « حلو » ، النهاية (٣/٢٥٦ وما بعدها) ، مفتاح السعادة (١/٢٩٣ وما بعدها) .

٢ عمدة القارىء (٢١/٢٧٥) ، ارشاد الساري (٨/٣٩٨ وما بعدها) .

من هذا السجع المعروف بـ (سجع الكهان) ، نسبوه الى أصحابه من كهـــان الجاهلية . وهي نسبة مهما حاولوا اثبات صحتها وصدق روايتها ، فانهم عاجزون في رأيي عن اقناعنا بصحة ما يقولون. كيف حفظوا ذلك الكلام وتناقلوه بالحرف الواحد بوزنه وبأسلوبه وبنصه وبفصه الى أن أوصلوه الى أيـــدي العلماء والمدوّنين فثبتوه بالتدوين ؟ وكيف لم يخطئوا في ذلك ولم ينسوا منه حرفـــاً ، حتى لكأنه كلام مقدس وارد عن وحي سماوي ، فلا بد من المحافظة على نصه وروايته على نحو ما ورد وحفظ ؟ واذا كان العلماء قد تساهلوا في رواية متن حديث رسول الله فسمحوا بالتصرف فيه بشرط المحافظة على المعنى محافظة تامة ، لصعوبة التمسك برواية النص على نحو ما ورد عن الرسول . فكيف يعقل محافظة الرواة على حرفية كلام الكهان على نحو ما نسب اليهم . وكلام الكهان ليس بشيء بالقياس الى كلام الرسول ؛ ثم انه أقدم منه ، ولم يكن مدوناً ولا مكتوباً في كتاب على ما يفهم من روايات الأخباريين .

وقد كان للكهان على ما يتبين من قصص الأخباريين أثر كبير في حياة العرب قبل الإسلام . فقـــد كان الناس يستشيرونهم في إبرام مهمات الأمور ، كإعلان حرب أو كشف عن جريمة أو بحث عن شيء مفقود وما شاكل ذلك . لقـــد كانوا يستشيرونهم في الحروب ، يتنبؤون للنـــاس بقرب حدوث غزو أو نزول كارثة أو خير سيقع قريباً . لقـــد كان هجوم بني أسد على (حجر) بمشورة الكاهن وبرأيـــه ، وكان تركهم تميماً وافتراقهم عنهم في يوم جبلة بتحذير من الكاهن كذلك[1] . وقد استعان النعمان أو يزيد بن عمرو الغساني بالكاهن (الخمس التغلبي) ، لاخباره عمن تجاسر على ناقته فقتلها ، كما استعان (عتبة بن ربيعة) في اثبات نسب ابنته (هند) منه[2] .

وقد اشترك الكهان أنفسهم في الغزوات وفي الحروب . كانوا يشجعون قومهم ويحثونهم عـــلى القتال ، وكان بعضهم من مشاهير الفرسان ، مثل (زهير بن جناب) ، و (جذيمة) العبسي ، وقلطف الكاهن ، والمأمور كاهن مذحج .

---

١ الاغاني (١٠/٣٦) ، مروج الذهب (٢/١٧٣ وما بعدها) ، نهاية الارب ، للنويري (٣/١٢٤) ، صبح الاعشى (١/٣٩٨) ، Reste, S. 136.

٢ الاغاني (١٠/٢٧) ، « ذكر مقتل خالد بن كلاب » ، صبح الاعشى (١/٣٣٨ وما بعدها) ، Reste, S. 136.

ولم يكن الكهان من الطبقات الدنيا عند عرب الجاهلية ، ولا من سواد الناس. لقد كان منهم من هو من سادة القبيلة ومن الأشراف . ولا بد أن يكونوا من هذه الطبقة ، ليكون حكمهم نافذاً بين الناس بما لهم من عز ومنزلة وجاه . وقد عدّ الأخباريون (زهير بن جناب) رئيس كلب في جملة الكهان[1] . وقد كان للقبائل (كهان) تلتجىء اليهم في الملمات ، لتستشيرهم وتعمل برأيهم في الغزو والحرب . يسيرون معها ، وقد يقودونها في المعارك .

وقد كان لكل قبيلة كاهن منها أو عدة كهان، تلتجىء القبيلة اليهم لاستشارتهم في كل أمر عظيم يحدث لهم . ولا يشترط ان يكون كاهن القبيلة رجلاً ، إذ يجوز ان يكون امرأة . وكان كاهن ثقيف (قريش) عند ظهور الاسلام رجلٌ يقال له (خطر) ، وكان لجنب كاهنهم كذلك ، وكان لقريش حين ظهور الاسلام كاهنة تدعى (سوداء بنت زهرة بن كلاب) ، وهكذا كان شأن بقية القبائل . فلما ظهر الاسلام ، ودّع اولئك الكهان رئيسهم وتابعهم ، وكهانتهم ، إذ نهى الاسلام عنها . وقد كان لبعضهم أثر مهم في إعداد قبائلهم للدخول في الاسلام[2] .

وقد أشار بعض الكتبة الكلاسيكيين الى وجود كهان عند العرب، كما انه ورد في كتابات طور سيناء ما يدل على وجودهم عند القبائل[3] .

ولم يكن الكاهن ، كاهناً ، بمعنى المخبر عن المغيبات فقط، بل كان حاكماً يحكم بين الناس فيما يقع بينهم من خلاف . فالكاهن حاكم يفصل في الخصومات . وقد كان أكثر حكام العرب كهاناً ، يقصدهم المتخاصمون من مواضع بعيدة لما عرفوا به من إصالة الرأي ، وصحة الحكم .

وقد ذكر أن الكاهن كان لا يلبس المصبغ . أما العراف فإنه لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه[4] ، ويدل ذلك على أنهما كانا يميزان أنفسهما بمميزات وعلامات وأنهما كانا يتجنبان بعض الأمور .

---

١ الاغاني (٨/٦٦) ، (١٥/٧٣) ، (٢١/٩٩) .
٢ الروض الانف (١/١٣٧ وما بعدها) ، مفتاح السعادة ، (١/١١٣ وما بعدها) ، نهايه الارب (٣/١٢٤) ، صبح الاعسى (١/٣٩٨) .
٣ Ency. Religi., I, p. 667.
٤ تفسير الطبري (١٨/٥٧) ، ثمار القلوب (١٩٣) ، بلوغ الارب (٣/٤٠٧) .

وقد اشتهر في الجاهلية عدة كهّان ذكر الأخباريون أسماءهم ، منهم : شقّ ، وسَطيح ، وأوس بن ربيعة ، والخمس التغلبي ، وعُزى سلمة الكاهن ، ونفيل ابن عبد العزي ، وخنافر بن التوأم الحميري ، وسواد بن قارب الدوسي ،وعمرو ابن الجعيد ، وابن الصياد ، والأبلق الأزدي ، والأجلح الدهري ، وعروة بن زيد الأزدي ، ورباح (رياح) بن عجلة ، وهو المعروف بعراف اليمامة ، والكاهن الخزاعي ، وهو جدّ (عمرو بن الحمق) ، وكان منزله بعسفان ، واليه احتكم هاشم وأمية [1] ، و (كهال) ، أحد الكهنة الجاهليين[2] .

وأشهر الكهان وأعرفهم : شق وسطيح ، وللأخباريين عنهما قصص أخرجها من عالم الواقع ، وجعلها في جملة الأشخاص الخرافيين . فشق في زعمهم إنسان له يدٌ واحدة وعين واحدة ، وجعلوه من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي . وذكروا أنه كان معاصراً لمالك بن نصر اللخمي ، وأنه استدعاه واستدعى سطيحاً معه لتفسير رؤيا رآها أفزعته ، وأنهما أخبراه بوقوع غزو الحبشة لليمن وبظهور سيف بن ذي يزن . وقالوا : إنه من بني جليحة ، وأنه عمّر ثلاثمائة سنة [3] . وقالوا ان سطيحاً كان كتلة من لحم يدرج كما يدرج الثوب ، ولا عظم فيه إلا الجمجمة ، وأن وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان في عصره من أشهر الكهّان ، وان كسرى بعث اليه عبد المسيح بن بقيلة الغساني ليسأله في تأويل رؤيا رآها ، فأخبره بظهور أمر رسول الله وبقرب زوال ملك العجم ، فأخبر (عبد المسيح) كسرى بذلك[4] .

وزعم ان سطيحاً جسد ملقى لا جوارح له ، ولا يقدر على الجلوس ، إلا اذا غضب انتفخ فجلس . وكان شق شق انسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ،وعين واحدة . وولد سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة،

---

١ تاج العروس (٩/٣٢٦) ، بلوغ الارب (٢/٢٦٩ وما بعدها) ، مروج الذهب (٢/١٧٥ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٢/١٠) ، البيان والتبيين (١/٢٨٩) ، نهاية الارب (٣/١٣٢) ، الثعالبي ، ثمار (١٠٥ وما بعدها) ، Reste, S. 136. f.

٢ تاج العروس (٨/١٠٦) ، (كهل) .

٣ الاشتقاق (٣٠٣) ، المستطرف (٢/٨٠ وما بعدها) ، (ربيعة بن نصر اللخمي) ، الازمنة والامكنة (٢/١٩٣) ، الاشتقاق (٢٨٦) .

٤ القزويني : عجائب المخلوقات (١/٣٧١) « طبعة وستنفلد » ، الطبري (٢/٩٩) ، نهاية الارب (٣/١٢٨ وما بعدها) ، (في أخبار الكهان) ، Ency., Vol., IV, p. 370.

ة (عمرو بن عامر) ، وهي بنت الخير الحميرية ، ودعت بسطيح قبل ان ت ، فأتيت به ، فتفلت في فيه ، وأخبرت انه سيخلفها في علمها وكهانتها . ن وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، ودعت بشق ففعلت به فعلت لسطيح ، ثم ماتت وقبرها بالجحفة[1] .

وقد ذكر (المسعودي) ، نسب الكاهن (شق) على هذا النحو : (شق مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن عنقر بن أنمار بن ربيعة بن نزار) . كر نسب (سطيح) على هذه الصورة : (هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن ن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان)[2] . ودعاه بـ (سطيح الغساني) في سع آخر . وأورد سجعاً من سجعه ، كما أورد أخبـاراً لشق المعاصر له[3] . دعاه (الجاحظ) بـ (سطيح الذئبي) ، كما دعاه (ابن اسحاق) بذلك، ينسب الى جد اسمه (ذئب)[4] .

واذا كانت رواية أهل الأخبار عن وجود الكاهن (سطيح) صحيحة، فيجب يكون قد عاش في القرن السادس للميلاد ، اذ هم يذكرون أنه كان معاصراً سرى أنو شروان ، وللنعمان بن المنذر ، ويروون أنه أخبر (عبد المسيح بن ان) ، الذي جاء اليه ليستفسر منه عن رؤيا رآها كسرى في منامه فأزعجته، بره بمولد الرسول . وذكروا أيضاً ان كسرى كان يستعين في حكمه بالكهان، تشيرهم ، وانه كان لديه ثلثمائة وستون كاهناً وسحرة ومنجمين ، وكان من م كهنة من العرب ، وأشهرهم : السائب[5] .

وذكر بعض أهل الأخبار « أن خالد بن عبدالله القسري كان من ولد شق ا . فهو خالد بن عبدالله بن أسد بن كرز . وذكر أن كرزاً كان دعيـاً ، ه كان من اليهود فجنى جناية ، فهرب الى بجيلة ، فانتسب فيهم . ويقـال ن عبداً لعبد القيس ، وهو ابن عامر ذي الرقعة . وسمي بذي الرقعة ، لأنـه

الروض الانف (١/١٨ وما بعدها) .
مروج الذهب (٢/١٦٠) ، « دار الاندلس » ، سيرة ابن اسحاق (٤٧) ، (طبعـه أوربة) ، عجائب المخلوقات (٣١٠) ، الحيوان (٣/٢١٠) ، (٦/٢٠٤ ، ٢٠٦ وما بعدها) .
مروج الذهب (٢/١٧٥ وما بعدها) ، الحيوان (٣/٢٠٤) ، (٦/٢٠٤) .
الحيوان (٣/٢١٠) ، البيان والتبيين (١/٢٨١) ، ابن اسحاق (٤٧) ، (كوتنكن) .
تأريخ الخميس (١/٣٢٢) ، نهاية الارب (٣/١٢٨ وما بعدها) .

كان أعور يغطي عينه برقعة ابن عبد شمس بن جون بن شق الكاهن بن صعب»[1]. ويظهر أن أعداء (القسري)، قد أوجدوا له هذه القصة للحط منه، كما أوجدوا قصصاً شبيهاً بهذه القصة، حكوها عن ثقيف، نكاية بالحجاج المكروه.

والى هؤلاء تجب اضافة (الأفعى الجرهمي)، وكان منزله بنجران، واليه احتكم ولد نزار في إرث والدهم[2].

ورووا ان الكاهن (الخزاعي) كان من الكهان المعروفين واليه تحاكم (أمية بن عبد شمس) و (هاشم بن عبد مناف) في أمر مفاخرتهما، فحكم لهاشم على أمية، فخرج الى الشأم وأقام بها عشر سنين. وانه قال في حكمه كلاماً مسجعاً ختمه بقوله: «ولأمية أواخر»، فكانت أول عداوة بين بني هاشم وبني أمية[3]. وهكذا جعلوه يتنبأ بظهور ملك بني أمية. وربما كان هذا الملك هو الذي أوحى الى مفتعل القصة بابداع موضوع اختيار (أمية) الشأم لتكون داراً له أقام بها مدة نزاعه مع هاشم، فحكم ان الملك عليها كان مكتوباً لبني أمية منذ عهد الجاهلية.

وتشبه هذه القصة، قصة شك (الفاكه بن المغيرة) في سيرة زوجه (هند بنت عتبة بن ربيعة)، وتكلم الناس فيها، وذهاب والدها وزوجها بها الى كاهن من كهان اليمن، فلما امتحنه عتبة، وتبين له ان الكاهن حاذق لا يخطىء قال له: قد جئناك «في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها، ويقول لها: انهضي حتى بلغ هنداً. فقال: انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكاً اسمه معاوية، فنهض اليها الفاكه، فأخذ بيدها، فجذبت يدها من يده، وقالت اليك عني، فوالله لأحرص ان يكون ذلك من غيرك! فتزوجها أبو سفيان، فولدت له أمير المؤمنين معاوية»[4]. وهي قصة تتحدث عن نفسها، ولا حاجة لي الى ابداء أي تعليق عليها.

وكان (صاف بن صيّاد) يتكهن ويدعي النبوة. وخبأ له النبي خبيئاً فعلمه.

---

١ الروض الانف (١/١٩).
٢ مجمع الامثال (١/١٧ وما بعدها).
٣ المستطرف (٢/٨١)، نهاية الارب (٣/١٢٣ وما بعدها).
٤ المستطرف (٢/٨٢)، نهاية الارب (٣/١٣١ وما بعدها)، (الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني. في أخبار الكهنة).

وكان يدعي أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض[1] . ويذكر ان الرسول سأله : كيف يأتيك هذا الأمر ؟ قال : يأتيني صادقاً وكاذباً[2] . وأن رسول الله ذهب اليه ليرى أمره وكان (ابن صياد) في نخل ، فكلمه رسول الله . وذكر أنه انطلق مرة مع (عمر بن الخطاب) في رهط قبل ابن صياد ، فوجده عند (أطم بني مغالة)[3] .

وكان في بني لهب كاهن لهم يقال له خطر بن مالك. وكان في أيام الرسول. وكان اذ ذاك شيخاً كبيراً[4] . وكان (أبو برزة) الأسلمي من الكهان المعروفين في المدينة أيام الرسول ، وقد تحاكم اليه بنو قريظة وبنو النضير في أمر الديات التي كانت بينهما[5] .

وذكر أن (خطر بن مالك) كان من أعلم كهان (بني لهب) ، وأنهم كانوا يأتونة في الملمات،أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وقد تنبأ لقومه بانقطاع الكهانة وظهور الرسول بمكة حين سألوه عن سبب تساقط النجوم في السماء[6] .

وكان في دوس كاهن اسمه سواد بن قارب الدوسي أو السدوسي . وقد وفد مع وفد من قومه على الرسول وأسلم معه أمامه . وكان له رئي يأتي اليه[7]. وذكر أهل الأخبار انه كان حاذقاً في الكهانة ، مصيباً بها ، « خرج خمسة نفر من طيء من دور الحمى ، منهم : برج بن مسهر ، أحد المعمرين،وأنيف بن حارثة، ولأم عبدالله بن سعد والد حاتم ، وعارف الشاعر ، ومرة بن عبد رضا،يريدون سواد بن قارب ، ليمتحنوا علمه . فقالوا : ليخبىء كل منا خبيأ ولا يخبر أصحابه ، فان أصاب عرفنا علمه،وان أخطأ ارتحلنا عنه . ثم وصلوا اليه فأهدوا اليه إبلاً وطرفاً ، فضرب عليهم قبة ونحر لهم،فلما مضت ثلاثة أيام دعاهم، فتكلم برج ، وكان أسنهم فذكر القصة بجميع ما خبأوه ثم بمعرفته بأعيانهم وأنسابهم فقال فيه عارف الشاعر :

---

١ الروض الانف (١/١٣٧) .
٢ مقدمة ابن خلدون (١/٩٥ وما بعدها) .
٣ زاد المسلم (٢/١٠٤ وما بعدها) .
٤ الروض الانف (١/١٣٨ وما بعدها) .
٥ تفسير الطبري (٥/٩٧ وما بعدها) .
٦ السيرة الحلبية (١/١٣٩) .
٧ الروض الانف (١/١٣٩ وما بعدها) ، نزهة الجليس (١/٢٧٧) .

الله أعـــلم لا يجـــارى الى القالات في حصني سواد
كأن خبيئنا لمـــا انتخبنـــا بعينه يصرح أو ينـــادي[1]

ومن الكهان المعروفين (الحصين بن نضلة) وقـــد عرف بـ (الكاهن) ، وقيل : إنه سيد أهل تهامة في أيامه[2] . و (عمرو بن الحمق) ، وقـــد أسلم وصحب النبي ، وشهد المشاهد مع علي[3] .

وكان (ربيعة بن حُذار الأسدي) من الكهان المعروفين ، واليه تحاكم (بنو كلاب) و (بنو رباب) لما خاصموا (عبد المطلب) في مالٍ قريب من الطائف . فحكم لـ (عبد المطلب)[4] .

وذكر (المسعودي) اسم كاهنين ، دعاهما بـ (سملقة) و (زوبعـة)[5] . وقد أشار (الجاحظ) اليهما في معرض كلامه على الخرافات[6] .

وأشار (الجاحظ) الى كاهن ظهر في (بني جهينة) ، عرف بـ (حارثة جهينة)[7] ، والى (عزى سلمة) . وقد قال (الجاحظ) عن (عزى) ، أنه كان من أكهن العرب واسجعهم . ودعاه بـ (سلمة بن أبي حية)[8] .

وكان (خُنافر بن التوأم الحميري) كاهناً ، وكان قد أوتي بسطة في الجسم، وسعة في المال ، وكان عاتياً ، فلما وفدت وفود اليمن على النبي ، وظهر الاسلام أغار على إبل لمراد فاكتسحها وخرج بأهله وماله ولحق بالشحر ، فحالف (جودان ابن يحيى الفرضمي) ، وكان سيداً منيعاً ، ونزل بواد من أودية الشحر ، ثم جاءه (شصار) رئيه ، فنصحه بالعودة الى اليمن ، والدخول في الاسلام . فأسلم على يد معاذ بن جبل بصنعاء ، فترك الكهانة وتعلم سوراً من القرآن[9] .

---

١ الاصابة (٢/٩٥) ، (رقم ٣٥٨٢) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٧٩) .
٣ الاشتقاق (٢٧٩) ، الاصابة (٢/٥٢٦) ، (رقم ٥٨٢٠) .
٤ نهاية الارب (٣/١٣٣) .
٥ مروج الذهب (٢/١٦٠ ، ١٧٦) .
٦ الحيوان (١/٣٠٩) .
٧ الحيوان (٦/٢٠٤) ، مروج الذهب (١/٣٣٧) ، ثمار القلوب (٨١) .
٨ الحيوان (٦/٢٠٤) ، البيان والتبيين (١/١٩٥) ، رسائل الجاحظ (١٣٠) .
٩ الامالي ، للقالي (١/١٣٤ وما بعدها) ، الاصابة (١/٤٥٦) ، (رقم ٢٣٤٢) ، تاج العروس (٣/١٩٢) ، (خنافر) .

ومن الكهان (المأمور) ، وهو (الحارث بن معاوية) الكاهن . وكانت مذحج في أمره تتقدم وتتأخر[1] . و (قلطف) الكاهن ، وهو من طيء[2] .

وكان (زهير بن جناب الكلبي) ، و (جذيمة) العبسي ، كهاناً[3] . وزهير من الفرسان ، فكان من فرسان كلب ، وكان شاعراً[4] .

ويعدّ (الأفكل) من الكهان الفرسان ، وله فرس اسمه هبود[5] .

ولم تحرم النساء الكهانة ، فكان لهن فيها حصة ونصيب . وقد حفظ الأخباريون أسماء عدد من الكاهنات اشتهرت كهانتهن في الجاهلية ، منهن طريفة الكاهنة ، وزبراء ، وسلمى الهمدانية ، وعفيراء الحميرية ، وفاطمة بنت مرّ الخثعمية ، وسجاح ، وغيرهن . وقد نسبوا الى طريفة إخبارها عمرو بن عامر أحد ملوك اليمن بزوال ملكه وبخراب سد مأرب ، وذكروا انها سارت مع القبائل حين خافت سيل العرم[6] . ونسبوا الى بقية الكاهنات أمثال هذا القصص عن أمور ستقع قالوا انها وقعت كما تنبأن به .

وذكر (المسعودي) ، ان (طريفة) كانت كاهنة لعمرو بن عامر . وقد نعتها بـ (طريفة الخير) . وقد تنبأت له بقرب تهدم السد،وظهور سيل العرم . كما تنبأ بذلك أخ للملك اسمه (عمران) ، وكان عقيماً كاهناً ، فوقع ما تنبآ به[7] .

وكان من شهيرات الكاهنات أيضاً (الغيطلة) ، وهي (أم الغياطل) ، وهي من (بني مُرة بن عبد مناة بن كنانة)[8] . وقيل : « الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرة . وشنوق أخو مدلج » . وقد عرف ولدها بالغياطل ، وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص[9] .

---

١ الاشتقاق (٢/٢٣٩) .
٢ الاشتقاق (٢/٢٣٧) .
٣ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزءالاول) ، (ص ٧) .
٤ معجم الشعراء (١٣٠) ، الشعر والشعراء (٢٢٣) .
٥ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ٩) .
٦ بلوغ الارب (٢/٢٨٣ وما بعدها) ، الاغاني (١٣/١٠٥) « ذكر خبر مضاض بن عمرو » ، الطبري (٢/٢٤٤) ، مروج الذهب (٢/١٧٥) . Reste, S. 137.
٧ مروج الذهب (٢/١٦٧ وما بعدها) .
٨ الروض الانف (١/١٣٨ وما بعدها) .
٩ الروض الانف (١/١٣٧ وما بعدها) .

ويقال أيضاً أن (سُعدى بنت كريز بن ربيعة) كانت قد تكهنت ، وهي خالة عثمان بن عفان [1] .

وكان لفاطمة بنت النعمان النجارية تابع من الجن ، وكان اذا جاءهـا اقتحم عليها في بيتها ، وقد أدركت مبعث الرسول [2] .

وكانت سوداء بنت زهرة بن كلاب ، كاهنة قريش . ويذكر أن والدهـا أعطاها لحافر قبور ليحفر لها قبراً في الحجون ، فيدفنها حيّة فيه . أي يئدها ، لأنها ولدت زرقاء شمياء ، وكانوا يئدون من البنات من كان على هذه الصفة ، غير أن حافر القبر عاد بها الى والدها ، لأنه لم يشأ دفنهـا في خبر يرويه أهـل الأخبار [3] .

وكان في (خثعم) كاهنة عرفت بفاطمة [4] .

ولاستشارة الناس هؤلاء الكهان في الأمور وطلبهم منهم الفصل فيهـا صارت كلمة (حكم) مرادفة لكلمة (كاهن) في بعض الأحايين . وقد روى الأخباريون أمثلة عديدة من حكم هؤلاء الكهان بين الناس وطريقة فصلهم في الأمـور ، فهم في هذه الحالة حكام يفصلون في القضايا التي يتفق الجانبان المتخاصمان فيها عـلى احالتها عليهم . ولم تكن لنفوذ أحكامهم مناطق وحدود . لقد كان حدود أحكامهم المدى الذي وصلت شهرة الكاهن اليه ، لذلك كان الناس يقصدون الكاهن مـن مناطق بعيدة في بعض الأحيان لشهرته الواسعة التي يتمتع بها بين الناس . وتتوقف هذه الشهرة بالطبع على مبلغ ذكاء ذلك الكاهن وقدرته في فهم طبيعة المتخاصمين أو السائلين ، ليتمكن من إصدار حكم معقول مقبول . وتكون أحكامهم قطعية ، على الطرفين اطاعتها والامتثال لها ، وليس لأحد أن يعترض عليها . ولذلك يأخذ الكاهن من الطرفين المتخاصمين قبل سماعه الشكوى عهداً بوجوب الامتثال لحكمه وعدم ردّه مهما كان نوع الحكم .

---

١ نهاية الارب (٣/١٢٦) ، (٣/١٣٠) ، (طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة) .

٢ الروض الانف (١/١٣٧) .

٣ الروض الانف (١/١٤١) .

٤ أنساب الاشراف (١/٧٩) .

العرّاف :

ويطلق بعض علماء اللغة على الكاهن (العرّاف) ، فهو عندهم مرادف للكاهن . غير ان من العلماء من يفرق بين الكلمتين ، ويرى بينهما فرقاً ، فالكاهن الـذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ، والعراف هو الذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكـان الضالّة ونحوهما ، أو الذي يزعم انه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله[1] . ومنهم من يذهب الى ان العراف من اختص بالإنباء عن الأحوال المستقبلة . أما الكاهن فهو الذي اختص بالإخبار عن الأحوال الماضية[2]. وقد فرّق بين الكاهن والعراف في حديث : « من أتى عرافاً أو كاهناً ... »[3] . وأطلق بعضهم العراف على من يدعي الغيب مطلقاً وفي ضمنهم المنجم والحازي[4] .

وذكر ان (العراف) الكاهن أو الطبيب أو المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب[5] . فللكلمة معان عديدة ، ولا تختص بمعنى واحد . وقد ذهب (المسعودي) الى ان العراف دون الكاهن[6] . ونجد هذه النظرة عند غيره أيضاً .

وخلاصة ما يفهم عن الكهانة والعرافة في روايات الأخباريين أن الكهانـة هي التنبؤ بواسطة تابع . وأن العرافة تكون بالملاحظات وبالاستنتاجات وبمراقبة الأشياء لاستنتاج أمور منها ، يخبر بها السائلون على سبيل التنبؤ . وهي على ما يظهر من تلك الروايات ، دون الكهانة في المنزلة ، ولم يكن للعرافين اتصال ببيوت العبادة والأصنام[7] ، ولم يكن لهم (رئي) أي (تابع) ، وإنما كانوا يستنبطون مـا يقولونه بذكائهم وعـلى القياس . فيأخذون بالمشابهة وبالارتباط بين الحوادث ، ويحكمون بما سيحدث بموجب ذلك[8] .

وقد عدّ العبرانيون العرافة من الحيل الشيطانية كالسحر والتفاؤل ، لأنهـا من

---

١ النهاية (٤/٤٣) .
٢ تاج العروس (٦/١٩٣) .
٣ النهاية (٣/٩٨) .
٤ تاج العروس (٦/١٩٣) .
٥ تاج العروس (٦/١٩٣) .
٦ مروج (٢/١٥٤) .
٧ (وأما العراف ، وهو دون الكاهن) ، الحيوان (٦/٢٠٤) .
٨ مفتاح السعادة (١١٣١ وما بعدها) .

رجس المشركين . وتشمل عندهم التنجيم والقرعة والزجر وما شاكل ذلك[1] . وقد نهي عنها في الإسلام .

وقد اعتمد العرّاف على الخط . فكان يخط خطوطاً ، ثم ينظر اليها. ليستنبط شيئاً منها ، يتنبأ به للناس . ومن مشاهيرهم (حليس الخطاط الأسدي) . وقد ذكر أنهم كانوا يخطون خطوطاً ، ثم ينظر العراف ويقول : « ابنا عيان،اسرعا البيان ، ثم يخبر بما يرى »[2] .

وتعتمد العرافة – كما تعتمد الكهانة – على الذكاء والتفرس في الأمور والتجارب. وقد خصصها أكثر الناس في الإسلام بالتوصل الى معرفة الأشياء المفقودة.والعراف مما عنده من الملكات والمواهب المذكورة ، يقضي ويتنبأ للناس فيما يراه ، ومن أشهر العرافين في الجاهلية : عرّاف اليمامة ، وهو (رباح بن كحلة) (رباح ابن عجلة) (رياح بن كحلة) المذكور في الشعر ، وعرّاف نجد وهو الأبلق الأسدي[3] . والأجلح الزهري ، وعروة بن زيد الأسدي[4] .

وفي عرّاف اليمامة ورد قول الشاعر :

فقلتُ لعرّاف اليمامة داوني فإنك ان داويتني لطبيب

والأبلق الأسدي ، هو عراف نجد ، وفيه يقول عروة بن حزام :

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه وعرّاف نجد إن هما شفياني[5]

وقد كان أهل الجاهلية يعرضون صبيانهم على (العرافين) لإخبارهم عن

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٩٣) .

٢ فأنتم عضاريط الخميس اذا غزوا غناؤكم تلك الاخاطبط في الترب
الحيوان (١/٦٣) .

٣ بلوغ الارب (٣/٣٠٦ وما بعدها) ، قال عمرو بن حزام العذري :
وقلت لعراف اليمامة داوني فانك ان أبرأتني لطبيب
فما بي من سقم ولا طيف جنة ولكن عمى الحميري كذوب
تاج العروس (٦/١٩٣) ، (فقلت) ، الحيوان (٦/٢٠٥) ، مروج الذهب (٢/١٥٤)، ثمار القلوب (٨١) .

٤ الحيوان (٦/٢٠٤) ، (الازدي) ، مروج (٢/١٥٤) ، (دار الاندلس) .

٥ مروج الذهب (٢/١٥٤) ، (العرافة وبعض العرافين) ، رسائل الجاحظ (١٣٠) ، مقدمة ابن خلدون (٩٤ وما بعدها) ، الحيوان (٦/٢٠٤) . (١/٦٣) .

مستقبلهم . وكانت الأسواق مثل سوق عكاظ موئلاً لهـم . فكان العراف فيها يرى به الناس صبيانهم ، ويقول عنهم ما يجول بخاطره ، وذلك بالتفرس في وجه الصبي ، ومقارنة ذلك بما حصل عليه من تجارب في هذا الباب[1] .

وفي اللغة العربية كلمة قديمة أخرى لها صلة بموضوعنا هذا ، هي (القيافة) . ويقصد بها التنبؤ والإخبار عن شيء بتتبع الأثر والشبه[2] . وتدخل في ذلك قيافة آثار الأقدام والأخفاف والحوافر للاستدلال منها على أصحابها ، وتعيين النسب في حالة الشك فيه . وما زالت القيافة معروفة عند العرب حتى الآن . وقد اشتهرت بها (بنو مُدلج) خاصة ، حتى قيل للقائف (مدلجي) بسبب هذا الاختصاص[3]، وبنو لهب[4] ، وأحياء مضر[5] .

ويرى (المسعودي) ان القيافة من الأمور التي برع بها العرب واختصوا بها، وصار لهم مران وخبرة بها ، وذكر ان ممن عرف واشتهر بها (محرز المدلجي)، وقد تعجب الرسول من قيافته وصدقه[6] .

وذكر أهل الأخبار ان (الحازر) ، هو من يحزر الأشياء ، وان (الحزارة) في معنى القيافة .

وأما (الفراسة) ، فتكون بالاستدلال بهيأة الانسان وأشكاله وأقواله على صفاته وطبائعه . وقد ذهب بعض المستشرقين الى أنهـا من الكلمات المعربة التي أخذت من (بني إرم) ، وانها أحدث عهداً من لفظة (القيافة) التي هي من الكلمات العربية الجاهلية[7] . وقد توسع في معناها وألف فيها الكتب في الإسلام وتبحر فيها بعض أئمة الفقهاء مثل الشافعي[8] .

وأما (العيافة) فهي التنبؤ بملاحظة حركات الطيور والحيوانات ودراسة أصواتها،

---

١ السيرة الحلبية (١/١١٤) .
٢ اللسان (١١/٢٠١ وما بعدها) ، مروج الذهب (٢/١٤٤) .
٣ المسطرف (٢/٨٢) ، Ency., II, p. 1048, Muh. Stud., I, S. 184.
٤ بلوغ الارب (٣/٢٦٢) .
٥ مروج (٢/١٤٩) .
٦ مروج الذهب (٢/١٥٠) .
٧ Ency., II, p. 108.
٨ النهاية (٣/٢٠٧ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٢٦٣ وما بعدها) ، نهايه الارب (٣/١٤٩) .

وقراءة بعض أحشائها ، ولذلك قيل في العبرانية للعائف (الشاق) ، لشقه الحيوانات والطيور لدراسة أحشائها واستخراج الخبر مما يراه عـلى تلك الأحشاء من ألياف يرى أن في أوضاعها معاني يذكرها للسائل على شكل نبوءة [1] . وكانت معروفة خاصة عند الكلدانيين .

وقد اشتهرت (بنو أسد) بالعيافة ، فقصدها الناس للأخذ منها ، حتى الجن سمعت بعيافتها ، وعجبت منها ، فجاءت اليها تمتحنها في هذا العلم [2] .

واشتهرت (بنو لِهْبٍ) بالعيافة كذلك ، ولهبٌ حي من الأزد . ومن هؤلاء (العائف اللهبي) ، (لهب بن أحجن بن كعب) ، وهو الذي تكهن بموت عمر بن الخطاب قبل وقوعه بعام [3] .

والزجر العيافة . وهو يزجر الطير يعافها . وأصله ان يرمي الطير بحصاة ويصيح ، فان ولاه في طيرانه ميامنه تفاءل به أو مياسره تطير . وهو ضرب من التكهن . وانما سمي الكاهن زاجراً ، لأنه اذا رأى ما يظن انه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة [4] .

وتطلق لفظـة (الحازي) على من يحزر الأشياء ويقدّرها بظنه ، فهي من الكلمات المستعملة في الكهانة ، ويطلق على من يشتغل بالنجوم اسم (حزّاء) ، لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره [5] . وأطلقت أيضاً على من يزجر الطير ، ولا سيما الغراب [6] .

---

١ تاج العروس (١/٢٠٧) ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٩) .

٢ « وبنو أسد يذكرون بالعبافة ويوصفون بها ، فيل عنهم ان قوما من الجن تذكروا عيافتهم ، فأتوهم ، فقالوا : ضلت لنا نافة ، فلو أرسلتم معنا من يعيف . فقالوا : لغليم منهم : انطلق معهم ، فاستردفه أحدهم ، ثم ساروا ، فلقيهم عقاب كاسرة احدى جناحيها ، فاقشعر الغلام وبكى ، فقالوا : مالك ؟ فقال : كسرت جناحا ورفعت جناحا ، وحلفت بالله صراحا ، ما أنت بانسي ولا تبغى لفاحـــا » ، تاج العروس (٦/٣٠٧) ، اللسان (١١/١٦٧ وما بعدها) .

٣ الروض الانف (١/١١٨ وما بعدها) . قال عبدالرحمن الخزاعي :

تيممت لهبا أبتغي العلم عندهم وقد رد عـــلم العائفـين الى لهب

تاج العروس (١/٤٧٥) ، (لهب) .

٤ تاج العروس (٣/٢٣٤) ، (زجر) .

٥ الروض الانف (١/١١٨ وما بعدها) .

٦ النهاية (١/٢٥٧) .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار الى (حازي) عرف واشتهر بين الجاهليين بـ (حازي جهينة)[1] .

الراقي :

ويقال لمن يعمل الرقية ويرقي : (الراقي) . والرقية العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة كالحمّى والصرع . قال عروة :

فما تركا من عوذة يعرفانها ولا رقية إلا بها رقياني[2]

ويقال لأجرة الراقي : (البسلة) و (بسلة الراقي) . و (البسل) الحلال ، والبسل أيضاً الحرام، فهو من الأضداد . وبسل الدعاء بمعنى آمين ، أي الاستجابة. وكان الرجل اذا دعا على صاحبه ، يقول : قطع الله مطاك . فيقول الآخر : بسلا بسلاً ، أي آمين آمين[3] .

الاستقسام بالأزلام :

ومن طرق التنبؤ الاستقسام بالأزلام ويقابل ذلك ما يقال له (كسيم) (كسم « Gasam » في العبرانية . وهي طريقة معروفة عند البابليين كذلك[4] . وعند غيرهم من الشعوب . وقد أشير في التوراة الى أن (نبو ختنصر) (بختنصر) (نبخد نصر) « Nebuchadnezzar » أجال السهام حين عزم على فتح (أورشليم) (القدس) . « فإن ملك بابل قد وقف عند أم الطريق في رأس الطريقين ليباشر عرافة . فأجال السهام وسأل الترافيم ونظر في الكبد »[5] . وقد خرج السهم الذي كتب عليه (أورشليم) ، فعمل به وهاجم القدس وفتحها[6] .

---

١ البيان والتبيين (١/٢٨٩) .
٢ تاج العروس (١٠/١٥٤) ، (رقى) .
٣ تاج العروس (٧/٢٢٧) ، (بسل) ، الروض الانف (١/٧٥) .
٤ Hastings, p. 567.
٥ حزقيال ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٢١ .
٦ Hastings, p. 567.

وتعني لفظة (كوسيم) « Gosem » و « Gesem » « Kosem » العرافة في العبرانية[1]. من أصل (كسم) (كيسم) (قيسم) وهو التكهن. وهو أصل (سامي). واليه تعود كلمة (الاستقسام)، لا الى (قسم) بمعنى تقسيم الشيء وتجزئته. وهو المعنى الذي ذهب اليه أكثر علماء اللغة. وقريب من معنى (قيسم) (كيسم) ما ذكره علماء اللغة من أن القِسْمَ هو الحظ والنصيب. فإن للحظ والنصيب علاقة وثيقة بالتكهن، لما فيه من معرفة المستقبل والوقوف عليه.

وقد عرف أهل الأخبار (الأزلام): انها السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. وعرفوا (الزلم)، انه السهم، وانه القدح المزلم[2]. وعرفوا القدح: انه السهم قبل ان ينصل ويراش. وان القدح: قدح السهم، وجمعه قِداح، وصانعه قدّاح[3]. وقد فسر بعض العلماء الأزلام بأحجار بيض تشبه أحجار الشطرنج، كما جعل بعض آخر تلك السهام في مقابل (الكعاب) التي يستعملها الروم والفرس في الاستخارة[4]. وذكر بعض آخر ان « الأزلام: سهام كانت لأهل الجاهلية مكتوب على بعضها: أمرني ربي، وعلى بعضها: نهاني ربي، فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً، ضرب تلك القداح، فإن خرج السهم الذي عليه أمرني ربي مضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض في أمره »[5]. وذكر ان الأزلام التي كانوا يستقسمون بها غير قداح الميسر، وانها قدّاح الأمر والنهي لا قداح الميسر[6]. وذكر ان أهل الجاهلية، كانوا اذا أرادوا ان يخرجوا في سفر، جعلوا قداحاً للجلوس والخروج، فإن وقع الخروج خرجوا، وإن وقع الجلوس جلسوا[7].

وطريقة الضرب بالقداح، ان الرجل منهم اذا أراد ان يخرج مسافراً، كتب في قدح هذا يأمرني بالمكث، وهذا يأمرني بالخروج، وجعل معها أزلاماً مسحة،

---

١ العدد، الاصحاح الثالث والعشرون، الآية ٢٣، صموئيل الاول، الاصحاح السادس، الآية ٢، اشعياء، الاصحاح الرابع والاربعون، الآية ٢٥.
٢ اللسان (١٢/٢٧٠).
٣ اللسان (٢/٥٥٦) (قدح)، تاج العروس (٢/٢٠٢)، (قدح).
٤ تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها)، روح المعاني (٦/٥٩ وما بعدها).
٥ اللسان (١٢/٤٧٨ وما بعدها)، (قسم)، (صادر).
٦ اللسان (١٢/٤٧٩)، (قسم)، تاج العروس (٦/٤١٧)، (قسم).
٧ تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها).

أي لم يكتب فيها شيئاً ، ثم استقسم بها حين يريد الخروج ، فإن خرج الذي يأمر بالمكث ، مكث ، وإن خرج الذي يأمر بالخروج خرج ، وإن خرج الآخر أي المسح ، أجالها ثانية حتى يخرج أحد القدحين[1] . وهكذا يفعلون في سائر أمور الاستقسام .

وقد جمع المفسرون ما تمكنوا من جمعه عما علق في أذهان الناس من الأزلام، لورود الإشارة اليهـا في موضعين من سورة (المائدة)[2] . وأورد علماء الحديث والأخبار ما وصل الى علمهم أيضاً عن (الاستقسام بالأزلام) . ويظهر مما ذكروه أن أهل الجاهلية كانوا يقيمون في أيامهم وزناً كبيراً للاستقسام بالأزلام لاعتقادهم أنه يحكي ارادة الأرباب ويتحدث عن مشيئتها . لذلك كانوا لا يفعلون فعلاً ولا يعملون عمـلاً إلا بعد أخذ رأيها بالاستقسام . فإن جاء أمر فعلوا ، وان جاء نهي امتنعوا .

وجاء في سورة المائدة : « وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق لكم »[3]، وذلك مع أمور نهى عنها الاسلام . منها تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذُكي ، وما ذبح على النصب . وجاء ذكر الأزلام في موضع آخر مع ذكر الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، حيث جعلت رجساً من عمل الشيطان ، لذلك ، على المسلم اجتنابها والابتعاد عنها[4] . فالاستقسام بالأزلام من الأمور التي نزل الأمر بالنهي عنها في الاسلام . وقد جاء الأمر بالنهي عنها في شريعة يهود كذلك إذ اعتبرت (رجساً) ، ومن أعمال الوثنيين[5] .

ويكون الاستقسام عند الأصنام في الغالب لاعتقادهم ان النتيجـة تمثل ارادة الصنم ومشيئته ، غير ان ذلك ليس بشرط ، فقـد كان أصحاب الأزلام يحملون أزلامهم معهم ، ويستقسمون حيث يطلب ذلك منهم . فهم في ذلك مثل أصحاب

---

١ تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها) .
٢ سورة المائدة ، الآية ٣، ٩٠ ، تفسير الطبري (٦/٤٩) ، روح المعاني (٦/٥٩ وما بعدها) ، الطبري (٢/٢٤٠) .
٣ الآية ٤ ، تفسير البيضاوي (١/١١٨) ، تفسير الطبرسي (٣/٢٣٨ وما بعدها) ، (٣/١٥٦ وما بعدها) .
٤ المائدة ، الآية ٩٣ ، تفسير البيضاوي (١/١٣٢) .
٥ Hastings, p. 567.

(الفأل) والقارئون للرمل والسحرة في الوقت الحاضر ، يتنقلون بين الناس عارضين فنهم عليهم في مقابل حلوان يقدم اليهم . وهذا النوع ، من أصحاب الأزلام ، هم من الطبقة المرتزقة على شاكلة هذه الجماعة المذكورة في هذه الأيام . وقد كان منهم من يستقسم لنفسه بنفسه ، وذلك بأن يستقسم بالأزلام التي عنده في بيته ، والتي قد يحملها معه ، تماماً كما يفعل أهل (الاستخارة) في الاستخارة بالمسبحة (السبحة) أو بوسائل الاستخارة الأخرى في الوقت الحاضر .

قال أهل الأخبار : « والأزلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي وافعَلْ ولا تفعل ، قد زُلمت وسويت ووضعت في الكعبة ، يقوم بها سدنة البيت ، فإذا أراد رجل سفراً أو نكاحاً أتى السادن فقال : اخرج لي زلماً ، فيخرجه وينظر اليه ، فاذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه ، وان خرج قدح النهي قعد عما أراده ، وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابه ، فاذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما »[1] .

و « قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الأمر فيه ولم يصح لهم أخذوا قداحاً لهم فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل ، نعم لا خير ، شر بطيء سريع ، فأما المداراة فإن قداحاً لهم فيها بيضاً ليس لهم فيها شيء ، فكانوا يجيلونها فمن خرج سهمه فالحق له ، وللحضر والسفر سهمان ، فيأتون السادن من سدنة الأوثان ، فيقول السادن : اللهم أيهما كان خيراً فاخرجه لفلان ، فيرضى بما يخرج له ، فإذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القدّاح وفيها : صريح ، وملصق ، فإن خرج الصريح ألحقوه بهم ، وان خرج الملصق نفوه ، وان كان صريحاً ، فهذه قدّاح الاستقسام »[2] . « وان كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه فالحق له »[3] .

وذكر ان أقداح (هُبل) سبعة ، وضعت قدّامه . فان أراد أحدهم سفراً أو عملاً أو تجارة أو زواجاً أو بتّاً في نسب مشكوك فيه أو دفع دية أو ان

---

١ اللسان (١٢/٢٧٠ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (٣/١١٧ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٢/٦) ، الدرالمنثور (١/٣١٩) .
٣ صبح الاعشى (١/٤٠٢) .

يخرجوا ماءً ، أتوا هُبَلَ ، ومعهم مائة درهم وبجزور فأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم ، وكانت أزلامهم سبعة قدّاح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها ، وهي مستوية في المقدار عليها أعلام وكتابة قد كتب عـلى واحد منها (أمرني ربي) وعلى واحد منها (نهاني ربي) وعلى واحد (منكم) وعلى واحد (من غيركم) وعلى واحد (ملصق) وعلى واحد (العقل) وواحد غفل ليس عليه شيء ، فاذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدوا له استقسم لهم صاحب القداح بقدحي الأمر والنهي ، فان نجح قدح الأمر ائتمروا وباشروا فيما تصدوا له من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك مما يتفق لهم ، وإن خرج قدح النهي أخروا ذلك العمل الى سنة فاذا انقضت أعادوا الاستقسام مرة أخرى .

ويروى ان السؤال إن كان يخص اقداماً أو احجاماً ، استعمل صاحب القداح قدحي (نعم) أو (لا) فاذا ظهر للمجيل قدح (نعم) عمل به ، ومضى الى ما قصد ، وإن جاء (لا) أي النهي توقفوا سنة . أما اذا كان نزاعاً في نسب أحد منهم ، استقسم بالأزلام الموسومة بـ (منكم) و (من غيركم) و (ملصق) ، فان ظهر (منكم) ، اعتبر المتنازع على نسبه منهم ، وإن خرج (من غيركم) اجتنبوه ونفروا منه ، وان ظهر (ملصق) ، بقي أمره على ما كان عليه قبل الاستقسام ، وأما اذا كان السؤال نزاعاً في (العقـل) : أي دية القتيل ، بأن اشتبه عليهم القاتل ، أحضروا من اتهم بالقتل بالقدحين الموسومين بـ (العقل) وبـ (الغفل) ، واستقسم بهما ، فمن خرج عليه العقل تحمّل الدية ، وإن خرج (الغفل) أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه[1] .

ولما أراد (أبو سفيان) الخروج الى (أحد) ، استخار هبل . بأن كتب على سهم نعم ، وعلى آخر لا ، وأجالها عند هبل ، فخرج سهم نعم ، فخرج بقومه الى (أحد) . وقال يقول : أعلُ هبل . وقال عمر : الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان : أنعمت فعال عنها ، أي اترك ذكرها ، فقد صدقت في فتواها ، وأنعمت ، أي أجابت بنعم[2] .

---

١ بلوغ الارب (٣/٦٦ وما بعدها) ، الاصنام (ص ٢٨) ، النهاية (٣/٢٦٨) ، تاج العروس (٨/٣٢٦) ، تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٢/٥٨٩) .

ولصاحب الأزلام وخازنها حق يتقاضاه من الطالبين في مقابل عمله . فكان سادن (هُبل) يتقاضى مئة درهم أجراً عن الاستقسام ، كما سبق ان ذكرت، فان تكرر ذلك زيد أجره على ما يذكره الرواة . وقد كان غير العرب يدفعون حلواناً الى صاحب الأزلام ليتنبأ لهم . فلما انطلق (شيوخ مديان) (مدين) و (مؤآب) الى (بلعام) ليستقسم لهم ، حملوا حلوانهم معه ، فقدموه اليه مقابل ما قام به من عرافة اليهم[1] .

وقيل للذين يضربون بالقداح (الضرباء)[2] . والواحد الضريب والضارب . وهو الموكل بالقداح ، وقيل الذي يضرب بالقداح . يقال هو ضريب قداحٍ[3] .

وقد أشير الى الاستقسام في شعر الشعراء الجاهليين ، وقد ذكرت في قصة الشاعر (امرىء القيس) الكندي حينما جاء الى الصنم (ذي الخلصة)، ليستقسم عنده بشأن الأخذ بثأر أبيه . فلما خرج النهي عنه ثلاث مرات ، غضب على صنمه ، وكسر الأزلام ورماها في وجهه ، كما يقول الرواة قائلاً : « لو كان أبوك المقتول لما نهيتني» ، وأنشد :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا لم تنه عن قتل العداة زورا

وأشار الحطيئة الى ذلك بقوله :

لم يزجر الطير،إن مرت به سنحاً ولا يفيض على قسمٍ بأزلام[4]

وقال طرفة :

أخذ الأزلام مقتسماً فأتى أغواهما زلمه[5]

وهناك طرق عدة عرفت عند الشعوب القديمة في التكهن بالسهام ، ومنها رمي السهام في الهواء لمراقبة حركاتها وكيفية سقوطها ، ومنها رمي حزمة من السهام أمام الصنم ، فالسهم الأول الذي يقع قبل بقية الأزلام ، يكون هو السهم الذي

---

١ العدد ، الاصحاح الثاني والعسرين ، (الآية ٧ وما بعدها) ، Hastings, p. 567.
٢ الاشتقاق (٢٧٨) .
٣ اللسان (١/٥٤٧ وما بعدها) .
٤ اللسان (١٢/٢٧٠) ، الاصنام (٤٧) ، نهاية الارب (٣/٦٧) .
٥ اللسان (٢/٢٧٠) .

أمر به الصنم في زعمهم ، فيعمل بموجب ما كتب عليه[1] .

ولخّص (الألوسي) الأزلام التي كانت عند العرب على ثلاثة أنحاء : أحدها: قداح الميسر العشرة ، وثانيها : لكـــل أحد ، وهي ثلاثة على أحدها مكتوب (افعل) ، أي أمر ، وعلى الثاني (لا تفعل) وعلى الثالث (غفل) . فاذا أراد أحدهم الأمر جعلها في خريطة ، وهي (الربابة) وأدخل يده فيها وأخرج واحداً ، فان طلع الآمر فعل أو الناهي ترك أو الغفل أعاد . وثالثها : للأحكام وهي التي عند الكعبة . وكانوا يتحاكمون عند (هبل) في جوف الكعبة . وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك . وكانت سبعة مكتوب عليها ما سبق[2] .

و (القُرعة) أي (السهمة) ، نوع من أنواع التنبؤ بالغيب التابعة للاستقسام بالأزلام . و (السهمة) هي رضاء بحكم (السهم) ، أي بحكم وقوع السهام على الأشياء . وهي جواب فصل يمثل ارادة الآلهة للسائل أو للمختصمين في أمر من الأمور . وقد قيل للسهم: الحظ والنصيب[3] ، لأنه يتكلم عن حظ الانسان ونصيبه .

والتنبؤ بالتفرس في الأشباح الـــتي تظهر على الماء ، أو الزيت المصبوب في الأقداح ، أو الحركات التي تظهر على سطح السائل بعد رمي شيء فيه ، لمعرفة الأسرار والمغيبات والاجرام كالسرقات والقتل ، والزنى ، ودراسة سطح المرآة : هذه وأمثالها كانت معروفة عند البابليين والعبرانيين ، وعند غيرهم من الشعوب. وعقيدتهم أن الأرواح هي التي ترشد الى اظهار المخفيات ، وان هنـاك مأمورين من بينهم واجبهم اخبار العراف والعائف والكاهن بما يطلب منهم معرفتـه ليقوله للسائل[4] .

ومن ضروب التنبؤ (الطرقُ) ، وهو الضرب بالحصى للكشف عن المستقبل، يقوم بذلك الرجال والنساء . ويقال للقائمين بذلك الطُرّاق والطوارق[5] . وورد ان الطرق : الضرب بالحصى والخط في التراب ، وهمـا ضربان من التكهن . وقيل أيضاً : الطرق : أن يخـــط الرجل في الأرض بإصبعين ثم باصبع ، ويقول :

---

١ Hastings, p. 567.
٢ بلوغ الارب (٣/٦٧ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (٨/٣٥٢) ، « سهم » .
٤ Ency. Religi., 4, p. 807.
٥ النهاية (٣/٤٠) .

ابني عيان اسرعا البيان،وزعم بعضهم أن الطرق ان يخلط الكاهن القطن بالصوف فيتكهن . وقد نهي عنه في الإسلام . ورد في الحديث:انه قال : الطرق والعيافة من الجبت[1] .

ويدخل في ضروب التنبؤ (الخط) « وهو الذي يخطه الحازي . يأتي صاحب الحاجة الى الحازي فيعطيه حلواناً ، فيقول له : اقعد حتى أخط لك ، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل ، ثم يأتي الى أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين،وغلامه يقول للتفاؤل : « ابني عيان ، أسرعا البيان » ، فان بقي خطان فهما علامة النجح ، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة ... وقيل : الخط هو ان يخط ثلاثة خطوط ، ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى ، ويقول : يكون كذا وكذا . وهو ضرب من الكهانة »[2] . وكانت العرب تسمي ذلك الخط الذي يبقى من خطوط الحازي الأسحم . وكان هذا الخط عندهم مشؤوماً . وقد كان الخط من علوم العرب القديمة[3] .

وعلم الخط هو علم الرمل . وينسب الى (ابن عباس) قوله : علم قديم تركه الناس . وخط الزاجر في الأرض ، رسم خطاً باصبعه ، ثم زجر . وذكر ان (الخطيطة) الرملة التي يخط عليها الزاجر ، وان الأسحم اسم خط من خطوط الزاجر ، وهو علامة الخيبة عندهم . وذلك ان يأتي الى أرض رخوة وله غلام معه ميل ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة على عجل لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها خطين خطين ، فان بقي من الخطوط خطان ، فهما علامة النجح وقضاء الحاجة ، ويمحو وغلامه يقول للتفاؤل : ابني عيان أسرعا البيان ، واذا محا الخطوط ، فبقي منها خط ، فهي علامة الخيبة[4] .

---

١ اللسان (١٠/٢١٥) ، (طرق) ، تاج العروس (٦/٤١٧) ، (طرق) ، لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولازاجرات الطير ما الله صانع
النهاية (٣/٤٠) ، اللسان (١٧/٨٤) ، سنن أبي داوود (٤/١٦) .

٢ النهاية (١/٣٠٣ ، ٣٣٨) « خطط » ، (٣/٤٠) « طرق » ، تاج العروس (٦/٤١٧) ، اللسان (١٧/٨٥) .

٣ اللسان (٧/٢٨٧ وما بعدها) ، (خطط) .

٤ تاج العروس (٥/١٣١) ، (خطط) .

الأحلام :

والأحلام (Dreams) و (الرؤيا) (Visions) باب من أبواب الكهانة كذلك، فهي تفسير لما سيقع في المستقبل من حوادث . وقد تخصص بذلك أناس تعاطوا تعبير الرؤيا والأحلام . وإذ كان اعتقاد الشعوب القديمة ان الأحلام حقيقة ، لا كما نتصورها نحن ، كان الاهتمام بها كبيراً ، والاعتناء بها شديداً ولا يزال يخصها كثير من الناس بالعناية .

وقد فسرت بعض الشعوب القديمة الأحلام بأنها الآلهة أو الأرواح تتجلى في الإنسان في أثناء منامه ، فتطلعه على أشياء كثيرة تتعلق بحياته ومصيره ، وتساعده بذلك على حلّ مشكلات عديدة عويصة لديه ، أو تهديه الى أمور لم يكن يعرف عنها شيئاً ، أو تحذره بقرب حلول كارثة أو خطر به أو بغيره ، أو بحصول خير له أو لغيره . وقد ترجع به الى أيام ماضية وحوادث قديمة سالفة كان قد نسيها وذهبت من ذاكرته . ونجد في المؤلفات اليونانية واللاتينية والسريانية وفي الكتابات الهيروغليفية والمسمارية أشياء عديدة من القصص المتعلق بالأحلام . وفيها أن كثيراً من الملوك والخاصة كانوا يقيمون وزناً عظيماً لما يرونه ، أو يراه الناس من أحلام . وقد نجح كثير منهم كما خسر كثير منهم أيضاً بسبب تأثير الأحلام فيهم ، حتى إن بعضهم اتخذ له مفسراً للأحلام أو جملة مفسرين ، ليكونوا في خدمته حتى اذا ما رأى حلماً فسروه له .

ولما كانت بعض الأحلام مزعجة ، رجع الكهان المتخصصون بالأحلام أسبابها الى فعل الأرواح الشريرة . أما الأحلام المريحة الطيبة ، فقد جعلوها من إلهام الآلهة في الانسان . ولأهمية الاعتقاد بالأحلام ، وضعت قواعد وتعاليم للأشخاص الذين يريدون معرفة مستقبلهم بالرؤيا والأحلام . وقد نصح في بعضها باجتناب الأكل الثقيل ، وبشرب بعض الأشربة المعينة وبالنوم في المعابد ، للحصول على الرؤيا الصادقة ، والابتعاد عن أضغاث الأحلام . وضع تلك القواعد أناس تخصصوا بهذا الفن ، يلجأ اليهم من يرى حلماً ليجد تفسيره عندهم . فلكل شيء في الرؤيا والحلم معنى خاص ، لا يمكن ان يعرفه إلا ذوو الخبرة والعلم[1] .

وقد عثر على كتابة لحيانية في موضع (الخريبة) ، تبين منها وجود صنم في معبد هذا الموضع تخصص بتفسير الأحلام[2] .

---

١ مقدمة ابن خلدون (١/١٠٣) .

٢ Jaussen — Savignac, Mission, II, p. 417, Euting 825, Arabien, S. 89.

وفي كتب التفسير والسير والأخبار والأدب أمثلة عديدة من الرؤيا ، تشير الى ان الاعتقاد بالأحلام كان معروفاً عند الجاهليين ، وان أثره كان عميقاً في حياتهم. وقد يكون لأهل الكتاب أثر عليهم في كيفية تفسير الأحلام وتوجيه تعبير الرؤيا، غير ان الاعتقاد بالأحلام هو اعتقاد عام ، وكان يقوم به متخصصون بتفسير الأحلام . وقد عرف في الاسلام واشتهر به (ابن سيرين)[1] .

وقد عرف بعض العلماء الاسلاميين الحلم بأنه عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء المزعجة ، وخصصوا الرؤيا بما يراه الانسان في منامه من الخير والشيء الحسن[2] . وهم بذلك على طريقة القدماء في جعل الأحلام نوعين : أحلام من فعل الشيطان والأرواح الخبيثة ، وأحلام من إلهام الآلهة في الانسان ، وهي التي تنكشف من رؤية أشياء جميلة وعن أشياء يرغب صاحب الحلم في الحصول عليها وتحقيقها.

ويرجع العلماء الرؤيا الى النفس ، تطلع على الواقعات فتتذكرها ، وتوحي بها الى صاحبها . وهم يعتقدون بها ، وجعلوها جزءاً من النبوة[3] .

---

١ (كتاب التعبير) ، عمدة القارىء (١٢٦/٢٤) ، الفهرست (٤٣٩) . (الكتب المؤلفه في تعبير الرؤيا) .

٢ النهاية (٢٨٩/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٥٥/٨) ، (حلم) .

٣ مقدمة ابن خلدون (١٠٢/١ وما بعدها) .

الفصل السادس والثمانون

الطيرة

وقد كان للطيرة شأن كبير في حياة الجاهليين. وهي معروفة عند جميع الشعوب، ويقال لها في العبرانية : طيّر « Tayyar » ، فهي من نفس الأصل الذي أخذ العرب منه التسمية [1] . ويقال لها في الانكليزية « Augury » ، ويرى بعض الباحثين أن الطيرة انتقلت الى العبرانيين من العرب [2] . وهناك نوع آخر من التطير يقال له « Haruspicy » في الانكليزية ، ويقصد به الطيرة من الحيوانات الميتة ، أو مراقبة الحيوان في أثناء ذبحه لمعرفة المستقبل من حركاته وهو يرتجف رجفة الموت [3] .

ويقول علماء الأخبار . إن الطيرة من زجر الطيور ومراقبة حركاتها ، فإن تيامنت دل تيامنها على فأل . وان تياسرت دل على شؤم [4] . فهي اذن تشمل التيمن والتشاؤم . إلا أنها خصصت بالتشاؤم فيما بعد . فصارت تعني هذا المعنى عند الاستعمال . قال (الجاحظ) : « وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير ، إذا مرّ بارحاً أو سانحاً ، أو رآه يتفلى وينتف ، حتى صاروا

---

١ Ency. Religi., 4, p. 807.

٢ Ency. Religi., 4, p. 778, 807, Hastings, p. 568.

٣ Ency. Religi., 4, p. 778.

٤ اللسان (٤/٥١٢ وما بعدها) ، مفردات ، للاصفهاني (٣١٢) ، صبح الاعشى (١/٣٩٩)

اذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم ، أو الأعضب أو الأبتر ، زجروا عند ذلك وتطيروا ، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطير هو الأصل ، ومنه اشتقوا التطيّر ، ثم استعملوا ذلك في كل شيء »[1].

قال أحدهم :

عوى الذئب فاستأنستُ للذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

كأن الذي يرى ما يكره أو يسمع يطير .

وقد عد العلماء الطيرة والزجر في معنى واحد ، لأن أصلهما انهم كانوا اذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير ، ثم يحكمون من حركاته على ما سيحدث ويقع ، فالزجر والطيرة من ثم شيء واحد[2] . وقد قيل لمن يزجر الطير (زاجر) « لأنه اذا رأى ما يظن انه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة »[3] .

والطيور هي مادة التطير ، وذلك بمراقبة حركاتها وسكناتها . وهو ما يقال له في العبرانية : (نيحوش) (نحوش) « Nihush » من أصل (نيحيش) (نحش) . وتقابل لفظة (نحش) كلمة (حنش) في العربية وتعني (الثعبان) . وقد ذهب بعض علماء التوراة ان لكلمة (نحش) ، صلة بالثعبان ، ذلك لأن الثعبان كان من الآلهة القديمة ، بينما يرى بعض آخر عدم وجود صلة ما للثعبان بهذا الموضوع ، لأن العبرانيين لم يتعبدوا البتة للثعابين ، فلا صلة للثعبان به[4] .

ويدخل في باب الزجر ، زجر الطير والوحش . ويذكر بعض العلماء ان الأصل في الطيرة ، هو زجر الطير ، ثم صار في الوحش ، وقد يجوز ان يغلب أحد الشيئين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً[5] .

وقد يراد بالطيرة (التشاؤم) الذي هو خلاف التيامن . غير أن (التشاؤم)

---

١ الحيوان (١/٤٣٨) ، (هارون) . العمده (٢/٢٥٩ وما بعدها) .
٢ صبح الاعسى (١/٣٩٩) .
٣ تاج العروس (٣/٣٦٤) ، اللسان (٥/٤٠٧) ، (طير) .
٤ Ency. Religi., 4, p. 807, Hastings, p. 568.
٥ العمدة (٢/٢٦٠) .

هو في الواقع أوسع مجالاً وأكثر ساحة من الطيرة ، لأن التشاؤم طيرة وزيادة ، وأعني بالزيادة تشاؤم المتشائمين من أمور أخرى كثيرة مثل التشاؤم من ذوي العاهات أو القبح من البشر ، والتشاؤم من سماع الكلام السيء أو الأخبار السيئة عند الصباح أو من رؤية ميت أو سماع نياحة أو مشاهدة مخلوق مشوه أو سماع اسم موضع يدعو التشاؤم أو اسم شخص فيه معنى التشاؤم وأمثال ذلك ، فتكون كل هذه الأمور مدعاة للتشاؤم عند المتشائمين . « حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم ، أو الأعضب أو الأبتر ، زجروا عند ذلك وتطيروا عندها كما تطيروا من الطير اذا رأوها على تلك الحال »[1] .

ويقول علماء اللغة : الشؤم : خلاف اليمن . ورجل مشؤوم على قومه[2] . وأصل ذلك هو أن العرب تتفاءل بالجهة اليمنى ، وتتشاءم من الجهة اليسرى ، ولذلك كانت إذا أرادت أن تعمل عملاً عمدت الى (الزجر) وهو رمي الطير بحصاة ، ثم يصيح الرامي ، ليفزعها ويزجرها ، وعندئذ يراقب حركة طيرانها، فإن تيامنت أي جرت يمنة تفاءل به ، وان تشاءمت أي تياسرت ، تشاءم به . فالتيمن هو بالتيامن والتشاؤم هو بالتياسر . ولذلك قيل للكاهن (زاجر) أيضاً، « لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة »[3] . ولاعتماد الزاجر على الطيور في الغالب في هذا النوع من التكهن قيل له : (الطيرة) . قال علماء اللغة : « وقيل للشؤم طائر وطير وطيرة ، لأن العرب كان من شأنها عيافة الطير وزجرها والتطير ببارحها ونعيب غرابها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها . فسمّوا الشؤم طيراً وطائراً وطيرة لتشاؤمهم بها »[4] .

ولا بد ان يكون للتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد ، فقد كان من المتعارف عليه عند كثير من الشعوب القديمة ان بعض فصائل الطيور هي أرواح الموتى بعد مفارقتها الأجساد ، وانها لذلك تعي وتفهم، وان في استطاعة بعض الناس فهم منطقها وتكليمها . ومن هنا ظهرت فكرة

---

١ الحيوان ، للجاحظ (٣/٤٣٨) « تحقيق محمد عبدالسلام هارون » .
٢ اللسان (١٢/٣١٤) .
٣ تاج العروس (٣/٣٦٤) ، اللسان (٥/٤٠٧) ، (١٢/٣١٤) « شأم » .
٤ تاج العروس (٣/٣٦٤) ، (طير) .

(منطق الطير) . وقد كان (سليمان) يحادث الطير[1] . فاذا كانت الطير على هذه الصفة ، ففي حركاتها وسكناتها منطق لمن لا يحسن منطقها ، يشير الى ما يجب على الانسان ان يفعله أو يتركه من أعمال .

وقد كان للتطير والتفاؤل شأن كبير في حياة الجاهليين . كما كان لهما مثله في حياة شعوب أخرى عديدة : ومن بينهم اليونان والرومان والفرس . والتطير هو نظير التشاؤم في المعنى كما قلت . أما نظير التفاؤل ، فهو التيامن . وفي روايات أهل الأخبار أمثلة عديدة من أمثلة الطيرة وقعت لبعض القبائل عند إقدامها على الحرب ، فخسرت لتطيرها . ويحدث من التطير النحس ، وأما من التفاؤل فيكون السعد .

وفي الأخبار : « كانت العرب اذا خرج أحدهم من بيته غاديـاً في بعض الحاجة ، نظر : هل يرى طائراً يطير ، فيزجر سنوحه أو بروحه ، فاذا لم ير ذلك ، عمد الى الطير الواقع على الشجر ، فحرّكه ليطير ، ثم نظر الى أي جهة يأخذ ، فزجره . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « اقروا الطير على مكناتها : لا تطيروها ولا تزجروها »[2] . وذكر « انهم كانوا في الجاهلية اذا خرج أحدهم لحاجة ، فان رأي الطير طار عن يمينه تيمن بـه واستمر ، وإن طار عن يساره تشاءم به ورجع ، وربما كانوا يهيجون الطير ، ليطير فيعيدون ذلك »[3] .

وقد أبطل الرسول الطيرة . « وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يتفـاءل ولا يتطير . وأصل الفأل الكلمة الحسنة يسمعها عليل ، فيتأول منها ما يدل على برئه ، كأن سمع منادياً نادى رجلاً اسمه سالم ، وهو عليل ، فأوهمه سلامته من علته ، وكذلك المضل يسمع رجلاً يقول يا واجد ، فيجد ضالته . والطيرة مضادة للفأل . وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد . فأثبت النبي الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها »[4] .

وروي أن أهل الجاهلية كانوا يقولون : « إن الطيرة في المرأة والدار والدابة »[5]

---

١ Ency. Religi., 4, p. 808

٢ جامع الأصول (٨/٤٥٨) .

٣ ارشاد الساري (٨/٣٩٦) .

٤ تاج العروس (٣/٣٦٤ وما بعدها) .

٥ أمالي المرتضى (٢/٢٠٢) .

و (الكدس) التطير ، و (الكدسة) عطسة البهائم ، وقد تستعمل للإنسان : ومنه الحديث : اذا بصق أحدكم في الصلاة ، فليبصق عن يساره أو تحت رجله، فإن غلبته كدسة أو سعلة ففي ثوبه . والكادس ما يتطير به من الفال والعطاس وغيرهما . ومنه قيل للظبي وغيره إذا نزل من الجبل وغيره كادس[1] .

ومن الألفاظ المستعملة في (الزجر) (سنح) و (برح) . وللفظة (برح) معان عديدة ، وهي من الكلمات السامية الواردة والباقية في عدد من لهجاتها . ومنها لفظة (البارح) وهي ضد (السانح) . و « السانح ما مرّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك ، والعرب تتيمن بـه ، لانه أمكن للرمي والصيد . والبارح ما مرّ من يمينك الى يسارك،والعرب تتطير به ، لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف »[2] .

وقد ذكر بعض اللغويين عكس المعنى ، كما ذكر أن أهل نجد كانوا يتشاءمون بالبوارح ويتيمنون بالسانح . أما غيرهم من العرب ، فقد كانت تتيمن بالبارح، وأن بعضاً منهم لم يكن له رأى في شيء من هذا[3] . وذكر ان أهل (العالية) يتشاءمون بالسانح ويتيمنون بالبارح[4] .

قال ذو الرمة وهو من نجد :

خليلي ، لا لاقيتما مـا حييتما من الطير إلا السانحات وأسوأا

وقال النابغة ، وهو نجدي أيضاً ، يتشاءم بالبارح :

رعم لا لاقيتما البوارح ان رحلتنا غداً وبذاك تَنْعاب الغراب الأسود

وقد عبر (كثير)عن رأي أهل الحجاز بقوله :

أقول إذا ما الطير مرت مخيفة سوانحها تجري ولا استثيرها[5]

وذكر أن هذيلاً كانت تتشاءم بالسنيح . أما غيرها،فكانت تتشاءم بالبارح[6] .

---

١ تاج العروس (٤/٢٣٠) ، (كدس) .
٢ النهاية (١/٨٥) ، المعاني الكبير (٣/١١٨٧) .
٣ الاغاني (٩/١٥٧) « أخبار النابغة ونسبه » ، Reste, S. 202.
٤ العمدة (٢/٢٦٣) .
٥ البرقوقي (ص ١٩ وما بعدها).
٦ المعاني (٣/١١٨٦) .

ويقال للمتطيرين من الرجال (الخثارم)[1] .

وذكر ان (بني لهب) ، « هم أعيف العرب وأزجرهم للطير »[2] . وهم بطن من العرب يعرفون بالعيافة . ولأهل الأخبار قصص عن عيافتهم وعن زجرهم للطير[3] .

ومن الطيور التي تطير منها أهل الجاهلية : الغراب وطيور الليل ، وهي البومة ، والصدى ، والهامة ، والضوع ، والوطواط ، والخفاش ، وغراب الليل[4] .

وقاعدتهم في الطيرة ، انهم يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينون ويسمعون . من ذلك قول سوّار بن المضرب :

تغنّى الطائران ببين ليلى على غصنين من غَرْب وبان
فكان البان أن بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غيرُ دانِ

فاشتق الاغتراب من الغرب ، والبينونة من البان .

وقال عنترة :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع
حرِق الجناح كأن لحْيَيْ رأسه جلمان بالأخبار هُش مُولع
فزجرته ألا يفرخ بيضه أبداً ويصبح خائفاً يتفجع
إن الذين نَعَبْتَ لي بفراقهم هم أسهروا ليلى التمام فأوجعوا

فقال : وجرى بينهم الغراب ، لأنه غريب ، ولأنه غراب البين ، ولأنه أبقع . ثم قال : حرق الجناح تطيراً أيضاً من ذلك . ثم جعل لحيي رأسه جلمين ، والجلم يقطع . وجعله بالأخبار هشاً مولعاً ، وجعل نعيبه وشحيجه كالخبر المفهوم[5] .

وأشأم الطيور عند الجاهليين ، (الغراب) : « ليس في الأرض شيء يتشاءم

---

١ المعاني (١١٨٧/٣) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٨٨) ، صبح الأعسى (٣٣٩/١ وما بعدها) .
٣ صبح الأعشى (٣٩٩/١ وما بعدها) .
٤ الحيوان (٢٩٨/٢) ، (هارون) .
٥ الحيوان (٤٤٢/٣ وما بعدها) ، (هارون) .

به إلاّ والغراب أشأم منه »[1] ، ولذلك قالوا إذا نعب : خيراً خيراً ، وذلك من باب التفاؤل بالأضداد[2] . « والعامة تتطير من الغراب ، إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنى ، تفاءلت به » ، « واذا صاح الغراب مرتين ، فهو شرّ ، واذا صاح ثلاث مرات ، فهو خير »[3] . وورد (غراب البين) و (الغراب الأبقع) و (الغراب الأسود)[4] . ويراد بذلك التشاؤم بفراق الأحبة ، ويقال للغراب الأسود (حاتم) ، والحتمة السواد ، وهو مشؤوم ، لأنه يحتم بالفراق[5] . « والعرب تتشاءم من الغراب،ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب »[6]. « فالغراب أكثر من جميع ما يتطير به في باب الشؤم ، ألا تراهم كلما ذكروا ما يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟ وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ، ثم إذا ذكروا كل واحد من هذا الباب لم يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجه واحد ، والغراب كثير المعاني في هذا الباب ، فهو المقدم في الشؤم»[7]. وروي أن (ابن عباس) كان إذا صاح الغراب ، قال : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إلـه غيرك . قال الجاحظ : « وليس في الأرض بارح ولا نطيح ، ولا قعيد ، ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه ، يرون أن صياحه أكثر أخباراً ، وان الزجر فيه أعم. قال عنترة :

---

١ تاج العروس (١/٤٠٧) ، « عزب » ، قال رؤبة :
فازجر من الطير الغراب الغاربا
اللسان (٢/٤٣٨) ، الحيوان للجاحظ (٢/٣١٦) .

٢ الحيوان للجاحظ (٣/٤٥٧ ، ٤٥٨) « طبعة عبد السلام محمد هارون » .

٣ الحيوان ، للجاحظ (٣/٤٥٧ وما بعدها) ، حياة الحيوان ، للدميري (٢/٢٥٥) .

٤ قال عنترة :
ظعن الذين فراقهم أتوفع وجرى بينهم الغراب الأبقع
خرق الجناح كأن لجي رأسه جلمان بالاخبار هش مولع
اللسان (١٦/٢١٠) ، القاموس (٤/٢٠٤) ، « غراب البين » ، الحيوان للجاحظ (٣/٤٣١) ، البيان والتبيين (١/٨٣) « لجنة » ، قال النابغة :
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود
الحيوان ، للجاحظ (٣/٤٤٢) .

٥ اذا ما رأت عبس من الطير جاثما شديد سواد الزف ظلت تفزع
الاسنقاق (٢/١٦٦) ، اللسان (١٥/٣) ، الحيوان للجاحظ (٣/٤٣٦) ، (هارون) ، بلوغ الارب (٢/٣٣٨ وما بعدها) .

٦ الحيوان للجاحظ (٢/٣١٦) ، حياة الحيوان ، للدميري (٢/١٩٠) .

٧ الحيوان للجاحظ (٢/٣١٦) ، حياة الحيوان (٢/٢٤٤) .

حَرِق الجناح كأنّ لحيي رأسه جلمان ، بالأخبار هش مولع[1]

وفي الغراب وشؤمه يقول الأعشى :

ما تعيف اليوم في الطير الروح من غراب البين أو تيس برح[2]

وقد كنوا عنه بكنى عديدة ، دلالة على مقدار اهتمامهم به . فقالوا له : أبو حاتم ، وأبو جحادف ، وأبو الجراح ، وأبو المرقال ، وأبو حذر ، وأبو زيدان ، وأبو زاجر ، وأبو الشؤم ، وأبو غياث . ووضعوا الأمثلة على لسانه وعنه . وقصوا عنه الحكايات . من ذلك ، انه أراد ان يقلد القطاة في مشيها ، فحاكاها ، لكنه لم يفلح في المشي مشيها ، فلما أراد العود الى مشيته الأولى ، أضل مشيته ، إذ نسيها ، فنسي المشيتين : فلذلك سمّوه : أبا المرقال[3]. وضربوا المثل بالغراب الأعصم ، فقالوا : أعز من الغراب الأعصم،للشيء القليل الوجود[4]. وأوردوا له قصصاً مع الديك ومع حيوانات أخرى . ورموه بالفسق والفجور[5] .

وفي الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين اشارات الى شؤم الغراب . جاء في شعر (حسان بن ثابت) :

وبيّن في صوت الغراب اغترابهم عشيةَ أو في غصن بان فطربا

فصوت الغراب ، يشير الى الغربة والاغتراب ، لذلك كره[6] .

وهو من ألأم الطير وأخبثها ، وهو من عبيد الطير ، وليس من أحرارها ، فهو دنيء النفس ، إذا صادفته جيفة ، نال منها ، وهو لا يتعاطى الصيد . فهو حيوان خبيث الفعل وخبيث المطعم ، لذلك عدّ العرب أكله عاراً يعير من يقدم

---

١ الحيوان (٢/٣١٦) ، (هارون) .
٢ العمدة (٢/٢٦٠) ، تاج العروس (٦/٢٠٧) ، (عاف) ، اللسان (٩/٢٦١) ، (عيف) .
٣ الحيوان ، للجاحظ (٣/١٢٩) ، حياة الحيوان ، للدميري (٢/١٧٢) .
٤ حياة الحيوان (٢/١٧٣) .
٥ الحيوان (٣/١٣١) ، حياة الحيوان (٢/٢٧٣ وما بعدها) ، (٣/٣١٧) ، (هارون) ، (فسق الغراب وتأويل رؤياه) .
٦ البرقوقي (ص ١٩) ، بلوغ الارب (٢/٣٣٤ وما بعدها) .

عليه . وكانوا يتعايرون بأكل لحمه[1] . وليس ذلك ، لأنه يأكل اللحوم ولأنه سبع » ، لو كان ذلك منهم « لكانت الضواري والجوارح أحق بذلك عندهم»[2] إنما امتنعوا عن أكله ، لأنه يأكل الجيف والقاذورات ، ولذلك عدّه العبرانيون من الحيوانات النجسة ، والحيوانات النجسة،هي في الغالب الحيوانات التي لا يجوز أكل لحومها ، والظاهر أنه كان على هذه النظرة عند أغلب الساميين .

ونعت الغراب بـ (الأعور) ، قيل إنه نعت بذلك لحدة نظره[3] ، وقيل إنما سمّوه (الأعور) تفاؤلاً بالسلامة[4] . ووصف بالحذر ، فقيل : أحذر من غراب ، وقيل انه نعت بذلك على التشاؤم به ، لأن الأعور عندهم مشؤوم ، وقيل لخلاف حاله ، لأنهم يقولون : أبصر من غراب ، ويقال سمي الغراب أعور ، لأنه إذا أراد أن يصيح يغمض عينيه[5] .

ويذكر أهل الأخبار ان غراب البين نوعان : أحدهما صغار معروفة بالضعف واللؤم . أما الآخر ، فانه ينزل في دور الناس ، ويقع على مواضع اقامتهم اذا ارتحلوا عنها وبانوا منها ، ولذلك سمي بغراب البين[6] .

وللعرب عادات بالنسبة الى الغراب ، ترى انه اذا علق منقار الغراب على انسان ، حفظ من العين . أما اذا علق طحاله على انسان ، هيج الشبق. وان دمه اذا جفف وحشي به البواسير ، أبرأها . واذا أكل مشوياً ، نفع القولنج . واذا غمس الغراب الأسود بريشه في الخل ، وطُلي به الشعر ، سوّده . واذا طلي بها انسان مسحور ، بطل عنه السحر . واذا جفف لسان الغراب (الزاغ) ، ثم أكله انسان عطشان ، ذهب عطشه[7] .

---

١ فما بالعار ما عيرتمونا شواء الناهضات مع الخبيص
فما لحم الغراب لنا بزاد ولا سرطان أنهار البريص
الحيوان ، للجاحظ (٢/٣١٤ وما بعدها) ، (٢/٣١٣) ، (هارون) ، (لؤم الغراب وضعفه) .

٢ الحيوان للجاحظ (٢/٣١٧) ، (التعاير بأكل لحم الغراب) .

٣ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٢٥٨) .

٤ الحيوان ، للجاحظ (٢/٣١٤ وما بعدها) .

٥ تاج العروس (٣/٤٢٨) ، (عور) .

٦ الحيوان ، للجاحظ (٢/٣١٥) ، حياة الحيوان ، للدميرى (٢/٢٤٦) .

٧ حياة الحيوان ، للدميري (٢/٢٤٥ ، ٢٥٥) .

ونسب الى المرقش السّدوسي ، ذكر الغراب في شعره ، إذ قيل انه قال :

ولقـــد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
واذا الأشائـــم كالأيـــا مـنِ ، والأيامـنُ كالأشائم[1]

ويبين هذان البيتان رأي هذا الشاعر في التيامن والتشاؤم .

وكان العرب اذا أرادوا ان يصفوا أرضاً بالخصب والسواد ، قالوا : وقعوا في أرض لا يطير غرابها ، فهذا يعني ان الأرض كلها خصبة مزروعة سوداء ، لا ترى فيها قطعة بيضاء ، ولا ترى إلا الزرع والخيرات والثمر . واذا أرادوا التعبير عن انتقال مرحلة الشباب إلى مرحلة الشيخوخة ، وعن التهام الشيب لسواد الرأس : قيل : طار غراب البين[2] .

وقد يكون في جملة أسباب تشاؤم العرب من الغراب، انه كان يضر بإبلهم . فهم يذكرون انه اذا وجد دبرة في ظهر البعير ، أو قرحة في عنقه ، سقط عليها ونقره وعقره . ولذلك كانوا اذا رأوا دبرة بظهر البعير ، غرزوا في سنامه إما قوادم ريش أسود ، وإما خرقاً سوداً ، لتفزع الغربان فلا تتقرب منه ولا تسقط عليه . وقد يضعون الريش في اسنمتها وتغرز فيها[3] . والعرب تسمي الغراب لذلك (ابن دأية) ، لأنه ينقر دبرة البعير أو قرحة عنقه ، حتى يبلغ الى دايات العنق وما اتصل بها من خرزات الصُّلب ، وفقار الظهر[4] .

والغراب من الطيور التي ورد ذكرها في التوراة . والعبرانيون مثـــل العرب اعتقدوا بالطيرة منه ، أي بتأثير حركاته وسكناته في احداث الفأل والشؤم[5] .

وقد ذكر (الجاحظ) جريدة بأسماء الجهات التي يقف عليهـــا (الغراب) فينعب ، وما سيقع من وقفته تلك ومن نعيبه ، وما يجب أن يفعله أو يتجنبـــه

---

١ المعاني (١١٨٧/٣) .
٢ تاج العروس (٤٠٧/١) .
٣ الحيوان ، للجاحظ (٤١٦/٣ وما بعدها) ، (هارون) .
٤ الحيوان (٤١٥/٣ ، ٤٣٩) ، (هارون) .
٥ الملـوك الاول ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ٦ ، التـكوين ، الاصحاح الثامن ، الآية ٧ ، Ency. Religi., 4, p. 808.

الانسان في هـــذه الحالات . كما ذكر أموراً أخرى تخص التطير أو التفاؤل من أصوات الحيوانات أو من رؤيتها[1] .

وكان (أمية بن أبـي الصلت) ممن يتطير من الغراب ، ويذكر أهل الأخبار أنه بينا كان يشرب مع اخوان له في قصر (عيلان) بالطائف ، إذ سقط غراب على شرفة القصر ، فنعب نعبة ، فقال أمية : « بفيك الكثكث » ، أي التراب وتشاءم منه ، وقد مات فعلاً في مكانه بعد نعيبه للمرة الثالثة[2] .

وفي شعر أمية قوله :

بآية قام ينطق كـــل شيء وخان أمانة الديك الغرابُ

وذلك أن من أحاديث العرب ، أن الديك كان ندماً للغراب ، وأنهما شربا الخمر عند خمّار ولم يعطياه شيئـــاً ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب ، ورهن الديك ، فخاس به ، فبقي محبوساً . وأن نوحاً حين بقي في اللجة أياماً بعث الغراب ، فوقع على جيفة ولم يرجع ، ثم بعث الحمامة لتنظر هـل ترى في الأرض موضعاً يكون للسفينة مرفأ ، واستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها ، فرشاها بذلك . وفي جميع ذلك وغيره قال (أمية) ذلك البيت وأبياتاً أخرى ، تطرق فيها الى قصص اسرائيلي آخر ، أخذ علمه به من أهل الكتاب . « فقد كان داهية من دواهي ثقيف ، وثقيف من دهاة العرب ، وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان همّ بادعاء النبوة ، وهو يعلم كيف الخصال التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً اذا اجتمعت له ، نعم وحتى ترشح لـــذلك بطلب الروايات ، ودرس الكتب ، وقد بان عند العرب علاّمة ، ومعروفاً بالجولان في البـــلاد ، رواية »[3] .

ومن رأي العرب ان الغراب لا يشيب ، وضربوا به المثل في ذلك ، فقالوا : « حتى يشيب الغراب ويبيضّ القار » ، ضربوا به مثلاً في الاستمرار على العمل

---

١ نهاية الارب (٣/١٣٤ وما بعدها) .

٢ نهاية الارب (٣/١٣٩) ، حياة الحيوان (٢/١٧٣) ، الحيوان (٣/١٣١) .

٣ الحيوان (٢/٣٢٠) .

وعدم الملل من شيء[1] . ويقولون : ذهب الغراب يتعلم مشي العصفور أو القطاة، فلم يتعلمها ، ونسي مشيته . فلذلك صار يحجل ولا يقفز قفزان العصفور ، أو مشية القطاة[2] .

والبوم من الطيور التي يتشاءم منها بعض الناس ، ولعل ذلك بسبب منظرها الكئيب ولصوتها الحزين وظهورها في الليل ، والليل هو رمز الشر . ويدل وصفها بـ (أم الخراب) و (أم الصبيان) على النظرة السيئة التي كان يراها العرب لها[3] . ويقال إن من أنواعها الصدى والهامة . ولعل اعتقادهم ان الصدى والهامة أو ذكر البوم منها ، هي روح الميت المرفرفة على القبر هو الذي حمل أولئك المتشائمين على التشاؤم منها .

والعاطوس ، وهي سمكة في البحر أو دابة من الحيوانات التي كان العرب يتشاءمون منها[4] . وكذلك (الأخيل) وهو (الشقراق) ، « يتطيرون منه ، ويسمونه مقطع الظهور : يقال اذا وقع على بعير ، وان كان سالماً يئسوا منه ، واذا لقي المسافر الأخيل تطير وأيقن بالعقر إن لم يكن موت في الظهر »[5] . وهم يتشاءمون من الثور الأعضب أي المكسور القرن[6] . ويتشاءمون من (العراقيب) ، الشقراق . وتقول العرب : اذا وقع الأخيل على البعير ليكشفن عرقوباه . وقيل: كل طائر يتطير منه للإبل ، فهو طير عرقوب لأنه يعرقبها[7] .

ويتطيرون بالصرد ، ومن أسمائه الأخطب،ويقال (الأخيل) كذلك . و(الواق) أيضاً الصرد[8] . ويتشاءمون من (الأفكل) ، وهو الشقران ، فإذا عرض لهم كرهوه وفزعوا منه وارتعدوا[9] .

---

١ اللسان (١١/٦٢٩) ، الحيوان (٣/١٣١) ، حياة الحيوان (٢/١٧٧) .
٢ الحيوان (٤/٣٢٥) .
٣ حياة الحيوان (١/١٨١ وما بعدها) .
٤ قال طرفة بن العبد :
لعمري لقد مرت عواطيس جمة ومر قبيل الصبح ظبي مصمع
تاج العروس (٤/١٩٢) ، حياة الحيوان ، للدميرى (٢/١٢١ ، ٢٢١) ، العمدة (٢/٢٦٠) ، اللسان (٦/١٤٢) .
٥ بلوغ الارب (٢/٣٣٧) ، البرقوقي (٣٤٨) ، ديوان حسان (ص22) «هرشفلد» .
٦ بلوغ الارب (٢/٣٣٨) ، العمدة (٢/٢٦٢) .
٧ تاج العروس (١/٣٧٨) ، (عرقب) .
٨ العمدة (٢/٢٦١) .
٩ تاج العروس (٨/٦٥) ، (افتكل) .

والثعلب والأرنب من الحيوانات التي استعان بها الزاجر ، في الزجر[1] . والواقع آن أهل الزجر قد توسعوا في علمهم حتى شمل كل المخلوقات ، فحركات الإبل والخيل وسكناتها كلها ذات معان ومفاهيم يعرفها المشتغلون بالطيرة،وكانوا يستعينون بغيرها من الحيوانات .

وقد ذكر بعض الأخباريين أن العرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر[2] . وذكروا أيضاً أنها تطيرت من : « المرأة ، والدار ، والفرس » . وفي الحديث : « إن كان الشؤم ، ففي الدار والمرأة والفرس »[3] . وورد : « إنما الشؤم في ثلاثة : في الفرس والمرأة والدار » . وذكر أن (عائشة) ، قالت : « وإنما قال : ان أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » ، أي ان الرسول انما قال ذلك حكاية عن أهل الجاهلية فقط[4] .

وكما يتغلب الانسان على الأمراض بالأدوية والعلاج ، كذلك يمكن التغلب على النحس وشؤم ناصية المرأة وعتبة الدار بالذبائح في بعض الأحيان ، ولهذا جرت العادة بذبح ذبيحة أو عدة ذبائح عند زفاف العروس إلى بعلها ووصولها عتبة بيته طرداً للأرواح الشريرة وإرضاء لها ، كما جرت العادة بذبح الذبائح حين الانتقال إلى دار جديدة ، أو حين الشعور بوجود أرواح فيها،ويقال لهذه الذبائح (ذبائح الجان)[5] .

وقد ابتدع الجاهليون طرقاً لإبعاد الطيرة من تفكيرهم ، من ذلك انهم تجاهلوا بقدر إمكانهم ، المسميات التي تبعث على التشاؤم بتسميتها بضدها من الكلمات التي لا يتشاءم منها ، فسمّوا اللديغ بالسليم ، والبرية بالمفازة ، وكنّوا الأعمى أبا بصير والأعور ممتعاً ، والأسود أبا البيضاء ، وسمّوا الغرب بحاتم ، وذلك لتشاؤمهم من الغراب[6] . والتسمية بالأضداد لدفع الطيرة عن الأذهان ، ليست عادة جاهلية حسب ، انما هي معروفة في الاسلام كذلك . كما انها معروفة عند غير العرب من الأمم قديماً وحديثاً .

---

١ Reste, S. 202.

٢ مجمع الامثال (٢/٨٦) .

٣ « لا عدوى ولا طيرة ، انما الشؤم في ثلاث في الفرس والمرأة والدار » ، جامع الاصول (٨/٣٩٦) ، عمدة القارىء (٢١/٢٨٩) .

٤ القسطلاني ، ارشاد (٥/٧٣ وما بعدها) .

٥ ناج العروس (٢/١٣٨) .

٦ الحيوان (٣/٤٣٩) ، « عبد السلام هارون » ، بلوغ الارب (٢/٣٣٨ وما بعدها) .

التثاؤب والعطاس :

ويدخل في الطيرة بعض ما يصدر من الانسان والحيوان من حركات ، مثل التثاؤب والعطاس . والتثاؤب عمل من أعمال الشيطان . وأما العطاس ، فقد كان أثره في ايجاد الشؤم شديداً ، وهو من العادات الجاهلية المذكورة في الشعر المنسوب الى الجاهليين . ذكر ان امرأ القيس قال :

وقد اغتدي قبل العطاس بهيكل شديد منيع الجَنب نعم المنطّق

وانه أراد بذلك انه كان يتنبه للصيد قبل ان ينتبه الناس من نومهم ، لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه[1] .

وقيل ان العرب كانت تتطير منه ، فإذا عطس العاطس ، قالوا : قد ألجمه ، كأنها قد تلجمه عن حاجته[2] .

ويقال الكدسة لعطسة البهائم . وقد تقال لعطسة الإنسان . والكادس ما يتطير به من الفال والعطاس وغيرهما . وقيل الكادس : القعيد من الظباء ، وهو الذي يجيء من خلفك ، ويتشاءم به ، كما يتشاءم بالبارح[3] .

والعطاس فضلاً عن ذلك دواء في نظر أهل الجاهلية ، لذلك كانوا يتجنبونه بقدر إمكانهم ، ويحاولون جهدهم حبسه وكتمه . فإذا عطس أحدهم وكان وضيعاً مغموراً أسمعوه كلاماً مراً فيه رد للشؤم على صاحب العطاس ، كأن يقولوا له : « وريأ وقحاباً » . والوري هو داء يصيب الكبد فيفسدها ، والقحاب هو السعال ، أو : « بك لا بي : أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لا بي ». أما إذا كان العاطس معروفاً محبوباً شريفاً ، قالوا له : « عمراً وشباباً » . وكلما كانت العطسة شديدة كان التشاؤم منها أشد[4] . ويقال للدعاء على العاطس (التشميت) و (التسميت)[5] .

---

١ العمده (٢/٢٦٠) ، ارشاد الساري (٩/١٢٥ وما بعدها) .
٢ المعاني الكبير (٣/١١٨٥) .
٣ تاج العروس (٤/٢٣٠) ، (كدس) .
٤ المعاني الكبير (٢/١٠١٥) ، بلوغ الأرب (٢/٣٣٢) .
٥ اللسان (٢/٣٥٧) ، تاج العروس (١/٥٥٩) ، « شمت » .

وقد نهى الإسلام عن التشاؤم بالعطاس ، وعكسه ، فجعله محبوباً ، بحديث: « إن الله يحب العطاس ، ويكره التثاؤب »[1] .

واذا مات رجل قالوا : عطس الرجل ، و (عطست به اللُجم)، واللجمة ما تطيرت منه ، ويقال للموت : لجم عطوس[2] .

بعض من أنكر الطيرة :

وكان بين الجاهليين أناس أنكروا الطيرة ، ولم يحفلوا بها . منهم المرقش من بني سدوس ، حيث قال :

إني غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فـاذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
فكذاك لا خـير ولا شرّ على أحد بدائم[3]

وممن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك ، سلامة بن جندل ، والحارث بن حلزة . ونجد الشاعر (الخُثيم بن عدي) يمدح (مسعود بن بحر الزهري) ، بقوله :

وليس بهيّاب اذا شد رحلُه يقول عداني اليومَ واق وحاتم
ولكنه يمضي عـلى ذاك مقدماً إذا صدّ عن تلك الهنات الخثارم

فهو يمدحه ، ويقول إن ممدوحه لم يكن من الخثارم ، أي المتطيرين ، بل كان اذا أراد أن يمضي أمراً ، صد عن تلك الهنات ، فلا يحفل بواق وحاتم[4] .

وكان النابغة من المتطيرين ، خرج مع (زبّان بن سيار) يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة ، إذ نظر النابغة واذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان، فتطيّر وقال : غيري الذي خرج في هذا الوجه ! فلما رجع زبّان من تلك الغزوة سالماً . أنشأ يذكر شأن النابغة ، فقال :

---

١ جامع الاصول (٣٩٦/٧ وما بعدها) .
٢ اللسان (١٤٢/٦) .
٣ الحيوان (٤٣٦/٣ ، ٤٤٩) ، (هارون) .
٤ الحيوان (٤٣٧/٣) ، (هارون) .

تخبّر طيره فيهـا زيـادٌ لتخبره ومـا فيها خبـير
أقـام كأن لقمان بن عـاد أشار لـه بحكمته مُشير
تعـلم أنه لا طـير إلا عـلى متطيّر وهـو الثبور
بـلى شيء يوافق بعض شيء أحـايين وباطله كثـير [1]

واسم النابغة زياد [2] .

وهناك نوع آخر من التنبؤ يقال له في الانكليزيـة « Hepatscopy » ، ويراد به استخراج الغيب من دراسة كبد الأضاحي التي تقدم الى الآلهة . وقـد اشتهر به الكلدانيون على الأخص،وتوسعوا فيه فشمل أيضاً قراءة الرئة أو بقية الأحشاء . وكان معروفاً أيضاً عند العبرانيين واليونان والرومان والمصريين وغيرهم [3] . وللكبـد أهمية خاصة عنـد العرب ، وهو في نظرهم معدن العداوة ومقر الحقد ، لذلك يقال للأعداء : سود الأكباد ، لأن الحقد قد أحرق أكبادهم حتى اسودت [4] .

وقد تشاءموا من بعض الأيام ، مثل (الأيام النحسات) . وهي كل أربعاء يوافق أربعاً من الشهر ، مثل أربع خلون ، وأربع وعشرين ، وأربع بقين . كما تشاءموا من بعض الشهور ، مثل شهر شوّال ، ولذلك كرهت التزوج فيـه [5] . وورد يوم نحس و (أيام نحسات) ، وهي المشؤومـات . والعرب تسمي الريح الباردة إذا دَبِرت نحساً . والنحس : الجهد والضر ، وخلاف السعد من النجوم وغيرها [6] . وقد كان أهل نجد يتيمنون بالسانح ، ويتشاءمون بالبارح ، ويخالفهم أهل العالية ، فيتشاءمون بالسانح ، ويتيمنون بالبارح [7] .

ويدخل في هذه الأيام تشاؤم بعض الجاهليين من يوم معين وتفاؤلهم من يوم آخر . فيكون يوم التشاؤم يوم بؤس ، يغضب فيه من يتشاءم منه على كـل من يراه أول مرة أو في ذلك النهار ، وقد يلحق بـه سوءاً كالذي روي من قصة

---

١ الحيوان (٣/٤٤٧) ، (هارون) .
٢ الحيوان (٥/٥٥٥) ، (هارون) .
٣ Ency. Religi., 4, p. 808, Hastings, p. 568, Diodorus Sicl., II, p. 29.
٤ اللسان (٤/٣٧٨) .
٥ مروج الذهب (٢/١٠٨ وما بعدها) .
٦ اللسان (٦/٢٢٧) .
٧ العمدة (٢/٢٦٣) .

(يومي البؤس والنعيم) عند (المنذر بن ماء السماء) أو (النعمان بن المنذر)[1] . ويكون يوم التفاؤل (يوم نعيم) يفرح فيه صاحبه ويهش لكل من يراه ولا سيما لأول قادم عليه . وعبر عنها بـ (يوم بؤس) و (يوم نُعم)[2] .

وكانت العرب تتشاءم من كلبة يقال لها (براقش)[3] .

الفأل :

والفأل ضد التشاؤم والطيرة . ويكون برؤية شيء أو سماع أمر أو قول أو غير ذلك يُتفاءلُ منه ، كأن يسمع مريض رجلاً يقول يا سالم فيقع في ظنه انه يبرأ من مرضه ، أو يسمع طالب حاجة رجلاً يقول يا واجد فيخال انه يجد ضالته ، فيتوقع صحة هذه البشرى ، ويقال لذلك في الانكليزية Omen . وهو معروف عند العبرانيين وقد ذكر في التوراة[4] .

وأصل كلمة (الفأل) على ما يظهر للتشاؤم والتفاؤل ، أي انها كالطيرة أريد بها الحالتان ، ثم تخصصت بالحسن ، كما تخصصت الطيرة بالشؤم[5] . وقد نهي في الحديث عن الطيرة . أما الفأل ، فقد ورد ان الرسول كان يتفاءل ولا يتطير لما في التفاؤل من أثر طيب في أعمال الانسان[6] .

وضد (الشؤم) (اليمن) ، ومن معاني اليمن (البركة) ، و (الميامين) على نقيض (المشائيم) ، و (الميمون) ضد (المشؤوم)[7] . وورد (ميمون النقيبة)[8] و (ميمون الناصية) . ويلاحظ ان للناصية علاقة متينة بالشؤم والتيمن ، فكما يقال (ميمون الناصية) قيل (شؤم الناصية) كذلك ، وهي كناية عن الانسان . فقد كان في رأيهم ان من الناس من هم شؤم ، ويجلبون الشؤم على من يراهم،

---

١ البلدان (٦/٢٨٣ وما بعدها) ، الاغاني (٥/٢١٣) ، ابن قتيبة : الشعر (١٤٤) ، القالي ، الامالي (٣/١٩٥) .
٢ اللسان (١٢/٥٧٩) .
٣ الحيوان (٥/٤٥٤) ، (هارون) .
٤ جامع الاصول (٨/٤٦٧) ، « كتاب الطيرة » ، اللسان (١٤/٢٧) ، ارشاد الساري (٨/٣٩٧) ، Ency., II, p. 46, Reste, S. 203. ff.
٥ في الحديث « أصدق الطيرة الفأل » ، النهاية (٣/١٩٥) .
٦ النهاية (٣/١٩٥) ، جامع الاصول (٨/٤٦٧) .
٧ تاج العروس (٩/٣٧١) .
٨ تاج العروس (١٠/٤٩١) .

وان منهم من تجلب رؤيته الخير لمن يراه . ويكون للحسن والقبح ولسيماء الوجه والجسم دخل كبير في تكوين رأي عن الشخص الذي يُتشاءم أو يُتفاءل منه . وقد قلت إن بعض العاهات التي تكون في بعض الناس ، تجعل غيرهم يتشاءمون منهم عند وقوع نظرهم عليهم في الصباح .

وهناك كلمات عديدة في التشاؤم و (الشؤم) ، مثل (شائم) و (شؤم) و (مشؤوم) و (مشوم) و (مشائيم) و (تشاءمـوا) ، و (الأشأم) وأمثال ذلك[1] .

ولا يقتصر استعمال هذه الألفاظ على جنسٍ معين ، بل تقال لكل ما يجلب الشؤم على الانسان . فمن البشر – كما قلت – من هم شؤم على غيرهم ، يجلبون الشرّ لمن يتشاءم منهم ، يستوي في ذلك الرجـال والنساء والأطفال . ولما كان التشاؤم قضية اعتبارية تتعلق بالنفس والمزاج ، كان بعض الأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء شؤماً عنـد ناس ، بينما هم ليسوا كذلك عند جماعة آخرين . ولكن الغالب أن التشاؤم من الأشياء القبيحة أو الناقصة أو الراعبة وما شابه ذلك ، فهذه المزعجات تؤثر على النفس ، فتجعلها تتشاءم منها ، وتتوقع حـدوث النحس من رؤيتها ، ولا سيما في الصباح ، وعند الهمّ بالشروع في عمل مهم .

وكانوا يحبون أن يأتوا أعداءهم من شق اليمين[2] . يتفـاءلون بذلك . لأن في اليمين اليمن ، وفي اليسار العسر .

وللأسماء والكلمات أثرها في الفأل وفي الطيرة ، فالأسمـاء الحسنة الجميلة تبعث على التفاؤل ، أما الأسماء الخبيثة والرديئة فإنها تولّد التشاؤم . وقد عرف هـذا النوع من التفاؤل في الإسلام ، ولم ينه عنه . بل قيل ان الرسول كان يتأثر من الأسماء ، وكان يقول إذا أعجبته كلمـة : « أخذنا فألك من فيك » ، وانه يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع : يا راشد ، يا نجيح ، وأنه قال : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل »[3] .

وللطيرة سمت العربُ المنهوش السليم ، والبرّية المفازة ، وكنّوا الأعمى أبا بصير ،

---

١ تاج العروس (٨/٣٥٤) .
٢ الحيوان (٥/٥١٦) ، (هارون) .
٣ جامع الاصول (٨/٣٩٤) .

والأسود أبا البيضاء ، وسمّوا الغراب بحاتم ، إذ كان يحتم الزجر به على الأمور[1] .

وورد ان العرب اذا تطيروا من الانسان وغيره قالوا : صباح الله لا صباحك[2].

ولإيمان العرب بباب الطيرة والفأل عقدوا الرتائم ، وعشروا اذا دخلوا القرى تعشير الحمار ، واستعملوا في القداح الآمر ، والناهي ، والمتربص ، وهن غير قداح الأيسار[3] .

ومن أبواب الفراسة النظر إلى خطوط الكف للاستدلال بها على طبيعة صاحب الكف وعلى ما سيحدث له من أحداث . وقد أشار الى الكف والى أسرارها الأعشى في قوله :

أنظر الى كفٍ وأسرارها هل أنت ، إن أوعدتني ، ضائري[4]؟

ولمراقبة الكلف الذي يظهر على وجه القمر ودراسة النجوم والظواهر الطبيعية التي تحدث للأجرام السماوية كالكسوف والخسوف ، أهمية كبيرة في التكهن . وقد كان الجاهليون يعتقدون ان للكسوف والخسوف أثراً في حياة الانسان ، فاذا وقعا دلا على موت انسان عظيم أو حياته ، أو ولادة مولود صاحب حظ كبير[5] . وكذلك كان رأيهم في تساقط النجوم . وقد أشير اليه في أشعار القدماء من الجاهلية ، منهم عوف بن الجزع وأوس بن حجر وبشر بن أبي خازم[6] .

وقد كان في زعم الكهان من صنف المنجمين أن في استطاعتهم التأثير في الأجرام السماوية وفي احداث الضباب والأمطار والعواصف والرياح ، وقد نهي عن التصديق بها في الاسلام ، لتعارضها مع الايمان بسيطرة الله وهيمنته وحده على الكون .

وكان للجاهليين اعتقاد بأثر فعل النجوم في الانسان ، ولهذا كانوا يراقبون السماء لتفسير ما يرون فيه من تساقط نجوم ، ومن أخبار الشياطين عما يستمعون اليه من وحي السماء . وذكر أنهم كانوا يفزعون إذا تساقطت الشهب بكثرة غير

---

١ الحيوان ٣(/٤٣٩) ، (هارون) ، (٤/٢٥٣) .
٢ اللسان (٢/٥٠٢) .
٣ الحيوان (٣/٤٤٠) ، (هارون) .
٤ المعاني الكبير (٣/١١٨٥) .
٥ اللسان (١١/٢٠٨) ، الروض الانف ١/١٣٥) .
٦ الروض الانف(١/١٣٥).

معهودة . وقد حدث أن تساقطت النجوم بكثرة ففزعوا وجزعوا وقالوا : « هلك من في السماء . فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً ، وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة ، وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى أسرعوا في اتلاف أموالهم . فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم .. امسكوا عن أموالكم ، فإنه لم يمت من في السماء . ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي . والشمس والقمر كذلك »[1] . فكأنهم تصوروا أن تساقط النجوم هذا بكثرة معناه اختلال نظام السماء وموت من فيه ، واحتمال فناء العالم تبعاً لذلك .

وكانوا إذا خافوا من شيء وأرادوا الاستعاذة ، كأن يكون الانسان مسافراً فرأى من يخافه قال : حجراً محجوراً ، أي حرام عليك التعرض بي . وقد ترك هذا الاستعمال في الاسلام[2] .

وقد ورد الحديث في النهي عن التطير . جاء : « الطيرة شرك . ولكن الله يذهبه بالتوكل »[3] .

---

١ السيرة الحلبية (١/١٤١ وما بعدها) .

٢ الصاحبي (٩٣) .

٣ جامع الاصول (٨/٤٦٧) . « كتاب الطيرة » ، سنن أبي داوود (٤/١٧ وما بعدها) ، « باب في الطيرة » ، عمدة القارىء (٢١/٢٧٣) ، « باب الطيرة » ، اللسان (١٠/٤٥٠) ، (شرك) .

الفصل السابع والثمانون

من عادات وأساطير الجاهليين

ولأهل الجاهلية عادات وأساطير كثيرة ، وقد اختص العرب بقسم منها ، أما القسم الثاني فهو عام معروف ، عرف عند الساميين والعجم ، وهي مما يقال له (الشعبيات) أو (الفولكلوريات) في مصطلح الافرنج لهذا العهد .

فمن ذلك ما كانوا يفعلونه في أسفارهم إذ كان أحدهم اذا خرج الى سفر عمد الى شجرة من (الرتم) ، فعقد غصناً منهـــا ، فاذا عاد من سفره ووجده قد انحلّ ، قال : قد خانتني امرأتي ، وإن وجده على حالته قال لم تخني[1] . ويقال لذلك العقد (الرتم) و (الرتمة) . وذكر ان الرجل منهم كان اذا سافر عمد الى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها ، فاذا عاد نظر الى ذلك الخيط ، فان وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه ، وإن لم يجده أو وجده محلولاً قال : قد خانتني . ويقال : بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر[2].

وتستعمل (الرتمة) لتذكير الانسان بشيء ، يستعملها من يكثر نسيانه . وهي خيط يعقد في الاصبع للتذكير . وقد يعقد على الخاتم[3] .

ومن اعتقادهم في السفر ان من خرج في سفـر والتفت وراءه لم يتم سفره .

---

١ المستطرف (٢/٧٨) .

٢ بلوغ الارب (٢/٣١٦ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣/١٢٥) ، اللسان (١٥/١١٦) ، صبح الاعشى (١/٤٠٨) .

٣ تاج العروس (٨/٣٠٣) ، (رتم) .

فان التفت تطير ، وفسره بالعودة . فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود[1].

ومنها التصفيق : كانوا اذا ضل الرجل منهم في الفلاة ، قلب ثيابه ، وحبس ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومىء الى انسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ، النجا النجا ، هيكل ، الساعة الساعة ، إليّ إليّ ، عجّل ، ثم يحرك الناقة فيهتدي . قال الشاعر :

وأذن بالتصفيق من ساء ظنه فلم يدرِ من أي اليدين جوابها[2]

وذكر انه كان يقلب قميصه ويصفق بيديه كأنه بومىء بهما الى انسان فيهتدي[3].

وكان أحدهم اذا أراد دخول قرية ، فخاف وباءها أو جنّها ، وقف على بابها قبل ان يدخلها ، فنهق نهيق الحمار ، ثم علق عليه كعب أرنب ، كأن ذلك عوذة له ورقية من الوباء والجن . ويسمون هذا النهيق التعشير .

وروي ان (عروة بن الورد) خرج الى (خيبر) ليمتار ، فلما قربوا منها، عَشَّرَ من معه ، وعاف (عروة) أن يفعل فعلهم . فيقال : إن رفقته مرضوا، ومات بعضهم ، ونجا (عروة) من الموت والمرض[4] .

وكان مسافرهم إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل ، عمد الى وادٍ ذي شجر ، فأناخ راحلته في قرارته ، وهي القاع المستديرة، وعقلها ، وخط عليها خطاً ، ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادي[5] . والى ذلك أشار القرآن « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »[6]. وذكر أنهم كانوا إذا نزلوا الوادي ، قالوا : نعوذ بسيّد هذا الوادي من شر ما فيه ، فتقول الجن : ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضراً ولا نفعاً[7] .

ومن عادات بعض العرب أنهم إذا خافوا شر إنسان وأرادوا عدم عودته اليهم، أوقدوا خلفه ناراً ، إذا تحول عنهم ، ليتحول ضبعه معه ، أي شره . وكانوا يقولون : أبعد الله دار فلان وأوقد ناراً اثره ، والمعنى لارجعه الله ولارده[8] .

---

١ المستطرف (٢/٨٠) ، بلوغ الارب (٢/٣٢٨) .
٢ نهاية الارب (٣/١٢٢) ، صبح الاعشى ١/٤٠٥) .
٣ المستطرف (٢/٨٠) ، بلوغ الارب (٢/٣١٦) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣١٥ وما بعدها) .
٥ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) .
٦ الجن ، الآية ٦ .
٧ تفسير الطبري (٢٩/٦٨) .
٨ اللسان (٣/٤٦٦) ، (وقد) .

وإذا غاب انسان ، فلم يقفوا على أثره ، ففي الوسع الاهتداء اليه، وذلك بأن يذهبوا الى بئر قديمة أو حفر قديم ، ثم ينادوا في البئر أو الحفر اسم الغائب ثلاث مرات ، فإن سمعوا صوتاً علموا أنه حي معافى ، وإن لم يسمعوا شيئاً علموا أنه قد مات [1] .

وإذا أرادوا ضمان عدم رجوع الثقلاء ومن لا يرغب في عودتهم ، فإن الثقيل اذا غادر المحل ، عمد صاحب البيت والمكان الى كسر شيء من الأواني أو رمى حجراً خلفه ، وفي ذلك ضمان بألا يعود[2] .

ومن خرافاتهم أن أحدهم كان إذا اشترى داراً أو استخرج ماء عين أو بنى بنياناً وما أشبهه ، ذبح ذبيحة للطيرة . وقد عرفت عندهم بـ (ذبائح الجن) . وكانوا يفعلون ذلك مخافة أن تصيبهم الجن وتؤذيهم . وقد نهي في الإسلام عن ذبائح الجن[3] .

وأوجدوا لدوام الحب علاجاً ، هو شق الرداء والبرقع . زعموا أن المرأة إذا أحبت رجلاً أو أحبها ثم لم تشق عليه رداءه ، ويشق عليها برقعها ، فسد حبها، فإذا فُعل ذلك دام حبها[4] .

وإذا صعب على المرأة العثور على خاطب لها ، فإن في الإمكان تيسير ذلك بنشر جانب من شعرها ، وتكحيل إحدى عينيها ، وتحجيل احدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً ، ثم تقول : « يا لكاح ، أبغي النكاح ، قبل الصباح » ، فيسهل أمرها ، وتتزوج عن قريب[5] .

ومن آرائهم أن الرجل منهم اذا عشق ولم يسل وأفرط عليه العشق ، حمله رجل على ظهره كما يحمل الصبي ، وقام آخر فأحمى حديدة أو ميلاً وكوى به بين إليتيه فيذهب عشقه[6] .

ولدوام الحب بين الرجل والمرأة ، يشق الرجل برقع من يحبها وتشق المرأة رداءه ، فيصلح حبهما ويدوم ، فإن لم يفعلا ذلك فسد حبهما[7] .

---

١ بلوغ الارب (٣/٣ وما بعدها) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٣٠) .
٣ اللسان (٢/٤٣٧) ، (ذبح) ، نمار القلوب (ص ٦٩) .
٤ نهاية الارب (٣/١٢٦) .
٥ بلوغ الارب (٢/٣٣٠) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣٢١) .
٧ بلوغ الارب (٢/٣٢٢) .

واذا غاب عن النساء من يحبينه أخذن تراباً ، ليرجع سريعاً[1] .

واذا أرادت المقـــلاة ان يعيش ولدها ، ففي الشريف سبع مرات ، وعندئذ يعيش ولدها . وإلا يقتل غدراً . وقد ذكر ذلك في شعر لبشر بن أبي .

ومن عقائدهم ان صاحب الفرس المهقوع اذا ركبه وطمحت الى غيره . والهقعة : دائرة تكون بالفرس في الأكثر[3] .

وكان الصبي اذا بترت شفته ، حمل منخلاً على رأسه ونادى بـ « الحلاء الحلاء ، الطعام الطعام » فتلقي له النساء كسر الخبز والتمر واللحم في المنخل ، ثم يلقى ذلك للكلاب ، فتأكله فيبرأ من المـــرض فان أكل صبي من الصبيان من ذلك الذي ألقاه للكلاب تمرة أو لقمة ، بترت شفته[4] .

وتعالج (الخطفة) و (النظرة) عند الصبيان بتعليق سن ثعلب ، أو سن هرة على الصبي ، فان تلك الأسنان تهرّب الجن . ويهربها كذلك تنقيط شيء من صمغ (السمرة) (حيض السمرة) ، وهي شجرة من شجر الطلع ، بين عيني النُّفَساء ، وخط شيء منه على وجه الصبي خطاً ، فلا تجرؤ الجنية على التقرب من الصبي ، ويقال لذلك (النفرات) . فاذا قال لها صواحباتها في ذلك ، قالت :

كانت عليه نفرهْ ثعالب وهررهْ
والحيض حيض السمرهْ[5]

ومن عاداتهم في إبعاد الجن عن الصبيان ، تنفير المولود ، وذلك ان يسميه باسم غريب منفر ، فينفر الجن منه ، ولا يتقربون منه[6] .

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٣٩ وما بعدها) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣١٧ وما بعدها) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٣) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٢٨) .
٥ نهاية الارب (٣/١٢٤) ، بلـوغ الارب (٢/٣٢٥) ، تـاج العروس (٣/٥٧٨ وما بعدها) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) .

وعادة أخذ الغلام اذا ثغر ، السن الساقط ووضعه اياه بين السبابة والإبهام ، واستقبال الشمس ، وقذف السن في عينها ، لا تزال معروفة حتى الآن ، وهم يقولون في ذلك : « ابدليني بسن أحسن منها ، ولتجرِ في ظلمها إياتك »[1] ، أو « أبدليني أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج ، والفلج ، والثَّعَل » . قال طرفة :

بدلته الشمس من منبتِه بردًا أبيضَ مصقولَ الأُشَرِ[2]

واعتقد قوم منهم ان من ولد في القمراء ، تقلصت غرلته ، فكان كالمختون[3] . واعتقدوا ان طول الغرلة من تمام الخلقة وأقرب ما يكون الى السؤدد[4] .

ومن عقائدهم ، أن المولود إذا ولد يتناً ، كان ذلك علامة سوءٍ ، ودليلاً على الفساد . واليتن خروج رجل المولود قبلَ رأسه[5] .

ومن عقائدهم ان الرجل كان اذا ظهرت فيه القوباء عالجها بالريق ، واذا أصيب او أصيبت دابته بالنملة ، وخط عليها ابن المجوسي اذا كان من اخته تبرأ وتنصلح وترأب[6] .

وزعموا أن من أصيب بـ (الهُدَبِد) ، وهو (العَشَا) يكون في العين ، عمد الى سنام فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة ، وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناماً وكَبِدْ ألا اذْهَبا بالهُدَبِدْ
ليس شفاء الهدبد إلا السنام والكبد

ويزعمون أن ذلك يذهب بالعشا بذلك[7] .

وقد زعم الجاهليون أن الطاعون الذي كان يقع كثيراً في الجاهلية فيحصد الناس

---

١ بلوغ الارب (٢/٣١٨) .
٢ نهاية الارب (٣/١٢٢) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٣١) .
٤ تاج العروس (٨/٤١) ، (غرل) ، بلوغ الارب (٢/٣٣١) .
٥ الحيوان (١/٢٨٦) ، (هارون) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣٢٩) ، وتعرف (القوباء) بـ (كوباية) بلغة العامة لهذا العهد .
٧ انه لا يبرىء داء الهدبد مثل القلايا من سنام وكبد
تاج العروس (٢/٥٤٥) ، (الهدبد) ، بلوغ الارب (٢/٣٤٠) .

حصداً ، هو من وخز الجنّ،وأنه من فعلهم في الإنسان ودعوه (رماح الجن)، وذكر ذلك في الشعر فقال أحد الشعراء :

لعمرك ما خشيت على عديّ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على (عديّ) رماح الجن أو إياك جار[1]

وكانوا يرون أن أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة والقوة[2] .

وفي حركات الإنسان دليل ومعان تنبيء عن أشياء . فإذا اختلجت العين دل، ذلك على توقع قدوم شخص غائب محبوب . ولا تزال هذه العادة باقية عند الناس اليوم[3] .

ومن عاداتهم أن أحدهم اذا خدرت رجله ، ذكر أحب الناس اليه، فتنبسط[4].

وكانوا يعقدون الرتم للحمى ، ويرون أن من حلها انتقلت الحمى اليه . قال أحد الشعراء :

حللت رتيمة فمكثت شهراً أكابد كل مكروه الدواء[5]

وقد زعموا أن في البطن حية ، اذا جاع الانسان،عضت على شرسوفه وكبده . وقيل : هو الجوع بعينه ، ليس أنها تعض بعد حصول الجوع[6] .

وكان من عادة الجاهليين حمل ملوكهم على الأعناق إذا اشتد بهم المرض. وهم يعتقدون أنهم بذلك سيتغلبون على المرض ، ويعللون ذلك بأنه أسهل على المريض، وأكثر راحة له من وضعه على الأرض[7] .

واعتقدت العرب ان دمَ الملوك والرؤساء يشفي من عضة الكلب[8] ، وزعموا ان الكَلَب جنون الكلاب المعتري من أكل لحم الانسان . وأجمعت العرب ان

---

١ نمار القلوب (٦٨) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٢٣) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢١ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٣/١٧٠) ، (خدر) .
٥ بلوغ الارب (٢/٣١٧) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣١٣ وما بعدها) .
٧ بلوغ الارب (٣/٢٠ وما بعدها) .
٨ بلوغ الارب (٢/٣١٩) .

دواءه قطرة من دم ملك يخلط بماء فيسقاه ، وقيل إن الرجل الكلب يعض انساناً فيأتون رجلاً شريفاً ، فيقطر لهم من دم اصبعه ، فيسقون الكلب فيبرأ[1] .

ومن عقائدهم انهم كانوا اذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن ان يأخذوا بثأره ، فيأخذون روثة ، ويفتونها على رأسه ، ويقولون : روثة راث ثائرك . وقد يذر على الحية المقتولة يسير رماد ، ويقال لها : قتلك العين فلا ثائر لك . وفي أمثالهم لمن ذهب العين دمه هدر : هو قتيل العين[2] .

واعتقد الجاهليون بـ (السفعة) ، و (السفعة) العين تصيب الانسان : عين إنسية وعين جنية ، و (السفعة) النظرة من الجن[3] .

واذا طالت علة الواحد منهم ، وظنوا ان به مساً من الجن ، لأنه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً ، عملوا جمالاً من طين ، وجعلوا عليها جوالق وملؤوها حنطة وشعيراً وتمراً ، وجعلوا تلك الجمال في باب جحر الى جهة المغرب وقت غروب الشمس ، وباتوا ليلتهم تلك ، فاذا أصبحوا ، نظروا الى تلك الجمال الطين، فاذا رأوا انها بحالها ، قالوا : لم تقبل الهدية ، فزادوا فيها ، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من المبرة قالوا : قد قبلت الدية ، واستدلوا على شفاء المريض ، وفرحوا ، وضربوا بالدف[4] .

ومن أوابدهم تعليق الحلي والجلاجل على اللديغ ، يرون انه يفيق بذلك، ويقال انه انما يعلق عليه ، لأنهم يرون انه ان نام يسري السم فيه فيهلك ، فشغلوه بالحلي والجلاجل وأصواتها عن النوم . وذهب بعضهم الى انه اذا علق عليه حلي الذهب برأ ، وإن علق الرصاص أو حلي الرصاص مات[5] .

ومن آرائهم في إطفاء نار الحرب انهم كانوا ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفين ، يرون ان ذلك يطفىء نار الحرب ويقودهم الى السلم[6] .

---

١ تاج العروس (١/٤٦٠) ، (كلب) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٥٨) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٦٥) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٥٩) .
٥ والى هذه العقيدة أشار النابغة الذبياني بقوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقس في أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها بحلى النساء في يديه قعاقع

بلوغ الارب (٢/٣٠٤) .
٦ بلوغ الارب (٢/٤) .

ومن وسائل إبعاد الجن عن الناس ، وإبعاد عيونهم عنهم ، تعليق كعب الأرنب . يقولون إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك لأن الجن تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من مطايا الجن ، لأنها تحيض . وذكر أيضاً ان من علق على نفسه كعب أرنب ، لم يقربه (عمار الحي) (جنّان الحي) و (جنّان الدار) ، و (عمّار الدار) ولا (شيطان الحماطة) وجانّ العشرة (جار العشيرة) وغول العقر (غول القفر) ، وكل الخوافي وان الله يطفىء نار السعالي[1] . و (الحماطة) شجرة شبيهة بالتين تأوي اليها الحيات[2] .

وكانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض الأرواح الخبيثة له ، نجسوه بتعليق الأقذار عليه ، كخرقة الحيض وعظام الموتى . وذكروا أن أنفع من ذلك أن تعلق طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك . ويشفي التنجيس من كل شيء ، إلا من العشق[3] .

ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء : « لا عشت إلا عيش القُراد » . يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة. يزعمون أن القُراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً[4] .

وكانوا يتبركون بأشياء ، منها المدمى من السهام ، الذي ترمي به عدوك ثم يرميك به . وكان الرجل إذا رمى العدو بسهم فأصاب ، ثم رماه به العدو وعليه دم ، جعله في كنانته تبركاً به . ذكر أن (سعداً) قال : « رميت يوم أُحد رجلاً بسهم فقتلته ، ثم رميت بذلك السهم أعرفه ، حتى فعلت ذلك وفعلوه ثلاث مرات ، فقلت: هذا سهم مبارك مدمى فجعلته في كنانتي ،فكان عنده حتى مات»[5].

كان أحدهم يلقى الرجل يخافه في الشهر الحرام ، فيقول : حجراً محجوراً ، أي حرام محرم عليك هذا الشهر ، فلا يبدؤه بشر[6] . وكانوا يقولون ذلك اذا نزلوا مكاناً وخافوا فيه من الجن .

وكان من عاداتهم أنهم كانوا إذا أرادوا أن تورد البقر الماء ، فعافته قدموا ثوراً ، فضربوه،فورد ، فاذا فعلوا ذلك، وردت البقر . وفي ذلك قال الأعشى :

---

١ نهاية الارب (٣/١٢٣ وما بعدها) .
٢ عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شبطان الحماط أعرف
بلوغ الارب (٢/٣٢٤) ، اللسان (٩/١٤٦) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣١٩) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٣٩) .
٥ اللسان (١٤/٢٧٠) ، (دمى) .
٦ تاج العروس (٣/١٢٣) ، (حجر) .

وما ذنبه إن عافت الماء باقر وما أن تعاف الماء إلا لتضربا [1]

ويقولون إن الجن تصد البقر عن الماء ، وان الشيطان يركب قرني الثور [2] .

ويظهر أن هذا الاعتقاد من الاعتقادات التي كانت شائعة بين الجاهليين، بدليل وروده في أشعار عدد من الشعراء. وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصدّ الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الماء حتى تهلك [3] .

ومن عاداتهم أيضاً أنهم كانوا اذا وقع العُرُّ في ابلهم ، اعترضوا بعيراً صحيحاً لم يقع ذلك فيه ، فكووا مشفره وعضده وفخذه . يرون أنهم اذا فعلوا ذلك ذهب العر عن ابلهم [4] .

وذكر أن العرّ قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر ، فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض . تقول منه: عرت الإبل ، فهي معرورة . قال النابغة الذبياني :

فحملتني ذنب امرىء وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع [5]

وفي المعنى المذكور قول الشاعر :

فألزمتني ذنباً وغيريّ جرّه حنانَيْكَ لا تكوِ الصحيح بأجربا

وقول آخر :

كمن يكوي الصحيح يروم برءاً به من كل جرباء الإهاب [6]

وذكر ان الفصيل كان اذا أصابه العر ، عمدوا الى أمه فكووها، فيبرأ فصيلها [7] .

---

١ كتاب المعاني الكبير (٢/٩٢٨ وما بعدها) .

٢ بلوغ الارب (٢/٣٠٣) .

٣ وفي ذلك قال أنس بن مدركة في قتله سليك بن سلكة :
اني وقتلي سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
الدميري ، حياة الحيوان (١/١٨٢) ، الحيوان (١/١٨ وما بعدها) ، (هارون) .

٤ كتاب المعاني الكبير (٢/٩٢٨) ، اللسان (٦/٢٣٠ وما بعدها) ، صبح الاعشى (١/٣٩٨ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢/٣٠٥ وما بعدها) ، الحيوان (١/١٧) ، (هارون) .

٥ تاج العروس (٣/٣٩٠) ، (العر) ، اللسان (٤/٥٥٥) ، (عرر) .
وكلفتني ذنب امرىء وتركته كذي العر يكوي غيره وهو راقع
بلوغ الارب (٢/٣٠٥) .

٦ بلوغ الارب (٢/٣٠٥ وما بعدها) .

٧ بلوغ الارب (٢/٣٠٦) .

ومن ذلك انهم كانوا يفقأون عين فحل الإبل ، لئلا تصيبها العين . وكانوا اذا كثرت إبلهم فبلغت الألف ، فقأوا عين الفحل ، فان زادت الإبل على الألف فقأوا العين الأخرى . وذلك المقفأ والمعمى[1] .

وكانت العرب اذا أجدبت ، وأمسكت السماء عنهم ، وتضايقوا من انحباس المطر ، وأرادوا ان يستمطروا ، عمدوا الى السلع والعُشَر ، فحزموهما، وعقدوهما في أذناب البقر ، وأضرموا فيها النيران ، وأصعدوها في موضع وعر ، واتبعوها، يدعون الله ويستسقون ، وانما يضرمون النار في أذناب البقر تفاؤلاً للبرق بالنار . وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات[2] . ويقال لهذا الفعل (التسليع) . وذكر ان التسليع في الجاهلية انهم كانوا اذا أسنتوا ، أي أجدبوا ، علقوا السلع مع العشر بأذناب البقر وحدروها من الجبال وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار يستمطرون بذلك . ونجد من الرواة من يقول : حدروها من الجبال وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار ، ومنهم من يقول : ثم يضرمون فيها النار،وهم يصعدونها في الجبل ، فيمطرون[3] .

وقد أشير الى هذا الفعل في الشعر ، قال أمية بن أبي الصلت :

سَلَعٌ ما ، ومثله عُشَرٌ ما عائلٌ ما ، وعالت البيقورا

وقال الورك الطائي (وداك الطائي) :

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجاعل أنت بيقوراً مسلّعة ذريعةً لك بين الله والمطر[4]

ومن السلع « المُسَلّعةُ » ، كانت العرب في جاهليتها تأخذ حطب السلع والعشر في المجاعات وقحوط القطر ، فتوقر ظهر البقر منها ، وقيل : يعلقون ذلك في أذنابها . ثم تلعج النار فيها يستمطرون بلهب النار المشبه بسنى البرق . وقيل :

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٠٦) ، (وذلك المقفأ والمعمى) ، الحيوان (١/١٧) ، (هارون) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٠١ وما بعدها) .
٣ اللسان (٨/١٦١) ، (سلع) ، تاج العروس (٥/١٣٨٤) ، (سلع) .
٤ اللسان (٨/١٦١) ، (سلع) ، تاج العروس (٥/٣٨٥) ، بلوغ الارب (٢/٣٠٢) ، « الورك الطائي » ، اللسان (٨/١٦١) ، « وداك الطائي » ، تاج العروس (٥/٣٨٥)، (سلع)، ابن فارس، رسالة النبروز (١٨)، (الورل الطائى)، (١٨)، (الورك الطائي)، اللسان (٤/٧٣) .

يضرمون فيها النار ، وهم يصعدونها في الجبل ، فيمطرون »[1] .

وقد تعرض (أبو الحسين أحمد بن فارس) لموضوع (البيقور) ، فقال : « كانت العرب اذا أمسكت السماء قطرها ، استمطروا ، فعمدوا الى شجرتين يقال لهما السلع والعشر ، فعقدوهما في أذناب البقر فأضرموا فيها النار ، وأصعدوها في جبلٍ وعرٍ وتبعوا آثارها ، يدعون الله عز وجلّ ويستسقونه . قال ابن الكلبي : وانما يضرمون النار تفاؤلاً للبرق » . « كانوا اذا فعلوا ذلك توجهوا نحو المغرب من بين الجهات كلها قصداً الى العين ، والعين قبلة العراق . قال العجاج :

سارٍ سَرى من قبل العين فجرّ غُرّ السحاب والمرابيع البكر »[2]

عقيدتهم في الحيوان :

وللجاهليين عقائد في الحيوان . فمنهم من كان يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقاً ، ومنهم من يرى أنها نوع من الجن ، ومنهم من كان يرى أن لبعضها ، مثل الورل والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع والنعام ، صلة بالجن ، وأنها مراكب لها ، يمتطونها كما يمتطي الإنسان الخيل والبغال والإبل والحمير[3] .

ومن مراكب الجن ، (العضرفوط) ، قال الشاعر :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألذّ وأشهى من وخيد الثعالب
ومن فارة مزمومة شمريسة وخود بردفيها أمام الركائب
ومن عضرفوط حطّ بي من ثنية يبادر سرباً من عظاء قوارب[4]

والعضرفوط دويبة من دواب الجن[5] ، ويقال : العضرفوط ذكر العظاء ، وقيل : دويبة تسمى العسودة ، بيضاء ، ناعمة[6] .

واعتقدوا أن السموم لما فرقت على الحيوانات ، احتبست العظاية (العظاءة)

---

١ اللسان (٨/١٦١) ، (سلع) .
٢ ابن فارس ، رسالة النيروز (١٨ وما بعدها) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٦٠) .
٤ تاج العروس (٥/١٨٣) ، (العضرفوط) .
٥ وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألذ وأشهى من ركوب الارانب
ومن عضرفوط حنّ لي فركبته أبادر سربا من عظاء قوارب
بلوغ الارب (٢/٣٦٠) .
٦ اللسان (٧/٣٥١) ، (عضرفوط) .

عند التفرقة حتى نفد السم ، وأخذ كل حيوان قسطاً منه على قدر السبق اليه ، فلم تنل العظاية نصيباً منه ، فخسرته . لذلك صارت تمشي مشياً سريعاً ثم تقف، لما يعرض لها من التذكر والأسف على ما فاتها من السم[1] .

و (الظباء) ماشية الجن ، في زعم بعضهم وهي تسمع وتكلم ، ولهم قصص عنها[2] .

وتزعم العرب أن (الهديل) ، فرخ على عهد (نوح) مات عطشاً ، وضبعه أو صاده جارح من جوارح الطير ، فما من حمامة الا وهي تبكي عليه[3] .

وللخرز عند الجاهليين وعند الأعراب حتى اليوم ، شأن كبير في السحر وفي دفع أذى الأرواح والعين ، وفي النفع والحب ، وأمثال ذلك . وسأتحدث عنها في المكان المخصص بالسحر .

وضرب المثل ببخل (أبي حباحب) . من محارب خصفة ، وكان بخيلاً ، فكان لا يوقد ناره الا بالحطب الشخت لئلا ترى ، وقيل : اسمه (حباحب)، فضرب بناره المثل ، لأنه كان لا يوقد الا ناراً ضعيفة ، مخافة الضيفان، فقالوا : نار الحباحب[4] .

وأم حباحب : دويبة ، مثل الجندب ، تطير ، صفراء خضراء ، رقطاء برقط صفرة وخضرة ، ويقولون اذا رأوها : أخرجي بُردى أبي حباحب ، فتنشر جناحيها ، وهما مزينان بأحمر وأصفر[5] .

وللعرب أساطير عن الكواكب ، من ذلك ما ذكروه من ان (الدَّبران) خطب (الثريا) وأراد القمر ان يزوجه منها ، فامتنعت وأعرضت ، وقالت للقمر : ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له ؟ فجمع الدبران قلاصه،ووضعها قدامه ، وأخذ يتبعها يريد اقناعها بالزواج منه . ومن ذلك قولهم في (المرزم) ، وهو (الشِعْرى) ، يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . تقول العرب : اذا

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٦٠ وما بعدها) ، الدميري ، حياة الحيوان (٢/١٢٢) ، (العظاءة) .

٢ بلوغ الارب (٢/٣٦١ وما بعدها) ، حياة الحيوان ، للدميري (٢/١٠٢ وما بعدها) ، (الظباء) .

٣ الدميري ، حياة الحيوان (٢/٣٨٢) ، ناج العروس (٨/١٦٤) ، (هدل) ، بلوغ الارب (٢/٢٦٤) .

٤ اللسان (١/٢٩٧) ، (حبحب) .

٥ اللسان (١/٢٩٨) ، (حجب) .

طلعت الشعرى جعل صاحب النحل يرى ، وهما الشعريان : (العبور) التي في (الجوزاء) و (الشعرى الغميصاء) التي في الذراع . تزعم العرب انهما أخت (سهيل) . وقد عبدت طائفة من العرب (الشعرى العبور) . قالوا : انها عبرت السماء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها ، فأنزل الله : « وانه هو رب الشعرى » ، وسميت الأخرى (الغميصاء) ، لأن العرب قالت في حديثها انها بكت على أثر العبور حتى غمصت[1] .

وزعموا ان (سهيلاً) كان عشّاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً . وعرف بأنه نجم يماني عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ[2] .

و (الشمس) إلهة عند كثير من الجاهليين ، فتعبدوا لها ، وعدّت صنماً عندهم[3].

ومن أساطيرهم ما تحدثوا به عن (برد العجوز) . حدثوا ان عجوزاً دهرية كاهنة من العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع في أواخر الشتاء وأوائل الربيع فيسوء أثره على المواشي ، فلم يكترثوا بقولها ، وجزوا أغنامهم ، واثقين باقبال الربيع ، فلم يلبثوا إلا مديدة حتى وقع برد شديد ، أهلك الزرع والضرع ، فقالوا هذا برد العجوز . يعنون العجوز التي كانت تُنذر به .

وحدثوا : أن عجوزاً كانت بالجاهلية ، ولها ثمانية بنين ، فسألتهم أن يزوجوها وألحت عليهم ، فتآمروا بينهم ، وقالوا : إن قتلناها لم نأمن عشيرتها ، ولكن نكلفها البروز للهواء ثماني ليال ، لكل واحد منا ليلة . فقالوا لها : ان كنت تزعمين أنك شابة ، فابرزي للهواء ثماني ليال ، فإننا نزوّجك بعدها ، فوعدت بذلك ، وتعرت تلك الليلة والزمان شتاء كلب ، وبرزت للهواء . وفعلت مثل ذلك في الليل الآخر ، فلما كانت الليلة السابعة ، ماتت .

ونسب العرب اليها برد الأيام الثمانية ، وأسماؤها : الصنّ ، والصِنبر ، والوبر ، وآمر ، ومؤتمر ، ومعلّل ، ومطفىء الجمر ، ومكفىء الظعن[4] .

ومن الأمور التي تداولوها قولهم في (زمن الفطحل) . وضربهم المثل به . قالوا : أيام كانت الحجارة رطبة ، وإذ كل شيء ينطق[5] . وهو دهر لم يخلق

---

١ تاج العروس (٣/٣٠٥) ، (شعر) .
٢ تاج العروس (٧/٣٨٤) ، (سهل) .
٣ تاج العروس (٤/١٧٢) ، (شمس) .
٤ الثعالبي ، ثمار (١/٣١٣ وما بعدها) .
٥ الثعالبي ، ثمار (٦٤٢ وما بعدها) .

فيه الناس بعد[1] .

وكانوا يعتقدون بالمسخ . وهو تحويل صورة الى أخرى أقبح منها ، وتحويل انسان الى حيوان أو حجر . ولهم اعتقادات في مسخ الأطفال ، وتبديل (الجن) لهم بأولادهم من ذوي العاهات . وقد زعموا أن (اللات) صنم ثقيف ، كان في الأصل يهودياً يلتّ السويق في (الطائف) فمسخ حجراً ، عبد فصار (اللات).

وللعرب قصص وضعوه على ألسنة الحيوانات نجده في كتب الأدب . ولهم أمثلة وراءها قصص في سبب ضربها . ونجد في كتب الأمثال والأدب أشياء كثيرة من ذلك . وقد صوّروا بعض الحيوانات ناطقة عاقلة،ونسبوا لها الحكمة والقول الحسن، وصوروا بعضها بليدة غبيّة . ونجد في كتب الأمثال والأدب أشياء كثيرة من ذلك[2].

واتخذوا من بعض الناس مثلاً على أمر من أمور الحياة . وضربوا بهم الأمثال. فضربوا المثل ببلاغة (سحبان وائل) وبقدرته على الخطابة[3] . وبفصاحة (قس بن ساعدة الايادي)[4] . وجعلوهما المثل الأعلى في البلاغة والفصاحة عند العرب .

ووضعوا (باقل) مثلاً للعي والبلادة[5] . فما رووه عنه ، أنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فمرّ بقوم فقالوا : بكم أخذت الظبي ؟ فمدّ يديه ، وأخرج لسانه ، يريد بأصابعه عشرة دراهم وبلسانه درهماً فشرد الظبي حين مدّ يديه ، وكان الظبي تحت إبطه ، فجرى المثل بعيه ، وقيل : أشد عياً من باقل ، وأعيا من باقل،كما قيل أبلغ من سحبان وائل[6] . وذكر أنه كان من ربيعة[7] .

واتخذوا (بيهس) الفَزاري،الملقب بنعامة ، مثلاً للحمق ، فقالوا: أحمق من بيهس . وهو أحد الاخوة السبعة الذين قتلوا،وترك هو لحمقه[8] . زعموا أنه هو القائل:

ألبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها

وإنما لقب بيهس بنعامة لأنه كان شديد الصمم ، وإذا دعا الرجل من العرب

---

١ تاج العروس (٨/٦٣) ، (الفطحل) .
٢ راجع كتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب كليلة ودمنة وكتب الادب الاخرى .
٣ الثعالبي ، ثمار (١٠٢ وما بعدها) ، الدينوري ، المعارف (٦١١) .
٤ الثعالبي ، ثمار (٦٠ ، ٩٨ ، ٢٢٢ ، ١٢٤ وما بعدها ، ١٤٢) .
٥ الميداني ، الامثال (٢/٤٣) ، الثعالبي ، ثمار (١٠٢) .
٦ الثعالبي ، ثمار (١٢٧) .
٧ تاج العروس (٧/٢٣٤) ، (بقل) .
٨ تاج العروس (٤/١١٣) ، (بهس) .

على صاحبه بالصمم، قال: اللهم اصنجه صنجاً كصنج النعامة . والصنج أشد الصمم[1].

وضرب المثل بحمق (هبنقة) ، واسمه (يزيد بن ثروان) أحد بني قيس بن ثعلبة ، الملقب بـ (ذي الودعات) . لقب بـه لأنه جعل من عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته . فسئل عن ذلك ، فقال : لئلا أضل ، أعرف بها نفسي ، فسرقها أخوه في ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه، فقال : أخي أنت أنا ، فمن أنا ؟ فضرب بحمقه المثل . فقيل أحمق من هبنقة[2].

وضربوا المثل بحمق دُغة . وهي بنت منعج ، زوّجت وهي صغيرة في بني العنبر ، فحملت ، فلما ضربها المخاض ظنت انها تحتاج الى الخلاء ، فبرزت الى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها ، فاستهل الوليد ، فجاءت منصرفة وهي لا تظن إلا انها أحدثت . فقالت لأمها : يا أماه ، هل يفتح الجعُر فاه ؟ قالت : نعم ويدعو أباه ، فسبّ بها بنو العَنْبر ، فسموا بني الجعراء[3].

وقيل هي امرأة من بني عجل بن لجيم . وقيل هي : دغة بنت معيج بن إياد ابن نزار . ولدت لعمرو بن جندب بن العنبر[4] . وذكر ان اسمها : مارية بنت ربيعة ، من عجل ، وكانت عند (جندب بن العنبر) فولدت له (عدي بن جندب) ، وكانت حمقاء حسناء[5] .

وضربوا المثل بـ (جوف حمار) . وقالوا : هو أكفر من حمار ، وأخلى من جوف حمار . وهو رجل من عاد ، يقال له حمار بن مويلع،وجوفه واد له طويل عريض . لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ، وفيه من كل الثمرات ، فخرج بنوه يتصيدون : فأصابتهم صاعقة فهلكوا ، فكفر . وقال : لا أعبد من فعل هذا ببني ، ودعا قومه الى الكفر فمن عصاه قتله ، فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه ، فضرب العرب به المثل في الخراب والخلاء . قال الأفوه الأودي :

وبشؤم البغي والغشم قديماً قد خلا جوف ولم يبق حمار[6]

---

١ الثعالبي ، ثمار (٤٤٥) .
٢ قال الفرزدق :
فلو كان ذا الودع بن ثروان لالتوت به كفه أعني يزيد الهبقا
تاج العروس (٥/٥٣٤) ، (ودع) .
٣ الثعالبي ، ثمار (٣٠٩) .
٤ تاج العروس (١٠/١٢٨) ، (الدغية) .
٥ الدينوري ، المعارف (٦٢٠) .
٦ الثعالبي ، ثمار (٨٤) ، الميداني (١/٢٥٧) .

وذكر ان الجوف واد بأرض عاد ، فيه ماء وشجر ، حماه رجل اسمه حمار وكان له بنون فأصابتهم صاعقة فماتوا ، فكفر كفراً عظيماً وقتل كل من مر به من الناس . فأقبلت نار من أسفل الجوف فأحرقته ومن فيه وغاض ماؤه فضربت العرب به المثل . فقالوا : أكفر من حمار ، ووادٍ كجوف الحمار وكجوف العير وأخرب من جوف حمار[1] .

وورد انه (حمار بن مالك) ، وهو رجل من عاد وقيل من العمالقة . كان مسلماً أربعين سنة في كرم وجود ، فخرج بنوه عشرة للصيد ، فأصابتهم صاعقة فهلكوا . فكفر كفراً عظيماً . وقال لا أعبد من فعل ببنيّ هذا . وكان لا يمر بأرضه أحد إلا دعاه الى الكفر ، فان أجابه وإلا قتله . فأهلكه الله وخرب واديه[2].

واذا وعد انسان وعداً ، فعليه الوفاء به ، لأن من شمائل الكريم الوفاء بالوعود والعهود . قالت العرب : « خلاف الوعد من أخلاق الوغد » . وكانت العرب تستعيبه وتستقبحه . وقد ضربوا المثل برجل من العرب في مخالفته المواعيد، فقالوا : « مواعيد عرقوب » . وعرقوب صاحب المواعيد[3] ، قيل : انه من الأوس ، كان أكذب أهل زمانه . فضربت به العرب المثل في الخلف ، فقالوا : مواعيد عرقوب . وذلك انه أتاه سائل ، وهو أخ له ، يسأله شيئاً . فقال له عرقوب: اذا أطلع نخلي ، « وفي رواية : اذا أطلعت هذه النخلة » ، فلما أطلع، أتاه على العِدَة ، قال : اذا أبلح ، فلما أبلح أتاه ؛ قال : اذا أزهى ، فلما أزهى أتاه ؛ قال : اذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ؛ قال : اذا أتمر . فلما أتمر ، عمد اليه عرقوب وجدَّهُ ليلاً ، ولم يعطه منه شيئاً . فصارت مثلاً في إخلاف الوعد. وورد:

وأكذب من عرقوب (يثربَ) لهجة وأبين شؤماً في الحوائج من زحل

وورد «مواعيد عرقوب أخاه بيثرب» ، بالثاء وهي باليمامة . ويروى بالمثلثة، وهي مدينة الرسول نفسها. ويقال : هو أرض بني سعد. والأول أصح، وبه فسر قول كعب بن زهير :

كانت مواعيد (عرقوب) لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

---

١ تاج العروس (١٥٦/٣) ، (حمر) ، (٦٣/٦) ، (الجوف) .

٢ فبشؤم الجور والبغي قديما ما خلا جوف ولم يبق حمار
تاج العروس (١٥٦/٣) ، (حمر) .

٣ تاج العروس (٥٣٦/٢ وما بعدها) ، (وعد) .

وورد : « هو أكذب من عرقوب يترب » ، وتقول : « فلان اذا مطل تعقرب واذا وعد تعقرب » . ومن أمثالهم : « الشرّ ألجأه الى مخ عرقوب » « وشر ما أجأك الى مخة عرقوب » ، أي : عرقوب الرجل لأنه لا مخّ له . يضرب هذا عند طلبك من اللئيم أعطاك أو منعك . وهو لغة بني تميم . ومن المستعار : ما أكثر عراقيب هذا الجبل . العراقيب خياشيم الجبال وأطرافها وهي أبعد الطرق ، لأنك تتبع أسهله أين كان . والعراقيب من الأمور كالعراقيل عظامها وصعابها [1] .

وضربوا المثل في الاقامة على الذل برجل من ضبّة ، زعموا أنه عرف عندهم بـ (قضيب) فقالوا : أصبر من قضيب . و (قضيب) رجل آخر تمار بالبحرين، كان يأتي تاجراً فيشتري منه التمر ، ولم يكن يعامل غيره [2] .

وضربوا المثل بـ (حديث خرافة) . زعموا أنه كان رجلاً من (بني عذرة) أو من (بني جهينة) سبته الجن ، فكان يكون معهم ، فاذا استرقوا السمع أخبروه فيخبر أهل الأرض ، فيجدونه كما قال . وقيل: « استهوته الجن واختطفته ثم رجع الى قومه، فكان يحدث بما رأى، يعجب منها الناس، فكذبوه ، فجرى على ألسن الناس وقالوا : هذه خرافة . ويقال أيضاً للخرافات الموضوعة من حديث الليل : حديث خرافة . وذكر أن (عائشة) قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثيني : قلت ما أحدثك حديث خرافة . قال : أما انه قد كان» [3] وذكر أيضاً أنه قال لها : « ان أصدق الأحاديث حديث خرافة » [4] .

---

١ تاج العروس (١/٣٧٨) ، (عرقب) .

٢ ومنه قولهم :

أقيمي عند غنم لا براعي ... من الفل التي نلوى الكثيب

لانتم حين جاء القوم سبرا ... على المحزاة أصبر من قضيب

أي لم تطلبوا بقتلاكم ، فأنتم فى الذل كهذا الرجل ، تاج العروس (١/٤٣٣) ، (قضب) .

لانتم ، يوم جاء القوم سبرا ... على المخراة أصبر من فضيب

اللسان (١/٦٨٠) ، (قضب) .

٣ تاج العروس (٦/٨٣) ، (حرف) .

٤ ابن قتيبة ، المعارف (٦١٠ وما بعدها) ، (حديث خرافة) .